الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القـــادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

الرقم الترتيبي: /2003

رقم التسجيل:

الاغتراب واللحمية في شعر عدنان النحوي

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها (نظام جديد)
(شعبة اللغة العربية والدراسات القرآنية)

من إعداد الطالب :

عيسى بودوخـــة

بإشراف الأستاذ:

الدكتور: حسن كاتب

أعضاء لجنة المناقشـــة

الاسم واللقب	الرتبـــــة	الجامعة الأصلية	الصفـــة
1- د / جمال شوالب	أستاذ محاضـــر	جامعة الأمير عبد القادر	رئيســـا
2- د / حسن كاتب	أستاذ محاضـــر	جامعة منتوري-قسنطينة	مشرفا ومقررا
3- د/ عزيز لعكايشي	أستاذ محاضـــر	جامعة منتوري-قسنطينة	عضوا مناقشا
4- د/ بوجمعة بوبعيو	أستاذ محاضـــر	جامعة عنـــابـــة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1423 - 1424 هـ

2002 - 2003 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

سورة فصلت/ الآية 33.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقـــدمـــــــة:

قبل خوض غمار هذا البحث، راود ذهني سؤالان كبيران، أحدهما مضموني ومفاده: إلى متى تبقى تبعيتنا الثقافية للغرب؟ ومتى تحين ساعة مراجعة الذات، والبحث عن بديل يراعي هويتنا الثقافية؟! أما الثاني فيتعلق بالشكل يمكن أن يلخص في الصيغة الآتية : هل صحيح أنّ الأدب الإسلامي يهتم بالمضمون على حساب الشكل؟ أو بعبارة أخرى: هل الالتزام بالرؤية الإسلامية يضعف الجوانب الفنية أو يعصف بها؟! من هنا كان علي أن أجد موضوعا من شأنه أن يشفي غليلي بالإجابة عن هذين التساؤلين، فلقي موضوع "الاغتراب" بمعناه الإسلامي هوى من نفسي، لاعتقادي أنّ الأديب الإسلامي هو أول من راجع ذاته حين اغترب عن الحياة الاجتماعية والثقافية الزائفة، وتاقت نفسه إلى حياة يسودها النبل والطهارة والنقاء .

وبعد البحث والتقصي، اهتديت إلى الشاعر "عدنان علي رضا النحوي"، وقد أغراني بدراسة شعره ثلاثة عوامل جوهرية هي:

1- عدم ظهور أية دراسة علمية لشعره، ماعدا بعض المقالات الصحفية المتفرقة، والتي لا ترقى إلى مستوى الدراسة الشاملة على الرغم من بروزه على الساحة الأدبية الإسلامية منذ ما يزيد عن نصف قرن ووفرة نتاجه الأدبي شعرا ونثرا، ولعل هذا ما يوفر لي جدة موضوع البحث.

2- كون الشاعر النحوي يمثل نموذجا للأديب الإسلامي المغترب، فهو لم يكتب الشعر من باب الترف، وإنما كتبه للتعبير عن قضية معيشة، يعانيها – بوصفه لاجئا- كما يعانيها ملايين المسلمين المهجرين عن أوطانهم، وله فكر أدبي تنظيري طرحه في أكثر من كتاب، يحدد فيه مفهوم الأدب الإسلامي وأبعاده وخصائصه، ويفند النظريات الأدبية التي تتعارض مع إسلامية الأدب، ويبين تهافتها، وما تنطوي عليه من شطط فكري، وجموح غرائزي، وبذلك يعد النحوي مثالا حيا عن الأديب الإسلامي الذي يعلن قطيعته الثقافية والفكرية مع الغرب، ويعطي البديل المنشود.

3- مع انطلاق النحوي في تصوره من رؤية إسلامية محضة، فهو لم يهمل جانب الشكل، إذ أنّ الأداة الفنية عنده قمينة بالدراسة مثلما هي قمينة بها مضامينه الشعرية، وقد تفوق الأداة المضمون أحيانا، ولا غرو في ذلك، طالما أنّ الشاعر نذر نفسه لخدمة الأدب الإسلامي شكلا ومضمونا.

وهكذا عقدت عزمي، وحددت موضوع بحثي واخترت له أن يتمحور حول "الاغتراب في شعر عدنان النحوي".

وبعد الغوص في عالم النحوي الشعري، تبين لي أنّ جل أشعاره يسودها جو "ملحمي" مفعم بالمآسي والآلام، كما تأكد لدي أنّ للشاعر دراسات في "فن الملاحم"، وقد وضع الأسس النظرية لبناء "الملحمة الإسلامية" بعيدا عن التصور الإغريقي لهذا الفن، و لم يكتف النحوي بهذا حتّى أنشأ سبع ملاحم –كتطبيق لدراسته النظرية- واحدة منها موسومة بعنوان "ملحمة الغرباء".

ومن ثم ألزمت نفسي بدارسة "الملحمة في شعر النحوي" وكان علي إعادة صياغة موضوع البحث في شكله النهائي ليكون موسوما بـــ: "الاغتراب والملحمية في شعر عدنان النحوي".

إن الدراسات النادرة التي تناولت أشعار عدنان النحوي لم تزد عن كونها مجموعة من المقالات المتناثرة في أعداد قليلة من مجلة "الأدب الإسلامي"، ولعل من أبرزها تلك الدراسة التي قام بها الدكتور سعد أبو الرضا:« البناء اللغوي في الشعر الإسلامي "الغربة نموذجا"»، حيث تناول بالدراسة مقطعا من "ملحمة الغرباء"، وبين من خلالها إيجابية الاغتراب لدى شاعرنا عدنان النحوي، إذ أصبح رمزا لتوق المسلم إلى ما وعد به رسول الله ﷺ الغرباء من خير وسعادة لقاء تمسكهم بالحق وصبرهم عليه.

أما باقي الدراسات التي انصبت على شعر عدنان النحوي الشعري فكلّها أغفلت ظاهرتي "الاغتراب" و"الملحمية" في شعره، وحسبنا دليلا على ذلك دراستا كلّ من الناقد والشاعر السوري "محمود السيد الدغيم" : « الصورة الشعرية عند عدنان النحوي »، والأديب المصري "أحمد محمود مبارك" : « قراءة في ديوان مهرجان القصيد ».

وكذلك ما كتبه بعض النقاد تقديما لديوان "الأرض المباركة" من أمثال: الدكتور "محمد مصطفى هدارة"، والدكتور "أحمد كمال زكي" والدكتور "محمد الصباغ" وغيرهم، فهي جميعا لم تشر إلى موضوعي "الاغتراب" و"الملحمية" في شعر النحوي لا من قريب ولا من بعيد ، فضلا عن أن تتوقف عنده .

أما الدراسات العامة، والتي اهتمت ببحث موضوع "الاغتراب" وموضوع "الملاحم" بوجه عام، على غرار ما نشر في مجلة "عالم الفكر"، والتي نذكر منها – على سبيل المثال لا الحصر- دراستي كل من "فتح الله خليف" (الاغتراب في الإسلام) و"عبده بدوي" (الغربة المكانية في الشعر العربي) بالنسبة للموضوع الأول، أي الاغتراب، ودراستي كل من "أحمد أبو زيد" (الملاحم كتاريخ وثقافة) و"محمد شوقي أمين" (الملاحم بين اللغة والأدب)، وكذلك دراسة الدكتور "سعد

الدين الجيزاوي" (الملاحم والمطولات الإسلامية في الشعر العربي) والمنشورة بمجلة "الأزهر" بالنسبة للموضوع الثاني، أي الملاحم، فهذه الدراسات وأمثالها لم تول هذين الموضوعين لدى شاعرنا أية عناية، وما كان لها أن تفعل ذلك لأنها ـــ في معظمها ـــ سابقة على ظهور بواكير إنتاجه المتوجه إلى هذه الوجهة .

ومن هنا أقبلت على دراسة البحث ، وفي قناعتي أنني أسد ثغرة يجب سدها.

إن دراسة "الاغتراب" و"الملحمية" بوصفهما ظاهرتين أدبيتين بارزتين في شعر عدنان النحوي، جعلتني أعتمد المنهج النفسي بالنسبة للظاهرة الأولى، والمنهج التاريخي بالنسبة للثانية، مدعما ذلك باستقراء النصوص الشعرية للوقوف على خصائصها الفنية .

أما عن الهيكل التنظيمي للبحث، فهو يحتوي على مدخل وبابين، ويحتوي الباب الأول على فصلين يشملان القضايا المضمونية، ويحتوي الباب الثاني على ثلاثة فصول تناولت الجوانب الفنية، ثم كانت الخاتمة نهاية هذا البحث .

لقد شمل المدخل ثلاثة محاور أساسية ، أولها يدور حول مفهوم الغربة في اللغة، وفي الفكر الإسلامي، ثم مفهومها لدى الشاعر الإسلامي المعاصر، وثانيها يتناول عوامل اغتراب الشاعر الإسلامي المعاصر، وأهمها العامل الثقافي والعامل السياسي. بينما يتعرض ثالثها إلى الملحمة من حيث معناها اللغوي في معاجم اللغة، ثم معناها الاصطلاحي، وكيف أنّ هذا المعنى يطلق على نوع معين من الشعر .

وفي الباب الأول بفصلية ينصب البحث على القضايا المضمونية وهي تمثل أبرز ظاهرتين معنويتين عبر عنهما الشاعر، ففي الفصل الأول يتناول البحث ظاهرة الاغتراب في شعر عدنان النحوي، مع ذكر أهم بواعث هذه الظاهرة، وأهم مظاهر هذا الاغتراب من سفر روحي نحو الماضي المجيد، واستدعاء للرموز التاريخية المشرقة، وهروب الشاعر نحو الطبيعة يبثها نجواه.

وأما الفصل الثاني فكانت غايته إبراز ظاهرة الملحمية في شعر النحوي، وكيف استطاع الشاعر أن يطرح تصورا نظريا لبناء ملحمة إسلامية بعيدا عن التصور الوثني الإغريقي والروماني، وترجم ذلك الطرح النظري بإنشاء سبع ملاحم، تناول البحث واحدة منها بالدراسة.

ويشمل الباب الثاني ثلاثة فصول تخص الدراسة الفنية للبحث .

الفصل الأول: ويدور حول البناء اللغوي لمعجم الشاعر، وأهم المصادر التي استقى منها النحوي معجمه الشعري والمتمثلة أساسا في القرآن الكريم، والشعر العربي القديم، كما يتطرق البحث إلى ذكر بعض الظواهر الأسلوبية الشائعة في شعره مثل التكرار والاستفهام والمقابلة وغيرها...

وفي الفصل الثاني يتعرض البحث للصورة الشعرية بدءا بمعناها اللغوي، مبينا أهميتها في الشعر، ويقف مطولا عند نقطة الخلاف حول إلمام النقد القديم بالصورة الشعرية، وكلّ ذلك تمهيد نظري ييسر لنا السبيل لفهم أهم مصادر الصورة الشعرية لدى النحوي، وهي الغاية من هذا الفصل .

وفي الفصل الثالث والأخير، يتطرق البحث إلى أهمية الموسيقى الشعرية، ويميز بين نوعين منها، وهما الداخلي والخارجي، ثم يعرج على موقف عدنان النحوي من الأوزان الخليلية ومن القافية، إذ يعدهما الفيصل المعول عليه في تمييز الشعر من النثر...

وقد خلصت في نهاية المطاف إلى خاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة..

وأخيرا، أتوجه بالشكر الجزيل إلى كلّ من أسهم من قريب أو من بعيد في تمكين هذا المولود من رؤية النور، والخروج إلى دنيا الناس في شكله الذي خرج به، والذي آمل أن يكون مستوفيا للشرائط المطلوبة في مثله من البحوث العلمية، وأخص بالذكر في هذا الصدد أستاذي المشرف الدكتور الفاضل : حسن كاتب، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وإرشاداته النيرة طيلة هذه الرحلة الشيقة مع البحث، سائلا مولاي – عز وجل- أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول. وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: مفهـــوم الغـــربـــة

الغربة قديمة قدم البشرية، وقد تطور مفهومها عبر العصور التاريخية بين الأجناس والشعوب، بل حتّى الأفراد أنفسهم وذلك لتلون الغربة بطبيعة صاحبها من جهة، وبالمجتمع وما يحكمه من قيم وتقاليد وأعراف من جهة ثانية ...

وقد غدا مصطلح الغربة اليوم أشد تعقيدا من ذي قبل، حيث تضاربت حوله المفاهيم، واختلفت الآراء.. لكن على الرغم من ذلك توجد بينها بعض العناصر المشتركة: كاعتزال الناس، والعجز عن التلاؤم، والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع(*).

1- المعـــنى اللغـــوي للغـــربـــة:

تكاد جل المعاجم العربية قديمها وحديثها تجمع على نفس المعنى اللغوي لمادة (غ.ر.ب)، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة: «الغربة:البعد عن الوطن... يقال غربت الدار، ومن هذا الباب غروب الشمس كأنه بعدها عن وجه الأرض »[1].

ويقول صاحب القاموس المحيط: «والبعد كالغربة وقد تغرب وبالضم التروح عن الوطن كالغربة والاغتراب و التغرب... واغترب: تزوج في غير الأقارب»[2].

ونجد نفس المعنى في لسان العرب: « الغرب: الذهاب والتنحي عن الناس الغربة والغرب. التروح عن الوطن ...» [3] .

وإذا نحن عرجنا على المعاجم والموسوعات اللغوية الحديثة نجدها لا تكاد تخرج عن نفس المعنى، ففي دائرة معارف القرن العشرين نجد: «أغرب الرجل: أتى بشيء غريب، وتغرب: ابتعد عن الوطن واستغربه: وجده غريبا، والغرب: جهة غروب الشمس»[4].

(*) يُنظر: مجلة عالم الفكر: التمهيد، ع1، مج10، ص4.

(1) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج4، ص421.

(2) الفيروزابادي: القاموس المحيط، ج1، ص109-110.

(3) ابن منظور: لسان العرب، مج5، ص3228.

(4) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، مج7، ص51.

المـــدخـــــــل

أولا : مفهـــوم الغـــربـــة.

1- المعـــنى اللغـــــوي .

2- الغربة في الفكر الإسلامي .

3- الغربة في مفهوم الشاعر الإسلامي المعاصر.

ثانيـــا : عوامل اغتراب الشاعر الإسلامي المعاصر .

أ- العـــامـــل الثقـــافـــي .

ب- العامـــل السيـــاســـي .

ج- العامل الاجتماعي والأخلاقي.

د- العامل الروحي والنفسي.

ثالثـــا: مفهـــوم الملحمـــــة .

1- المستـــوى اللغـــوي.

2- المستوى الاصطلاحي.

3- خصائص الملحمـــة .

4- أشهر الملاحم والمطولات الشعرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أما صاحب المعجم الأدبي فقد أشار في تعريفه إلى الجانب النفسي للغربة فقال بأنها: «عاطفة تستولي على المرء وبخاصة على الفنانين فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عما يهوون أو يرغبون فيه»[1].

والخلاصة فان جل المعاجم اتفقت على معنى الغربة وأنها لا تخرج عن دائرة النوى والبعاد والنزوح والهجران، سواء تعلق الأمر بكلمة الغربة نفسها، أو بأحد مشتقاتها كالاغتراب والتغريب والتغرب و الغرب.

2- الغربـــة في الفكـــر الإسلامـــي :

إذا كان المعنى اللغوي للغربة ينحصر في المفهوم المادي لدى معظم أصحاب المعاجم، فانه في الفكر الإسلامي يتسع ليشمل المعنى الروحي والنفسي والفلسفي والعقائدي ...

ويرتكز مفهوم الغربة في الفكر الإسلامي إلى الحديث الذي رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء ﴾[2] وهؤلاء الغرباء هم الذين يستشعرون تفردهم بما يحملون من مبادئ و قيم إسلامية، في بيئات ومجتمعات أشد ما تكون حاجة إليها، ومن ثم يصبح تمسك هؤلاء الغرباء بقيم الإسلام مصدر خير لهم ولغيرهم ممن يهتدون، بينما يتدنى الآخرون بتخليهم عن تلك القيم وابتعادهم عنها.

لقد كانت الغربة في بداية الدعوة الإسلامية بابا من أبواب النصر، ولونا من ألوان العزة، وصورة من صور القوة و التمكين، ولعل هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة خير مثال لغربة العزة والظفر، ثم توافد عليه المؤمنون، وشكلوا نواة المجتمع الإسلامي، فأبدلهم الله من بعد خوفهم أمنا، ومن بعد غربتهم رضا وقرة أعين .

و لم تمض على ذلك سوى فترة قصيرة حتّى عادت بوادر الغربة من جديد، وذلك حين « وقعت الاضطرابات بين بني أمية والبيت العلوي، وتعرض أهل البيت للاضطهاد والتشريد والتقتيل، كل ذلك أدخل الرعب في قلوب المسلمين وقضى على الشعور بالأمان»[3].

---

(1) عبد النور جبور: المعجم الأدبي، ص186.

(2) أخرجه مسلم .

(3) فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، مج10، ع1، ص87.

وجاء العصر العباسي بتلاطم الحضارات، وتعدد الثقافات، واختلاف الأجناس، وخف الوازع الديني في قلوب الناس، وأخذت عوامل الغربة تنمو، وبدأت تظهر مؤلفات حول موضوع الغربة، ولعل أول كتاب ظهر بهذا الاسم هو كتاب "أدب الغرباء" لأبي الفرج الأصفهاني وفيه يقول:« وقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي وعرفته وسمعت به وشاهدته من أخبار من قال شعرا في غربة، ونطق عما به من كربة، وأعلن الشكوى بوخده(*) إلى كلّ مشرد عن أوطانه، ونازح الدار عن إخوانه، فكتب بما لقي على الجدران، وباح بسره في كلّ حانة وبستان، إذ كان ذلك قد صار عادة الغرباء في كلّ بلد ... »[1].

وممن وصف بالغربة من التابعين: الحسن البصري المتوفى سنة 110هـ وسفيان الثوري المتوفى سنة 161هـ، وقيل أن أحمد بن عاصم الأنطاكي، وكان من كبار العارفين في زمن أبي سليمان الداراني المتوفى سنة 215هـ كان يقول:« أي أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا كما بدأ، وعاد وصف الحق فيه غريبا كما بدأ. إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتونا يحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة، وان ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلا في عبادته مخدوعا صريعا، غدره إبليس، قد صعد به إلى أعلى درجة العبادة، وهو جاهل بأدناها »[2].

ويعرف الإمام الهروي الأنصاري الغربة بقوله: «أمر يشار به إلى الانفراد عن الأكفاء » فكل منفرد بوصف شريف دون أبناء جنسه فهو غريب بينهم، والغربة على ثلاث درجات:(**)

أ-غربة عن الأوطان، وهذا الغريب موته شهادة .

ب-غربة الحال، وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم، لأنه رجل صالح بين قوم فاسدين، أو عالم بين قوم جاهلين، أو صديق بين قوم منافقين .

ج-غربة الهمة وهي غربة طلب الحقّ، وهي غربة العارف، وهي غربة الغربة، لأن العارف غريب الدنيا والآخرة .

أما الإمام ابن القيم (691-751هـ) فقد أدرج الغربة في منازل إياك نعبد وإياك نستعين، فعقد لها فصلا كاملا، استهله بقوله تعالى:﴿ فَلَوْلاَ كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوْا بَقِيَة

(*) وخد : أسرع.

(1) عبده بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، مجلة عالم الفكر، مج15، ع1، ص18.

(2) ابن رجب الحنبلي: كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، ص15.

(**) يُنظر فتح الله خليف: الاغتراب في الإسلام، عالم الفكر، مج10، ع1، ص92 وما بعدها.

يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الذِينَ ظَلَمُوا مَا اتْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[1].

ثم شرع في شرح حديث الغربة السابق، بعد أن أورد فيه ست روايات، وقد قسم الغربة إلى ثلاثة أنواع أيضا :

أ-غربة أهل الله وأهل رسوله بين هذا الخلق، وهي التي مدح رسول ﷺ أهلها، وهذه الغربة قد تكون في مكان دون مكان ووقت دون وقت، وبين قوم دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة هم أهل الله حقا، فانهم لم يأووا إلى غير الله، ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ولم يدعوا إلى غير ما جاء به.

ب-غربة مذمومة: وهي غربة أهل الباطل، وأهل الفجور بين أهل الحق .

ج-غربة مشتركة بين الناس جميعا، فان الناس كلّهم في هذه الدار غرباء لأنها ليست لهم بدار مقام، ولا هي الدار التي خلقوا لها قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»[2].

وفي هذا المعنى انشد ابن القيم (رحمه الله) .

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَهَا ∴ مَنَازِلُكَ الأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّنَا سَبْيُ العدو فَهَلْ تَرَى ∴ نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ

وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا التِي ∴ لَهَا أَضْحَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمُ[3].

وتعتبر الغربة الروحية.والفكرية من أشد أنواع الغربة، إذ ليس عجيبا أن يغترب الإنسان عن وطنه في سبيل قضايا أساسية أو اجتماعية أو حتّى سياحية مؤقتة، بل وقد يكون من المفيد له ذلك الاغتراب إن كان بدافع طلب العلم، أو في سبيل التمكين لدين الله كما أسلفنا... لكن الأعجب من ذلك أن يعيش الإنسان غريبا في وطنه يعاني العزلة والانفراد يقول أبو حيان التوحيدي: « وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه وأبعد الغرباء من كان بعيدا في محل قربه،

---

(1) هود الآية 116.

(2) عبد الرحيم الطهطاوي: هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري، ج2، ص9.

(3) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص194 وما بعدها.

والغريب إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحقّ زجر، الغريب من إذا أسند كذّب، وإذا تظاهر عذب، الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رأوه لم يدوروا حوله »[1].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه علينا بإلحاح هو الأتي :

إذا كانت الغربة قد أسرعت إلى الإسلام منذ عصوره المبكرة، فكيف هي حال غربته اليوم؟.

لا شك أن الإسلام اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره، وإن كانت رسومه الظاهرة منتشرة بين الناس، فالمؤمن الحق الذي رزق بصيرة في دينه وفقها في سنة رسوله غريب، غريب في دينه لفساد أديانهم، غريب في تمسكه بالسنة لتمسكهم بالبدع، غريب في عقيدته لسوء معتقداتهم، وما كان للمؤمن أن يكون غريبا لولا أن « زال الورع وطوى بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وارتحل من القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام... واستخفوا بأداء العبادات واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في ميادين الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات»[2].

وهناك غربة مادية نفسية يستشعرها الإنسان المسلم عند انتقاله من قطر إسلامي إلى قطر إسلامي آخر، وذلك حينما يُسْأَلُ عن هويته وعن الأوراق التي تسمح له بالعبور، فيعامل بوصفه أجنبيا ، رغم وجوده في بلد إسلامي وبين إخوانه الذين تربطه بهم روابط الدين واللغة والتاريخ المشترك...

3- الغربة في مفهوم الشاعر الإسلامي المعاصر:

الشاعر ذو حساسية مفرطة، وشعور حاد، فهو يعاني أكثر من غيره، ويحس ما لا يحسه الآخرون، ومن ثم فهو يتجاوز بوعيه ذاته وقضاياه إلى قضايا أمته الكبرى، فهو قلبها النابض وروحها الكبيرة الحاملة لآمالها المتطلعة لآفاقها الواعدة ...

وبناء على ذلك يكون الشاعر الإسلامي أول المعنيين بكلّ ما يطرأ على الحياة الإسلامية من تغيير، كما هو الشأن في عصرنا الحالي حيث يشهد واقع الأمّة الإسلامية تراجعا كبيرا عن قيم الإسلام ومبادئه السمحة، مما ولد لدى الشعراء الإسلاميين قلقا واضطرابا، وجعلهم يحسون أن

---

(1) أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص80-81.

(2) القشيري: الرسالة القشيرية، ص2-3.

هوية الأمة وتاريخها يتعرضان للمسخ والتدمير، ومن ثم راحوا يجتهدون في وضع بديل إسلامي نبيل، مما جعلهم يعيشون الاغتراب الإيجابي بكلّ أبعاده « فالاغتراب يعني لدى هؤلاء الشعراء تحويل المواقف السلبية المحيطة بالواقع إلى قيم إيجابية أو هو محاولة الكشف عن الذات وإبعاد لما سواها، ولا يكون ذلك إلاّ بالملاحظة الدقيقة للواقع، تلك الملاحظة التي تغذي عملية الإبداع لدى الشاعر وتمنحه الرؤية السليمة التي يستطيع بها أن يمارس التحويل وأن يبلغ زمن الطهر والنقاء »[1]

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الغربة قد طالت حتّى شعراء الجاهلية، وبخاصة الصعاليك منهم، ذلك لأنهم تمردوا على نظام القبيلة وقيمها السائدة، وسلكوا طريق اللهو والمجون، فغربتهم القبيلة في الصحاري والمغاور حتى قال قائلهم:

وَمَازَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِي ∴ وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتْلَـدِي
إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ∴ وَأُفْرِدْتُ إِفْـرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّـدِ[2].

وبحلول العصر الإسلامي، تختفي الغربة بكل أنواعها، وذلك لزوال مسبباتها، إذ أصبح الناس يعيشون في أمن ووئام في ظل الدولة الإسلامية الناشئة، على أن هذا لم يمنع الشعراء من الصحابة الكرام وغيرهم أن يحنّوا إلى أوطانهم التي درجوا فيها، فهذا سيدنا بلال -رضي الله عنه- وقد وخم من جو المدينة، استبد به الحنين إلى مكة فأنشد يقول[3]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ∴ بِفَخٍّ وَحَوْلِيَ إِذْخِرٌ وَجَـلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًـا مِيَاهَ مَجنة ∴ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[*]

ولما حملت "نائلة" بنت القرافصة إلى سيدنا عثمان -رضي الله عنه- كرهت فراق أهلها، فقالت لأخيها ضب:

---

(1) د.عمر بوقرورة: الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، مخطوط رسالة دكتوراه الدولة، ص22.

(2) طرفة بن العبد: الديوان، ص31.

(3) د. عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص53.

(*) مجنة: اسم سوق للعرب في الجاهلية وهي بأسفل مكة.

شامة وطفيل: جبلان بمكة.

أَلَسْتَ تَـرَى يَـاصَبُّ بِاللهِ أَنَّنِي ∴ مُـرَافِقَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَـةِ أَرْكَبَـا
أَمَا كَانَ فِي أَوْلَادِ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ ∴ لَكَ الْوَيْلُ مَا يُغْنِي الْحِبَاءَ الْمُطْنَبَا
أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ أَكُـونَ غَرِيبَـةً ∴ بَيَثْرِبَ لاَ أُمًّـا لَـدَيَّ وَ لاَ أَبَـا[1]

وما ينقضي العصر الإسلامي الأول، وتخفت جذوة العقيدة في قلوب الناس حتى تعود الغربة بأنواعها المتعددة، وأشكالها المختلفة كأشد مما كانت عليه من قبل، فأول ما ظهر منها الغربة السياسية كما أسلفنا، ثم تلتها الغربة الروحية والفكرية، ثم أعقبتها أنواع الغربة الأخرى، حتّى طبعت حياة المجتمع بطابع الاغتراب...

وباستقراء شعر الغربة عبر العصور الأدبية الإسلامية، يبرز لنا ثلاثة من الشعراء، ممن تمثلوا الغربة في أشعارهم بشكل لافت للنظر، وان اختلفت دوافعها وتجلياتها لدى كلّ شاعر منهم...

وأول هؤلاء الثلاثة هو أبو الطيب المتنبي، الذي عاش حياته ثائرا متمردا فاتسمت غربته بالثورة على الأوضاع السائدة، وعلى المجتمع الذي لم ينصفه حسب زعمه فكثر أعداؤه وأصبح مستهدفا من طرف خصومه، فضاعف ذلك من إحساسه بغربته وتنغيص حياته حتى قال[2]:

مَا مَقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاَ ∴ كَمَقَامِ الْمَسِيحِ بَينَ الْيَهُودِ

ويشتد رفض المتنبي للوضع المتردي لأنه « تنبه إلى ما كان يهدد كيان العالم العربي الإسلامي من انحلال داخلي يمكن إرجاعه إلى التصدع الأخلاقي والسياسي والاقتصادي والتهديد بالاحتلال من طرف أمم مجاورة كالروم والترك والفرس، وإهمال الاعتناء بأمور الرعية، وكان موقفه من الوضع رفضه له... »[3] ويشتد إحساسه بالاغتراب وبأن الأمة الإسلامية في خطر إلا أن بتداركها الله برحمته فيقول[4]:

أَنَا فِي أُمَةٍ تَدَارَكَهَا اللَّـ ∴ ـهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

وأما الشاعر الثاني فهو أبو العلاء المعري، الذي تراوحت غربته بين ملامح الاغتراب الوجودي والغربة النفسية التشاؤمية، فهو "رهين المحبسين" كما يقال عنه، ولعل مما ضاعف من

---

(1) الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، ص26.

(2) أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ج2، ص44.

(3) يوسف الحناشي: الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، ص5.

(4) المصدر نفسه: ص48.

إحساسه بغربته والانطواء على نفسه، عدم الإقرار بفضله حتى من طرف بعض أقربائه، فقال متألما:

أُولُوا الفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ ∴ تَشُذُّ وَتَنْأَى عَنْهُمُ الْقُرَبَاءُ[1]

وأي إحساس بالغربة أشد على إنسان أصبح يطلب الموت لما يراه من انقلاب الموازين في أعراف الناس وأحكامهم، وماذا يفعل المسكين مع مجتمع لا يقدر فاضلا، ولا يكبر عالما سوى أن يتمنى الرحيل عن هذا المجتمع آسفا:

إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَ بِالْبُخْلِ مَادِرُ ∴ وَعَيَّرَقُسًّا بِالفِهَاهَةِ بَاقِلُ
وَقَالَ السُّهَى للشمْسِ أَنتِ خَفِيَّةٌ ∴ وَقَالَ الدُّجَى يَا صُبْحُ لَوْنُكَ حَائِلُ
وَطَاوَلَتِ الْأَرضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً ∴ وَفَاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَىوَالجَنَادِلُ
فَيَا مَوتُ زُرْ انَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ ∴ وَيَا نَفْسُ جُدِّي انَّ دَهْرَكِ هَازِلُ[2]

وأما ثالث الشعراء ممن وصفوا بالغربة، فهو الشريف الرضي، وقد مثل غربة الطالبيين خير تمثيل، حيث اتسمت غربتهم السياسية بروح الثأر لمقتل الحسين على يد الأمويين[*].

قال يصف غربته وبعاده عن الناس :

وَقَالُوا: لِقَاءُ النَّاسِ أُنْسٌ وَرَاحَةٌ ∴ وَلَو كُنْتُ أُرضى الناس ما كنتُ مفردا[3]

بيد أن تطاول من هم دونه منزلة عليه رغم حلمه عليهم قد ضاعف من إحساسه بالاغتراب وجعله يقول :

صَوُلُ عَلَيَّ الْجَاهِلُونَ وَاَعْتَلِي ∴ وَيُعْجِمُ فِيَّ الْقَائِلُونَ وَأُعْرِبُ
يَرَوْنَ احْتِمَالِي غُصَّةً وَيَزِيدُهُمْ ∴ لَوَاعِجُ ضَغْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ
وَلاَ أَعْرِفُ الفَحْشَاءَ إِلاَ بِوَصْفِهَا ∴ وَلاَ أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُغْضَبُ
وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا ∴ وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ[4]

---

(1) أبو العلاء المعري: لزوم مالا يلزم (اللزوميات)، مج1، ص41.

(2) أبو العلاء المعري: مختارات البارودي، ج2، ص336.

(*) يُنظر عزيز السيد جاسم: الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، ص14.

(3) الشريف الرضي: الديوان، مج1، ص284.

(4) المصدر نفسه: ص108.

أما إذا تجاوزنا العصور الأدبية الإسلامية، وعرجنا إلى العصر الحديث فإننا واجدون الغربة هي أهم ما يميز الشعر المعاصر، وهذا بفعل مؤثرات عديدة، منها ما هو تراثي أو تاريخي، ومنها ما هو سياسي أو اجتماعي ومنها ما هو نفسي أو روحي، و منها ما هو ثقافي أو حضاري...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: عوامل اغتراب الشاعر الإسلامي المعاصر

لعله من نافلة القول بأن للنكسة الحضارية التي يعيشها الإنسان المسلم عموما والمثقف منه على وجه الخصوص أكبر الأثر في الإحساس بالغربة على اختلاف أشكالها وصورها... على أن للشاعر الإسلامي ما يبرر غربته، ويعطيها نوعا من المشروعية -إن صح التعبير-« إذ ليست الأزمة التي يعانيها في الغربة عن الحياة الإسلامية المثالية فحسب، إنما الأزمة في تحول الميادين التي طالما زرعتها المناهج الإسلامية، أو أثرت فيها من قبل، إلى مزارع تنبت السهام و الحراب التي يطعن بها المسلمون »[1].

وفي مراسلة مع الشاعر النحوي حول تحديد عوامل الاغتراب كما يراها ويحياها هو- كشاعر إسلامي معاصر- أجاب بما يلي:

« 1- جهل المسلمين بدينهم وابتعاد الملايين عنه، ولم يبق لدى الكثيرين إلا العاطفة الساكنة أو الهائجة، لا صفاء إيمان واع، ولا علم بالكتاب والسنة ولا نهج وخطة، وجهل المسلم التكاليف الربانية التي وضعها الله في عنقه وجهل مسؤوليته الفردية حتّ أصبح هنالك قطعان بعد قطعان، وانتشر بين المسلمين بسبب ذلك خلل ووهن وأمراض شتى.

2- تمزق العالم الإسلامي أقطارا وأحزابا وأهواء ومصالح مادية دنيوية متصارعة وأصبح المسلم أو المنتسب إلى الإسلام عدوا لمنتسب آخر إلى الإسلام.

3- انطلاق الشعارات المزخرفة دون أن يرافقها نهج وخطة ووعي، وخدر يسري في العروق، وامتداد العصبيات الجاهلية وصراعاتها وتقطع عرا أخوة الإيمان.

4- امتداد الغفلة والغفوة بين المسلمين وجهلهم لواقعهم وما يدبر لهم من كيد ومكر، حتى ألقوا أنفسهم بين أنياب العدو المفترس.

5- العدوان الظالم الممتد في العالم الإسلامي، عدوان الغرب، عدوان فكري وثقافي وأدبي يدعمه الغزو العسكري.

---

[1] د. عبد الباسط بدر: مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، ص8.

فامتدت العلمانية وفتن الكثيرون بها وضللوا بفكرها وأدبها حتى صار لها جند منا، من أنفسنا، فهذا يدعو إلى الاشتراكية... وهذا يدعو إلى الديمقراطية أو الحداثة أو البنيوية أو غيرها في سلسلة طويلة من الفتن متلاحقة »[*].

أ-العـــامـــل الثقـــافي:

لقد حقق الغزو في الميدان الثقافي أهدافه بدقة متناهية، فوصلت مفاهيمه العبثية والوجودية إلى الشعر العربي الحديث، ووجهته توجيها خطيرا، حيث تمكن التخطيط الغربي من استثمار القصيدة العربية الحديثة لنشر الإلحاد والإباحية والتمكين للوثنية بدعوى توظيف الرمز الأسطوري... كل مظاهر هذا الغزو الفكري والاستلاب الحضاري، عمقت من غربة الأديب الإسلامي وجعلته يمثل صورة « المكافح الذي يجد نفسه في شبكة بعض خيوطها من مكر الاستعمار وبعضها في بلادة القابلية للاستعمار »[1] حيث وبفعل التأثر الذي بلغ حد الذوبان في الآداب الغربية، نجد بعض شعراء العالم العربي في العصر الحديث قد استعاروا كثيرا من النماذج والرموز الغربية. يقول بدر شاكر السياب في (رسالة من مقبرة):

وَعَرٌ هُوَ الْمَرْقَـــى إِلَى الْجَلْجَلَـــةِ[**]
وَالصَّخْرُ يَـــا سِيزِيفُ مَا أَثْقَلَـــهُ[***]
سِيزِيفُ إِنَّ الصَّخْرَةَ الآخَـــرُونَ[2]

أليس من دواعي الغربة حقا، أن نجد شاعرا له مكانته في خارطة الشعر العربي، يتناول في أشعاره مضامين معادية لعقيدة الأمة، ناهيك عن عري صوره الشعرية، ومخاطبته للغرائز، واتخاذه من جسد الأنثى بضاعة، يتقرب بها إلى كل السفلاء والمنحرفين حتى أنهم نعتوه (بشاعر المرأة) يقول: في قصيدة موسومة بعنوان "الخرافة":

(*) رسالة من الشاعر عدنان النحوي بتاريخ 2003/01/22، الرياض – السعودية.

(1) مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، ص88.

(**) الجلجلة: اسم الجبل الذي صلب عليه السيد المسيح في اعتقاد النصارى.

(***) سيزيف: شخصية أسطورية، حكمت عليها الآلهة بحمل الصخرة إلى رأس الجبل لتلقي بها إلى السفح، فتعود إلى حملها ثانية.

(2) د.حسن الأمراني: الشكل في القصيدة وتحديات الشعراء الإسلاميين، مجلة الأدب الإسلامي، مج5، ع19، ص12.

حِـــــينَ كُنَـــــــــــا
فِـــي الكتـــاتيبِ صغـــــــارًا
حَقَنُـــــــوئَـــــــــــا
بِسَخِيفِ القـــولِ.. لَيْـــلاً وَنَهـــارًا
دَرَّسُـــــــوئَـــــــــــا
"رُكْبَـــةُ الْمَـــرأةِ عَـــــورَة.."
"ضِحْكَـــــةُ المـــرأةِ عَـــــوْرَة"
صَوتُهَا -مِنْ خَلفِ ثُقْبِ البَابِ- عَوْرَة
صـــــوَّرُوا الْجِنْـــسَ لَنَـــــــا..
غُـــــــولاً.. بِأَنْيَـــــابٍ كَبِـــيرَة
خَوِّفُونَا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِنْ نَحْنُ عَشِقْنَا..[1]

أما شعراء الاتجاه الإسلامي المعاصرون، فمع كونهم قد تأثروا بروح الشعر العربي المعاصر وبخاصة في الجانب الشكلي منه فقد بقيت لهم خصوصياتهم المميزة لهم، إذ حرصوا على إبراز أسس العقيدة الإسلامية وضمنوها أشعارهم، كما أبطلوا دعاوى المتغربين وافتراءاتهم، يقول الشاعر عدنان النحوي:

أَدَبٌ يَـــرْتَـــوي الْبَيَـــانُ لَدَيْـــهِ ∴ مِنْ حَدِيثٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ
رَفَّ بِالطِّيبِ عُـــودُهُ فَتَمَـــــنَى ∴ كُلُّ رَوْضٍ نَـــدَاوَةً مِنْ عُـــودِ
يَنْشُرُ الْجَوْهَرَ الْكَرِيمَ عَلَى الدَّهْـــ ∴ ـــرِ غَنِيًّـــا بِاللؤْلُـــؤِ الْمَنْضُـــودِ
هُوَ رَفُّ النَّدَى عَلَى الوَرَقِ اليَـــا ∴ بِـــسِ يَهْتَزُّ فِي رَبِيـــعٍ جَدِيـــدِ
كَمْ حَلاَهُ عَلَى الْمَيَـــادِينِ فُرْسَـــا ∴ نٌ وَغَنَّتْـــهُ وَثْبَـــةٌ مِـــنْ صَيِـــدِ
فَانْهَضِي يَا رَوَائِعَ الشِعْـــرِ هَـــذِي ∴ سَاحَةٌ زَغْرِدِي لَهَـــا وَأَعِيـــدِي
أَنْتِ فِي ذُرْوَةِ الْبَيَـــانِ عَطَـــاءٌ ∴ زَاخِرٌ بِالهُـــدَى وَأَبْحُـــرُ جُـــودِ[2]

---

[1] نزار قباني: ديوان قصائد متوحشة، ص 35 – 36 .

[2] د. عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص65 وما بعدها.

أما في أدب التائهين فيقول :

أَدَبُ التَّـائِهِينَ لَيْـلٌ وَخَمْـرٌ ∴ بَيْنَ كَأْسٍ مُحَطَّمٍ أَوْ غَيـدِ
حِينَ يَغْفُو الْقَصِيدُ فِي خَدَرِ السُّكْـ ∴ ـرِ لِحِصْرٍ مُهَفْهَفٍ وَنُهُـودِ
أَدَبٌ ذَلَّ فِي الْفُجُـورِ وَنَـامَتْ ∴ بَيْنَ أَحْضَانِهِ جُفُونُ الْعَبِيـدِ
يَتَـوَارَوْنَ خَلْفَ سِحْـرِ شِعَـارٍ ∴ كَاذِبٍ أَوْ زَخَـارِفٍ وَوُعُـودِ
سَمِّ مَا شِئْتَ مِـنْ مِثَـالٍ فَهَـذَا ∴ أَدَبُ الضَّائِعِ الشَّقِيِّ الْجَحُـودِ
سَوْفَ يَفْنَى مَعَ الزَّمَـانِ وَيَبْقَـى ∴ أَدَبُ الْحَقِّ شُعْلَةً فِي الْوُجُـودِ[1]

أما الشاعر عيسى بن علي جرابا فيقول في نفس الموضوع :

يَـا شِعْرُ فِيمَ الْهَجْرُ؟ لَسْتُ بِجَـانِي ∴ حَتَى تُجَـرِّعَنِي أَسَى الْهُجْـرَانِ
يَـا شِعْرُ فِيمَ الْهَجْرُ؟ عُودِي شَابَـهُ ∴ صَدَأٌ فَأَيْـنَ رَوَائِـعُ الأَلْحَـانِ؟
أَيْـنَ الخَلِيلُ؟ وَأَيْـنَ أَبْحُـرُهُ الَـتِّي ∴ تَكْتَظُّ بِالأَصْـدَافِ وَالْمُرْجَـانِ؟
أَنَسِيتَ أَحْـمَدَ كَيْفَ دَبَّـجَ شِعْـرَهُ ∴ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمَدَانِي؟!
يَـا شِعْرُ هَـلْ تَدْرِي بِـأَنَّ حُثَالَـةً ∴ مِنْ بَيْنِنَـا تَرْمِيكَ بِـالْبُهْتَـانِ؟!
زَعَمَتْ بِأَنَّـكَ عَاجِـزٌ وَبِـأَنَّهَـا ∴ رَجْعِيَّةٌ وَالشِّعْـرُ شَيْءٌ ثَـانِـي
جَعَلُوا الْأَحَاجِيَ مَنْهَجًا، فَالشِّعْرُ فِـي ∴ مِنْاهَجِهِمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَـانِ!
إِنَّ الْقَصِيـدَةَ لاَ تَكُـونُ قَصِيـدَةً ∴ إِلاَ بِشَكْلٍ رَائِـعٍ وَمَعَـانِ[2]

وفي نفس المضمار يقول الشاعر الدكتور جابر قميحة مقتفيا آثار أبي العلاء المعري:

وَلُقِّبَ بَاقِـلٌ(رَبَّ الْبَيَـانِ) ∴ وَقَسَّ عُكَاظَ (الدَّعِيَّ الْجَهُولاَ)
وَخُنْثَى الكَلاَمِ قَصِيـدَ النَّثِيرِ ∴ تُهِينُ الْبَيَانَ... وَتَزْرِي الْخَلِيلاَ
عَلَى رِسْلِكُمْ يَا أَفَاعِي الْبَيَانِ ∴ فَهَيْهَاتَ يَعْلُو الْفَحِيحَ الصَّهِيلاَ
فَقَالُوا أَرَدْنَا حَيَـاةَ الْبَيَـانِ ∴ نَقِيًا.. صَفِيًّا.. كَرِيمًا.. ذَلُـولاَ
فَوَاعَجَبًا كَيْفَ يَحْيَا الْبَيَـانُ ∴ وَقَدْ ذَبَحُوهُ فَأَهْـوَى قَتِيـلاً؟![3]

---

(1) د. عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص65 وما بعدها.

(2) عيسى بن علي جرابا: شعارات زائفة، الأدب الإسلامي، مج5، ع19، ص74-75.

(3) د. جابر قميحة: شمس من المغرب، مجلة الأدب الإسلامي، ع19، ص84-85.

ب- العامل السياسي:

في الوطن العربي يهيمن الفعل السياسي على مجرى الحياة، فنشاط الإنسان العربي وكل تحركاته رهن لقناعة ومزاج حكامه، وعليه يغدو الواقع المعيش نسيج من أهواء هؤلاء الحكام وميولهم... فلا عجب أن يصدم هذا الواقع وجدان الأديب المسلم ويقلق ضميره « حيث يجد الأمم الأخرى تكيف حياتها وفقا لعقائدها وفلسفاتها وتصوراتها عن الدين والوجود وعن الله والإنسان، ويجد المسلم وحده مكتوبا عليه أن يعيش في صراع بين عقيدته وبين واقعة، بين دينه وبين مجتمعه »[1]. لقد تعالى الحكام على شعوبهم، كما تعالوا على العلماء والأدباء والمفكرين، واضطهدوهم، فتولد لديهم إحساس شديد بالغربة، يقول الشاعر مصطفى محمد الغماري :

أُحَارِبُ فِي دِينِي وَفِكْرِي وَمَذْهَبِي ∴ وَأُرْمَى بِزُورِ الْقَوْلِ فِي كُلِّ مَشْعَبِ
وَمَا أَنَا إِلاَّ غُصَّةٌ فِي حُلُوقِهِمْ ∴ وَحَشْرَجَةُ الأَقْدَارِ فِي صَدْرِ مُذْنِبِ
وَمَا أَنَا إِلاَّ النَّارُ تَشْوِي قُلُوبَهُمُ ∴ وَإِلاَّ الضُّحَى يَرْمِي بِأَشْلاَءِ غَيْهَبِ
يُعَانِقُنِي عَزْمُ الأُلَى صَنَعُوا العُلاَ ∴ فَأَهْتِفُ بِالإِسْلاَمِ أَقْوَمَ مَذْهَبِ
يَمُوتُونَ غَيْظًا.. ثُمَ يَحْيَوْنَ نَزْوَةً ∴ سَفَاهَا وَجَهْلاَ.. كُلُّ ذَاكَ التَّعَصُّبِ[2]

ويقول الشاعر الموريتاني محمد الأمين بن مزيد:

ظَلَمُونِي حَقًّا لَقَدْ ظَلَمُونِي ∴ حَرَمُونِي الْحَيَاةَ فِي ظِلِّ دِينِي
هَؤُلاَءِ الطُّغَاةُ قَدْ حَكَمُونِي ∴ وَاسْتَبَدُّوا عَلَى خُطَامُو سلِينِي
ظَلَمُونِي فَأَيْنَ مَنْ يُنْقِذُنِي ∴ أَيْنَ مَنْ يَغْرَقُونَ كَيْ يُنْقِذُونِ[3]

إن ما حز في نفوس الأدباء الإسلاميين حقا هو تلك النظرة المستعلية للحكام إلى رعاياهم، وتلك الضدية الكبرى التي طبعت العلاقة بين الحاكم والمحكوم، فالحقيقة المؤسفة أن القيادة « لم تكن ترى من الأشياء والأشخاص إلا وسائل لإشباع حبها وهواها في السلطة»[4].

---

(1) د. يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ص112.

(2) محمد مصطفى الغماري: أسرار الغربة، ص31.

(3) د. عبد الله بن أحمد بن حمدي: المضمون الإصلاحي في الشعر الإسلامي الموريتاني، مجلة الأدب الإسلامي، ع22، ص64.

(4) مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه، ص28.

لقد وقف هؤلاء الحكام -بإيعاز وتخطيط من الأعداء- حجر عثرة في طريق الوحدة الثقافية والجغرافية بين الشعوب العربية والإسلامية، على الرغم من الجهود الجبارة التي يبذلها المخلصون من أبناء هذه الأمة في سبيل لم شملها، وعلى الرغم مما تراه من تكتلات بين أبناء وشعوب الأمم الأخرى، وان حدث -ونادرا ما يحدث- وأعلنت الوحدة بين قطرين مثلا، فلا يعدو ذلك أن يكون مجرّد شعار، الغرض منه هو ذر الرماد في العيون، ولنا في الوحدة المغاربية خير شاهد على ما نقول... ويوم أعلنت الوحدة بين مصر والشام أشفق الأستاذ عمر الأميري أن تنفصم عرى هذه الوحدة لأنها قامت على القومية العربية دون اعتماد على أساس متين من عقيدة الأمة وشريعتها فقال :

تَفَــرَّقَ بِالْقَــوْمِ حُكَّامُهَــا ∴ وَزَاغَتْ قُلُوبٌ غَذَتْهَا الإِحَنْ
وَفِي وَحْدَةِ الْقَوْمِ خَيْرٌ وَفِيرٌ ∴ وَمَجْدٌ جَدِيرٌ بِأَغْلَى ثَمَــنْ
لقد أعلنــوها ..و لكنــني ∴ أَكَــادُ أَرَى غَيْرَ مَا قَدْ عُلِنْ
أُرِيــدُ بُنَــاةً حُمَــاةً لَهَــا ∴ إِذَا قَلَبَ الْدَّهْرُ ظَهْرَ الْمِجَنْ
فَمَــنْ لِي بِإِنْشَاءِ جِيلٍ أَبِيٍّ ∴ تَقِيٍّ..قَوِيٍّ.. يَصُدُّ الْمِحَــنْ[1]

ولا تعجب إن قلت لك أنّ الذي كان وراء الأسباب المباشرة لسقوط الخلافة الإسلامية سواء في بغداد، أو في غرناطة، أو في أنقرة، هي المؤامرات الدنيئة التي يحيكها الأعداء بإحكام، ويطبقها الحكام بسذاجة...يقول الفيلسوف الإسلامي محمد إقبال:«مزق الأتراك السخفاء من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي جلباب الخلافة، فما أغباهم وما أدهى أعداءهم »[2].. ويقول أمير البيان شكيب أرسلان: « كانت الخلافة أحسن علاقة جامعة بين المسلمين، وكان أربعمائة مليون مسلم في العالم يتولون حكومة تركيا بحجّة أنها دولة الخلافة فجاء مصطفى كمال وقطع هذه العلاقة بين تركيا والعالم الإسلامي، وزعم أنه لا يلوي على علاقة غير علاقة الترك خاصة، وأن سائر المسلمين والأجانب في نظره سواء وهو أمر مخالف للحقيقة وللمصلحة »[3].

---

(1) د. عبد القدوس أبو صالح: دور الأدب الإسلامي المعاصر في الوحدة الإسلامية، ع1، مجلة الأدب الإسلامي، ص80.

(2) المصدر نفسه: ص75.

(3) المصدر نفسه: ص74.

ومنذ سقوط الخلافة الإسلامية، لم يهدأ بال الشعراء الإسلاميين، فراحوا يرثون المدن والممالك الساقطة، فخلفوا لنا في ذلك تراثا شعريا ضخما عرف في تاريخ الأدب (برثاء المدن والممالك)، ومن أشهر المراثي فيه رثاء ابن الرومي للبصرة، والرندي للأندلس[1].

وقد كان لسقوط الخلافة في تركيا على يد الكماليين دوي هائل في حياة العالم الإسلامي، ومضى الأدباء والشعراء يندبونها مؤكدين أنها كانت الخيط الناظم لوحدة المسلمين الكبرى، و لم يبك أحد من الشعراء الخلافة مثلما بكاها أمير الشعراء أحمد شوقي:

ضَجَّتْ عَلَيكِ مَآذِنٌ وَمَنَـابِـرُ ∴ وَبَكَتْ عَلَيْكِ مَمَالِكٌ وَنَـوَاحِ
الْهِنْدُ وَالْهَةٌ وَمِصْـرُ حَزِينَـةٌ ∴ تَبْكِـي عَلَيكِ بِمَدْمَـعٍ سَحَّـاحِ
وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَـارِسٌ ∴ أَمَحَا مِنَ الأَرْضِ الْخِلاَفَةَ مَـاحِ
فَلَتَسْمَعُنَّ بِكُـلِ أَرْضٍ دَاعِيًـا ∴ يَدْعُو إِلَى(الْكَذَّاب)(أَوْ لِسَجَـاحِ)
وَلَتَشْهَـدُنَّ بِكُـلِّ أَرْضٍ فِتْنَـةً ∴ فِيهَا يُبَـاعُ الدِّينُ بَيْـعَ سَـمَاحِ[2]

ج- العامل الاجتماعي والأخلاقي :

إن الوضع الاجتماعي والأخلاقي المتردي للأمة الإسلامية عموما قد ولد لدى الشاعر الإسلامي المعاصر توترا حادا « والسبب في ذلك التوتر يعود أساسا إلى المظاهر السلبية التي يطفح بها المجتمع العربي في كافة المستويات، حيث أصبح سوقا للنخاسة، تباع فيه إنسانية الإنسان وكرامته، وتغدو المرأة أهون من زجاجة خمر في حانة »[3] ولعل الشاعر الإسلامي اليوم مطالب أكثر من أي وقت مضى ببذل جهده لإغناء التجربة الاجتماعية الإسلامية، والذود عن حرمة الأخلاق الفاضلة وحمايتها من الانحلال. يقول الشاعر خالد البيطار ناعيا للامة كرامتها، مذكرا لها بأمجادها:

يَـا أُمَّةً قَـدْ أُصِيبَتْ فِي كَرَامَتِهَـا ∴ وَطَأْطَأَتْ رَأْسَهَا ضُعْفًـا وَإِذْعَانَـا
مَاذَا أَصَابَكِ؟ إِنِي لاَ أُصَـدِّقُ مَـا ∴ تَرَاهُ عَيْنِي مِنَ الذُلِ الـذِي رَانَـا

---

(1) د. محمد الصباغ: الملامح الإسلامية في ديوان "الأرض المباركة"، مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص30.

(2) أحمد شوقي: ديوان الشوقيات، ج1، ص 106-109.

(3) محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي، ص23.

أَلَمْ تَكُونِي لِهَذَا الْكَونِ شَمْسَ هُدًى ∴ أَلَمْ تَكُونِي لِهذَا الْكَـــونِ رُبَّانَـــا؟!
أَلَمْ يَكُنْ أَهْلُكِ الأَحْرَارُ إِنْ سَمِعُـــوا ∴ حَسِيسَ ذُلٍّ أَثَارُوا الأَرْضَ بُرْكَانَا؟!
وَإِنْ دَعَا بِاسْمِهِمْ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِهِـــمْ ∴ طَارُوا إِلَيهِ زَرَافَاتٍ وَوِحْدَانَـــا!![1]

لقد نقضت المجتمعات الإسلامية مطالب عقيدتها السمحاء، والتزاماتها الاجتماعية عروة عروة، تآمر عليها المتآمرون حقا:.. ولكن تآمرها على نفسها بالجهل والضعف وعدم اتقاء الفتنة أكبر من ذلك بكثير(*).

ولعل أهم ما يؤثر في نفسية الأديب الإسلامي اليوم، ويؤدي به إلى الشعور بالاغتراب، أن يجد صدودا وإعراضا عن دعوته المجتمع الإسلامي لاستعادة ممارسته الأصيلة وقيمه المفقودة، وصبغته الإيمانية التي أهتتها رياح التغريب ..يقول الشاعر عمر الأميري :

فَأَنَّى التَفَتُّ، فَحَـــقٌّ سَلِيبٌ ∴ وَأَنَّى أَصَخْتُ، فَرَجْعُ النَّحِيبْ
وَأَنَّى سَرَيْتُ، فَدَرْبٌ مُرِيبٌ ∴ وَفَـــخٌّ عَجِيبٌ وَلُغْـــمٌ رَهِيبْ
أَسِيرُ رَهِينَ صُرُوفِ الزَّمَـــانِ ∴ وَأَشْعُرُ أَنِّي وَحِيـــدٌ غَـــرِيبْ
أُهِيبُ بِقَومِي إِلَى الْمَكْرُمَاتِ ∴ وَمَا مِنْ مُلَبٍّ، وَلاَ مِنْ مُجِيبْ[2]

أما الشاعر صالح محمد جرار فيندب حظ الإنسان في ظل هذه الحضارة الزائفة التي تهتم بالأجسام وتهمل الأرواح، تغرق في الفواحش ولا تعطي لمكارم الأخلاق وزنا فيقول:

هَـــذِي الحَضَارَةُ فِي أَدْنَـــى مَعَانِيهَـــا ∴ تُعْطِي الجُسُومَ وَتَنْسَى جَوهَرًا فِيهَا!
تُقِيمُ لِلْجِسْـــمِ سُلْطَـــانًـــا وَهَيمَنَـــةً ∴ وَتَنْبَرِي لِعَـــذَابِ الـــرُّوحِ تُشْقِيهَا!
يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى الإِنْسَانِ قَـــدْ عَمِيتْ ∴ مِنْـــهُ البَصِيرَةُ وَامْتَـــدَّتْ غَوَاشِيهَا!
سَمَّـــى الفَوَاحِشَ فَنًّـــا مِنْ سَفَاهَتِـــهِ ∴ وَرَاحَ يَسْفِـــكُ طُهْرَ الغِيدِ حَامِيهَا!
وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنَ الأَخْـــلَاقِ مُؤْمِنَـــا ∴ يَرْوِي طَهَـــارَتَهَا التَـــارِيخُ تَنْوِيهَا؟!
خُنَّـــا الأَمَانَةَ وَالأَخْـــلَاقَ وَا أَسَفَـــا ∴ فَاجْتَاحَ دَولَتَنَـــا الإِعْصَارُ مُنْهِيهَا!
لَوْ غَيَّرَ القَومُ مَا فِي النَفْسِ لاَنْكَشَفَتْ ∴ هَذِي المَفَاسِدُ وَانْجَابَتْ طَوَاغِيهَا![3]

---

(1) خالد البيطار: صرخة ألم، مجلة الأدب الإسلامي، ع1، ص108.

(*) يُنظر د.عماد الدين خليل: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص177.

(2) عمر بهاء الأميري: ديوان مع الله، ص110-111.

(3) صالح محمد جرار: في ظل الحضارة الزائفة، مجلة الأدب الإسلامي، ع19، ص96.

د-العامل الروحي و النفسي:

نظرا لما لقيه الشاعر الإسلامي المعاصر من اضطهاد على يد حكامه، وإعراض من طرف مجتمعه، انكفأ على نفسه، باحثا عن ذاته، فلم يلفها إلا في الاعتصام بعقيدته وإيمانه، لاجئا إلى بارئه ﷻ فهو كاشف الكروب وساتر العيوب... يقول الأميري :

قَالُوا اعْتَزَلْتَ! فَقُلْتُ صُنْتُ كَرَامَتِي ∴ وَلَزِمْتُ فِي رَهَجِ الزِحَامِ إِبَائِي
وَذَخَرْتُ نَفْسِي لِلْعَظَائِمِ صَابِرًا ∴ وَطَوَيْتُ عَنْ ذُلِّ الصَغَارِ رِدَائِي
فَأَنَا الغَرِيبُ غَدَاةَ أَنْأَى عَنْ رُبَى ∴ جَنَّاتِهِ الوَضَّاحَةِ الغَنَّاءِ[1]

وفي نفس المعنى أنشد الدكتور عدنان النحوي :

أَنَا الغَرِيبُ إِذَا فَارَقْتُ حَانِيَةً ∴ مِنَ الْكِتَابِ وَآيَاتٍ مِنَ الحِكَمِ
وَسُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ مُشْرِقَةً ∴ وَصُحْبَةً مِنْ صَفِيِّ العَهْدِ وَالذِمَمِ
أَنَا الغَرِيبُ إِذَا جَاوَزْتُ مُعْتَقَدِي ∴ وَرُحْتُ أَضْرِبُ فِي وَهْمٍ وَفِي رُجُمِ[*]
أَنَا الغَرِيبُ إِذَا اسْتَسْلَمْتُ عَبْدَ هَوًى ∴ وَعَرْبَدَتْ شَهَوَاتُ العُمْرِ مِلْءَ دَمِي
وَغُرْبَةُ النَفْسِ تُشْقِي كُلَّمَا نَزَعَتْ ∴ نَفْسٌ إِلَى صَنَمٍ يَهْوِي إِلَى صَنَمِ[2]

وهناك من الشعراء من وجد ذاته في الحنين إلى أمجاد الماضي، واستدعاء التاريخ بشخصياته العظيمة، ووقائعه الفذة، كوقعة "بدر" و"القادسية" و"حطين" و"عين جالوت"...يقول الدكتور عبد الرحمان بارود :

قَائِدِي فَارِسُ البُرَاقِ وَإِخْوَا ∴ نِي الْمُثَنَّى وَ طَارِقُ بْنُ زِيَادِ
قَدْ أَضَاءَ القُرْآنُ قَلْبِي فَحَلَّقْـ ∴ ـتُ وَرَاءَ الأَزْمَانِ وَالأَبْعَادِ
"مَكِّتِي" أُخْتُ "طِيبَتِي" أُخْتُ قُدْسِي ∴ كُلُّ مَنْ مَسَّهُنَ مَسَ اعْتِقَادِي
بَرَقَتْ بَدْرُنَا الجَدِيدَةُ هَذَا ∴ الشَرْقُ يَصْحُو عَلَى صَهِيلِ الجِيَادِ
فَوْقَ كُلِّ الرَايَاتِ رَايَةُ رَبِّي ∴ وَيَدُ اللهِ فَوْقَ كُلِّ الأَيَادِي[3]

---

(1) عمر بهاء الدين الأميري : ديوان مع الله، ص 172 وما بعدها

(*) رجم: جمع رجام وهو حجر يلقى في الماء بعد ربطه بخيط ليعرف عمق الماء.

(2) د. عدنان علي رضا النحوي: ملحمة الغرباء، ص149-150.

(3) د. عبد الرحمن بارود: من الشعر الإسلامي الحديث، ص130.

وما لجوء الشعراء الإسلاميين إلى ذكر الأمجاد إلا محاولة منهم لاستنهاض الهمم، وشحذ العزائم، ونفخ الروح في الجثث الهامدة .. يقول الشاعر عدنان النحوي :

أَقْبِلِي يَا عُصُورُ! هَاتِي صَلاَحَ الْـ ∴ ـدِينِ فَالدَارُ شَوقُهَا مَشْهُودُ
يَا "لحطّينَ" زَلْزَلَتْ مِلَّةَ الْكُفْـ ∴ ـرِ فَأَهْوَى رُكْنٌ لَهُمْ وَعَمُودُ
عَبْقَرِيُّ الجِهَادِ أَنْتَ صَلاَحَ الْـ ∴ ـدِينِ سَيْفٌ مِنَ الْهُدَى مَمْدُودُ
زَهَدَتْ نَفْسُكَ التَقِيَّةُ بِالدُنْـ ∴ ـيَا مَتَاعٌ مِنَ الغُرُورِ زَهِيْدُ
يَا صَلاَحَ الدِينِ الْعُهُودُ رُؤَاهَا ∴ حَالِيَاتٌ وَبُشْرَيَاتٌ وَعِيْدُ
جَرِدِ الْسَيفَ شُعْلَةً فِي الدَيَاجِي ∴ رُبَّ سَيف يُضِيءُ مِنْهُ الْوُجُودُ
وَاجْعَلِ النَصْرَ طَاعَةَ اللهِ بِالْحَـ ∴ ـقِ وَظِلاً يَأْوِي إِلَيْهِ الْشَرِيدُ
عَلِّمِ الْنَاسَ كَيْفَ تَهْوِي رُؤُوسُ الْـ ∴ ـكُفْرِ عَدْلاً وَكَيْفَ يَعْفُو الشَدِيدُ[1]

أما الشاعر قصاب باشي فيقول في نفس المضمار :

وَالْيَومَ أَيْنَ صَلاَحُ الْدِينِ شَامِخَةً ∴ خُيُولُهُ .. وَالْصَلِيبُّونَ قَدْ هُزِمُوا؟
بَلْ أَيْنَ مُعْتَصِمٌ يُزْجِي قَوَافِلَهُ ∴ فِي حَوْمَةِ الْمَوتِ وَالْفُرْسَانُ تَحْتَدِمُ؟
وَأنظر خُيُولَ بَنِي حَمْدَانَ كَابِيَةً ∴ وَالصَارِمُ العَضْبُ قَدْ أَوْهَى بِهِ الثلمُ!
وَالمسْلِمُونَ وَقَدْ بَاءَتْ مطَامِحُهُمْ ∴ كَأَنَّهُمْ فِي دُجَى أَكْفَانِهِمْ رِمَمُ!!
قَدْ صَدَّهُمْ عَنْ عُرَا الأَمْجَادِ مُصْطَرَعٌ ∴ مِنَ العَقَائِدِ حَتَّى عَزَّ مُلْتَحَمُ[2]

وهناك من الشعراء من لجأ إلى الطبيعة يبثها وجده وحنينه علها تخفف من غربته وتزيل من كربته، يقول المرحوم محمد الغزالي :

أُمِّي الطَبِيعَةُ مَا أَجَلَّ مَعَانِيَا ∴ يَرْنُو إِلَى أَصْدَائِهِنَّ الواجِدُ[*]
أُمِّي الطَبِيعَةُ كُلَّمَا زِدْنَا نُؤَى ∴ عَنْهَا فَكُلُّ مُزَيَّف يَتَزَايَدُ
أُمِّي الطَبِيعَةُ كَمْ أَحِنُّ إِذَا سَعَتْ ∴ قَدَمَايَ فِي ضَاحِي حِمَاكِ أُشَاهِدُ
فِي صُنْعِهَا الفَنَانِ كُلُّ سَذَاجَةٍ ∴ هِيَ فِي ذُرَا التَنْسِيقِ قَصْدٌ وَاحِدُ[3]

---

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة الأقصى، ص134-136.

(2) محمد قصاب باشي: يا دارة السعد، مجلة الأدب الإسلامي، مج5، ع19، مؤسسة الرسالة، ص76.

(*) الواجد: الحزين.

(3) محمد الغزالي: ديوان الشيخ محمد الغزالي، ص83.

أما الدكتور عدنان النحوي فشكواه للطبيعة ممزوجة بمرارة الغربة الناجمة عن احتلال اليهود لوطنه السليب، يقول في قصيدة بعنوان: "فلسطين في ظلال القران".

يَا فِلسْطِينُ وُالرُبَــى حَانِيــاتٌ ∴ وَثَنَايَاكِ خَافِقَاتٌ رَجَــاءَ
كَمْ دَرَجْنَا عَلَى رُبُوعِكِ نَلْقَــى ∴ ظَلَّهَا أَوْ مُرُوجَهَا الخضْرَاءَ
ايْهِ يَا قُدْسُ ! مَهْبِطَ الوَحْيِ هُبِّي ∴ نَفَحَاتٍ وَأَشْرِقِي أَضْــوَاءَ
لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهــَا وَمُرُوجًــا ∴ نَضِبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَّــاءَ
إِنَّمَــا أَنْدُبُ العَقِيــدَةَ تَــذْوِي ∴ فِي نُفُوسٍ تَعِيسَةٍ وَالإِبَــاءَ
مَا هَجَرْنَــا دِيَارَنَــا غَيْرَ أَنَّــا ∴ قَدْ هَجَرْنَا العَقِيدَةَ السَّمْحَاءَ
لَفَظَتْنَا الدِيَــارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظًــا ∴ وَأَحَالَتْ كِرَامَنَــا غُرَبَــاءَ[1]

وخلاصة القول، فان الغربة لدى الشاعر الإسلامي المعاصر مشكلة حضارية في زمن تتعرض فيه هويته للتدمير وخاصة في ظل الإنزياح الكبير والمتعمد الذي تعرض له الإسلام في العصر الحديث، و الذي جرى من خلاله تغيير جذري للبنى الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، حيث مظاهر التغريب متغلغلة إلى أعماق كل تلك البنى و هو ما زاد في الإحساس بالاغتراب لدى الشعراء الإسلاميين، وحتى لدى كل مسلم غيور على دينه الذي أمسى غريبا في داره ووطنه .

[1] د. عدنان علي رضا النحوي: الأرض المباركة، ص119.

ثـــالثـــا : المـــلحمـــــــة

1- المفهوم اللغوي :

أجمعت كل المعاجم العربية على ربط كلمة (ملحمة) بالحرب والقتل، فقد جاء في القاموس المحيط «والملحمة الوقعة العظيمة القتل »[1] ويعلل أحمد بن فارس سبب تسمية الحرب بالملحمة بمعنيين: «أحدهما تلاحم الناس أي تداخل بعضهم في بعض، والآخر أن القتلى كاللحم الملقى»[2].

كما جاء في دائرة معارف القرن العشرين «الملحمة: الوقعة في الحرب»[3].

ولعل التعريف الشامل لكل ما سبق نجده في" لسان العرب" حيث نجد:

«والملحمة الوقعة العظيمة القتل، وقيل موضع القتال. وألحمتُ القوم إذا قتلتهم حتى صاروا لحما. وفي الحديث: اليوم يوم الملحمة. جمع: ملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى... قال ابن الأعرابي: الملحمة حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف»[4].

2- المفهوم الاصطلاحي:

إذا عدنا إلى التراث الإسلامي و العربي، نجد لمصطلح (الملحمة) مفهوما يتراوح بين المعنى اللغوي الصرف وهو الحرب والقتال –كما رأينا– فقد ورد في الأثر يوم فتح مكة﴿..فقال سعد بن عبادة يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ﴾[5].

وفي حديث أخر عن جبير بن نضير قال:﴿فعندئذ تغدر الروم وتجمع للملحمة﴾[6].

وقد جعل أبو داود في سننه فصلا سماه(كتاب الملاحم)، فقد جاء في كتاب "أبجد العلوم" لصديق حسن خان في تعريف كلمة (ملاحم) بأنها أصبحت اسما لعلم خاص تعرف به أوقات

---

(1) الفيروزابادي: القاموس المحيط، ج4، ص174.

(2) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص238.

(3) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ج8، ص329.

(4) ابن منظور: لسان العرب، مج5، ص4012

(5) البخاري: كتاب المغازي (64)، باب 48.

(6) سنن أبي داود: حديث (4292).

الفتن والوقائع بدلائل النجوم وكان الفقهاء يستنكرون هذه الملاحم لأنها رجم بالغيب، فقد ورد في"تاريخ الطبري" قول للإمام أحمد بن حنبل: ثلاثة لا أصل لها: التفسير والملاحم و المغازي[1].

والجدير بالملاحظة أن كل المفاهيم السابقة لم تورد أية علاقة بين مفهوم الملحمة والشعر فمتى بدأ استعمال هذا المصطلح كنوع خاص من الشعر؟!.

لعل أقدم نص يدل على استعمال كلمة (ملاحم) لنوع خاص من الشعر ما جاء في كتاب "البيان و التبيين" من قول الجاحظ:« فلما جُنَّ أبو يس كان يهذي بأنه سيصير ملكا وقد أُلهم ما يحدث في الدنيا من الملاحم. وكان أبو نواس والرقاشي يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثي... »[2].

أما في العصر الحديث وبعد اطلاع الأدباء العرب على الآداب الأجنبية وتأثرهم بها فقد تغير مفهوم الملحمة في أذهانهم وأصبح تعريفهم لها ينطلق من تصورهم لأشهر ملحمتين تاريخيتين فلقد « فرضت"الإلياذة"و"الأوديسا" نوعا من القهر الأدبي -إن صح هذا التعبير- على الذين حاولوا تعريف الملحمة وتحديد أبعادها بعد ذلك فكان تعريف كثير منهم يكاد يكون توصيفا لأعظم ملحمتين في التاريخ على الإطلاق »[3].

وللتدليل على ذلك نورد ثلاثة تعاريف للملحمة لثلاثة من مشاهير النقاد في الأدب العربي.. ونبدأ بتعريف غنيمي هلال للملحمة بكونها: « قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا إذ تحكى على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال وما به سموا عن الناس »[4].

أما الدكتور علي جواد الطاهر فيعرف الملحمة بأنها: « قصيدة تقوم على السرد القصصي تبلغ من الطول آلاف الآبيات وتتضمن حادثة بطولية خارقة وقعت فعلا في تاريخ سابق على النضم فدخلت في تقاليد الشعب وأمجاده وأناشيد شعرائه وحكاياته وأساطيره وأقصى خياله ترسم

---

(1) محمد شوقي أمين: الملاحم بين اللغة والأدب، عالم الفكر، مج10، ع1، ص229.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص228.

(3) د. جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، ص79.

(4) د. غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص93.

المثل الأعلى للشعور القومي ويتناقلها جيل عن جيل لأنها تستحيل رمزا لعواطف جماعية ضخمة من وطنية وإنسانية ودينية »[1].

ويرى أحمد أبو حاقة أن الشعر الملحمي:« قوامه القصص البطولي والأعمال العظيمة الخارقة والسرد الطويل المتشعب والشعر الملحمي حكاية شعب في نضاله وفي تقدمه عبر الحياة المتطورة وتاريخ الأمجاد وسجل لوقائعه الكبرى ومآثره بين الشعوب فهو يعني بالإنسان كجماعة لا كفرد ويهتم بالعمل الكلي على نقيض ما يفعل الشعر الغنائي وهو يمجد الأمة ويمدح فضائلها ويتغنى بما يصدر عنها من عمل »[2].

من خلال التعاريف الثلاثة السابقة للملحمة يمكن القول أنها عبارة عن قصة شعرية تتميز بطول النفَس وتصور حياة أمة من الأمم من النواحي الفكرية والعقائدية وحتى النواحي الاجتماعية والاقتصادية كما تصور صراع تلك الأمة في سبيل تحقيق ذاتها، أما أحداثها فتدور حول أعمال بطولية خارقة وقعت في تاريخ تلك الأمة فدخلت في تقاليدها وأمجادها ثم توارثها جيل بعد جيل فأخذت تنمو مع الأيام بدخول الأساطير والخرافات عليها وكلما نمت زادها الخيال نشاطا وحيوية...

وقد خصب هذا الفن لدى الأمة اليونانية على وجه الخصوص« لما كان لديهم من معتقدات وثنية حول الآلهة وأنصاف الآلهة و لمزجهم بين الأساطير المرتبطة بالمعجزات وخوارق لا عهد للإنسان العادي بها »[3].

3-خصائص الملحمة:

أ- الموضوع:

إن موضوع الملحمة تمتزج فيه الحقيقة بالخيال والتاريخ بالأسطورة وهو يرتكز أساسا على العقليات البدائية والمعتقدات الدينية والأمور الخارقة للعادة فبإمكانك من خلال دراسة موضوع الملحمة لأمة من الأمم أن تدرك مستواها الفكري وما لديها من عادات و تقاليد و مقدسات وما يحكمها من نظم يقول هيجل:« من يُقبل على دراسة ملحمة يكن قد أقبل على دراسة أمة

---

(1) نقلا عن يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكرياء، ص203.

(2) أحمد أبو حاقة: فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب، ص8.

(3) بلحيا الطاهر: تأملات في إلياذة الجزائر، ص20.

بتاريخها ومزاياها.. وهو يرى أن مجموع الملاحم العالمية يشكل تاريخ العالم بأجمل ما فيه وأكثره حيوية وحرية »[1].

ب-سذاجة الخيال :

يلعب الخيال الساذج دورا أساسيا في الملحمة بل لعل السر الأكبر في انقراض فن الملاحم -بمفهومه الكلاسيكي- هو غياب تلك الروح الساذجة التي تؤمن بالأساطير والخوارق إيمانا لا يتطرق إليه أدنى شك، يقول الناقد محمد مندور في كتابة القيم "الأدب و فنونه":

« إن فن الملاحم قد مات مع المرحلة الحضارية البدائية التي ظهر فيها، وإن المطَولات التي كتبت بعد العصر القديم لا يصح تسميتها ملاحم سوى الملاحم الشعبية التي كتبها شعراء مجهولون من الشعب بنفس الروح الساذجة المؤمنة بالخوارق التي صدر عنها(هوميروس) واستطاع اصطناعها (فرجيلوس) إلى حد كبير »[2].

ج- الخوارق:

تعتبر الخوارق والأساطير من أسس العمل الملحمي وهي تخص الأبطال حيث تصورهم وهم في أتون المعركة يواجهون المخاطر المحدقة بهم وقد تتدخل الآلهة وأنصاف الآلهة في تحديد مصائرهم كإنقاذ هالك في اللحظة الحاسمة أو إهلاك متمرد أو تعذيبه بوحشية أو حتى مسخه « ومن المعروف في الملاحم القديمة مسخ الإنسان إلى حيوان أو شجرة أو حجر ويستند هذا المسخ في القديم إلى عقائد شعبية ومنه في "الأوديسا" مسخ أصحاب (يوليسس) إلى خنازير »[3].

د- الديـــن :

في تعريف الناقد محمد مندور للملحمة ترد عبارة « ... وتتغلغل العقائد الدينية والروحية في حناياها »[4].

---

(1) د.جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، ص43.

(2) د. محمد مندور: الأدب وفنونه، ص54.

(3) د.غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص496.

(4) د.محمد مندور: المرجع السابق، ص44.

فالمعتقدات الدينية تظهر بصورة جلية في الملاحم .كما نجد الدين ذا تأثير عظيم على عقلية الشعب فهو يوجهه ويهيمن عليه ويرى الدكتور غنيمي هلال أن أصل الملاحم يرجع إلى أساس ديني، لكون الملاحم الإغريقية كانت في بداية نشأتها عبارة عن أناشيد لتمجيد الآلهة في أعيادهم.

هـ- العنصر القصصي :

كل النقاد متفقون على أن فن الملاحم يقوم على السرد القصصي المتشعب فالحوادث تتوالى متمشية مع التصورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث. ولعل غياب هذا العنصر المهم من ملحمة" الإلياذة الإسلامية" لأحمد محرم ما جعل ناقدا في وزن شوقي ضيف يقسو عليه فيجرد إلياذته من صفة الملحمية لأنها-حسب رأيه- خالية من العنصر القصصي تماما.

و-جلال الأسلوب:

الملحمة كفن أدبي يمتاز بفخامة الأسلوب وقوته ولن يتأتى له ذلك إلا « بإحكام السبك وجزالة اللفظ فالكلمات قوية الجرس إيحائية المعنى هي رماح وسيوف وطعن وضرب وقتل وأسر وانتصار ودماء وأشلاء ووقائع والصور تتخذ عناصرها من ألوانها وأجزائها وعناصرها من الدماء الجارية والسيوف اللمعة والرماح المشتجرة والجيوش الكثيفة .. والجمل جزلة على العموم موجزة ضخمة »[1].

ز- الموضوعية :

اشترط النقاد عنصر الموضوعية في الملاحم فالشاعر لا يسفر فيها عن نفسه لأنه لا يقصد الافتخار بنفسه أو التغزل أو المدح إنما يقصد القصص لذاته وقد يستعمل براعته الفنية في إظهار تعاطفه مع البطل أو إعجابه به أو إنكاره عليه فأبطال الملاحم في الحقيقة « لا يمثلون أفرادا بل هم رموز كلية لمُثلٍ تُحتذى »[2].

---

(1) علي بوملحم: في الأدب وفنونه، ص26.

(2) د.غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، هامش ص93.

4- بين الملاحم والمطولات الشعرية:

سبقت الإشارة إلى الصعوبة الكبيرة التي واجهت النقاد الباحثين وهم يحاولون تعريف الملحمة تعريفا جامعا مانعا غير أن الأصعب من ذلك هو محاولة تصنيف الملاحم في فئات متميزة، إنْ بحَسَبِ موضوعها وإنْ بحَسَبِ حجمها وطول نفَسها! .

ففي حين يرى فريق أن فن الملاحم يعزّ وجوده اليوم(*) لتعذر تحقيق عنصر الخوارق فيه لأن الخيال لم يعد ساذجا كما كان عند الأمم البدائية يقول سيد قطب:« ولكن يبدو أن جو الحياة الشعورية المعاصرة لم يعد يسمح للملاحم بالحياة كما سمح لها في فجر البشرية الوردي والقصة لم تعد صالحة للشعر »[1].

على أن ما يعاب على هذا الفريق هو تجميده لخصائص الملحمة كما وجدت منذ فجر التاريخ وكان عليه أن يجاري التطور – فهو سنة الحياة- والملاحم كفن أدبي لا تندّ عن تلك السنة وفي مقابل ذلك نجد فريقا أخر من الباحثين ينادي بمراعاة فروق العصر ويرى أن فن الملاحم -كبقية الأنواع الأدبية الأخرى- يجب أن يتطور مفهومه وتتغير خصائصه مع الزمن ويأتي على رأس هذا الفريق الدكتور عز الدين إسماعيل حين يقول في رده على الفريق الأول « فإذا صح أن عصرنا ليس عصر الملحمة -وهي قضية ما تزال تحتمل النظر- فإن القصيدة الطويلة في العصر الحاضر هي التعبير أو النوع الشعري البديل ونستطيع أن نقرر وفقا لنظرية تطور الأنواع الأدبية أن جوهر القصيدة الملحمية الطويلة قد أزداد وضوحا ونماء وتميزا في العصر الحديث و لم تفقد الملحمة إلا خصائصها الشكلية وملابساتها العامة كالطول المفرط والمدة الطويلة التي يستغرقها نظم القصيدة، وكما تطور النوع تطور الاسم الذي يطلق عليه فأصبحت القصيدة الطويلة بديلا من الملحمة» [2].

كما يرى هذا الفريق أن تطبيق بعض الخصائص لا يكاد ينطبق على كثير من روائع الأدب العالمي فيخرجها من حضيرة الفن الملحمي ومرد ذلك ليس لنقص في ذاتها كأعمال أدبية بقدر ما هو في المفهوم المتجمد للملحمة يقول الدكتور ميشال عاصي:« ثمة أعمال أدبية عديدة جاءت

(*) من هذا الفريق د. مندور في كتابه "الأدب وفنونه"، ص54 كما رأينا.

(1) سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص57.

(2) د. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص248.

مطابقة لهذا التبدل الحاصل في أوضاع الحياة ومنبثقة عنها، ولكنها ظلت بالقياس إلى الملحمة التقليدية مقصرة عنها مع أنها أعمال ليست مقصرة عن صورة الحياة و لا مغايرة لها، ولو أن المفهوم النظري للملحمة قد تطور استنادا إلى عناصرها المكونة لها في واقع الحياة لكانت جميع هذه الأعمال الأدبية ملاحم لا يشوبها نقص ولا يعتورها تقصير »[1].

لقد عرفت الملاحم والمطولات الشعرية شعوب مختلفة عبر التاريخ البشري ففي الهند القديمة ظهرت الملحمتان "رامايانا" و"مهابهاراتا" تقصان بطولات أسطورية عن الحب والآلهة وتصفان حروب "كورو" و"باندو" وأعمال الإله الهندي "كر يشنا" وقد عثر على جزء من ملحمة "جلجامش" سنة 1959م في "مجيدو" وقد كتبت بعدة لغات منذ الألف الثاني قبل الميلاد .. و"صلاة الفيداس" عند الهنود قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة[*].

وللإغريق قبل "هوميروس" ملاحم كثيرة، ثم قلدهم الرومان فوضع شاعرهم "فرجيل" ملحمة "الانياذة" مقتفيا فيها آثار "الإلياذة" اليونانية ثم جاء الإفرنج بأنشودة "رولان " التي ظهرت في فرنسا كما ظهرت "الكوميدية المقدسة" "لدانتي" في إيطاليا و"الفردوس المفقود" "لملتن" في إنجلترا وغيرها ...

وفي العصر الوسيط وضع الشاعر الفارسي العظيم "الفردوسي" ملحمة "الشهنامة" الرائعة كما ظهرت "شهنامة " القاسمي " و"شاهية البابري" وغيرها ...

أما الأتراك فلهم منظومة "شهودي" في أربعة آلاف بيت وأضخم ملحمة على الإطلاق تلك التي وضعها الشاعر التركي الملقب "بالفردوسي الطويل" حيث تحتوي على مليون وستمائة ألف بيت كتبها في ثلاثمائة وثلاثين مجلدا فلما عرضت على السلطان العثماني "بايزيد" أمر بانتخاب ثمانين مجلدا و إحراق الباقي[**].

بقي أن نشير إلى أنه يوجد اليوم تيار قوي يميل نحو إدراج بعض الأعمال الروائية الكبرى وبعض الأفلام السينمائية الضخمة ضمن قائمة الملاحم بالمعنى الواسع للكلمة فلم يعد لفظ الملحمة

---

(1) د. ميشال عاصي: الفن والأدب، نقلا عن يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص164.

(*) يُنظر د.عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص35.

(**) يُنظر جورج غريب: سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، ص54-55.

مقصورا على تلك الروائع من القصص الشعرية التي عرفت منذ فجر البشرية بل امتد ليشمل ما يعرف اليوم بالفن الملحمي الحديث[*].

5-ما حظ الأدب العربي من فن الملاحم؟! :

اختلف النقاد و الباحثون حول مسألة وجود"ملاحم" في الأدب العربي عموما والشعر منه على وجه الخصوص من عدم وجودها .

فذهب فريق منهم المستشرق"أربري" إلى « أن شعر العرب في الحديث عن الحروب وقصصها وأبطالها كقصائد عنترة ودريد بن الصمة ومهلهل بن ربيعه والحارث بن عباد وغيرهم يعد من الملاحم »[1] ويرى الدكتور زكي المحاسني أن الملحمة العربية يمكن أن تؤلف من قصائد عديدة لشعراء عديدين وأن الشعر العربي في ماضيه وحاضره ملئ بقصائد البطولات وأوصاف البيئة العربية و مجتمعها والتي يمكن أن نكون منها ملاحم...[2].

أما الدكتور سعد الدين الجيزاوي فيؤكد :« أن شعرنا الحديث ملئ بالملاحم» [3].

فكل شعر طال أو قصر وقد وصفت فيه المعارك وسردت فيه أخبار البطولة ورويت فيه ملاحمات الجلاد هو من شعر الملاحم...

والشعر الجاهلي الذي قاله أصحابه في أيام العرب "ملحمة كبرى" ولكنها مقطعة الأوصال قد اشترك في وضعها نفر لا يحصى عددهم من الشعراء »[4]

ويقول الأستاذ أحمد حسن الزيات:« أنه من الممكن اعتبار المطولات التي تشتمل على معارك وأحداث جسام ملاحم على سبيل التجوز» [5].

فهذا الفريق المثبت لوجود "ملاحم" في الشعر الغربي يرى بأن الملحمة قد تطور مفهومها و لم يعد هناك أي مبرر لمطالبة الشاعر بالإقتداء بـــ (هوميروس) في إنشاء الملاحم.

(*) يُنظر د. أحمد أبوزيد: الملاحم كتاريخ وثقافة، عالم الفكر، مج16، ع1، ص4.

(1) د. سعد الدين الجيزاوي: الملاحم والمطولات الإسلامية، مجلة الأزهر، ج4، ص 446.

(2) المرجع نفسه: ج5، ص 560.

(3) د. جابر قميحة: الأدب الحديث، بين عدالة الموضوعية وحناية التطرف، هامش ص80.

(4) المرجع نفسه: ص80.

(5) المرجع نفسه: ص 445.

يقول الدكتور عدنان النحوي:« لقد أخذ الغرب نفسه يتنازل عن خصائص الأسطورة[*] القديمة من حيث الطول ثم من حيث الموضوع و أما نحن فمازال منا من يصر على التزام آلاف الأبيات في ملحمتنا الإسلامية دون وجود أي مسوغ إلا التبعية غير الواعية »[1].

وذهب فريق آخر إلى تجريد الشعر العربي وبخاصة القديم منه من الفن الملحمي معزيا إثبات الفريق الأول لذلك من باب التعاطف وحتى لا يقال كيف غاب هذا الفن الأصيل من أشعار العرب القدامى وهم أرباب هذه الصناعة؟! .

ويأتي على رأس هذا الفريق الأديب سليمان البستاني فهو القائل:« كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة، لذة سريعة مختطفة لأن كل شيء عند العرب سرعة وذهب واختطاف. قد يحسون كل شيء إلا عاطفة الاستقرار وحيث لا استقرار لا تأمل وحيث لا تأمل فلا"ميثولوجيا" ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا إحساس بالبناء فالأدب عندهم لا يقوم على البناء وإذن لا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل »[2].

بهذا النفي القاطع والمتكرر- والذي لا يخلو من تعسف ظاهر- يجرد صاحب" مقدمة الإلياذة" الشعر العربي من الملاحم معزيا ذلك الى ضيق الأفق وسطحية التفكير وعدم الاستقرار لدى الشعراء العرب وقد تأثر بهذا الرأي الدكتور أحمد أمين فأعاد نفس الكلام - ولكن بتعسف وإجحاف أشد- فهو يقول« ... أما نظرة شاملة وتحليل دقيق فذلك مالا يتفق مع العقل العربي وهذا النوع من النظر هو الذي قصر نفَس الشاعر العربي فلم يستطع أن يأتي بالقصائد القصصية الوافية ولا أن يضع الملاحم الطويلة كالإلياذة والأوديسة »[3].

وممن أنكر وجود الملحمة في الشعر العربي القديم الدكتور شوقي ضيف وكم كان نقده "للإلياذة الإسلامية" للشاعر أحمد محرم قاسيا فقد جاء في كتابه "دراسات في الشعر العربي المعاصر" ما نصه:« والخلاصة أن إلياذة محرم ليست كما يظن حدثا جديدا في أدبنا بل هي عمل مسبوق وأن من الخطأ أن نسميها أو يسميها صاحبها "إلياذة" وإنما هي مجموعة من القصائد في سيرة الرسول وغزواته وهي أشبه ما تكون بالقصائد الغنائية، ومع ذلك فغنائيتها ضعيفة إذ ليس

(*) في رأي النحوي أن كلمة (EPIC) تعني أسطورة ومن الخطأ تسميتها ملحمة.

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص18.

(2) جورج غريب: سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، ص79.

(3) نقلا عن يحي الشيخ صالح : شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص205.

فيها مشاعر مثيرة ولا صور حية نضرة فلا تقرؤها حتى تجد أنها زاخرة بالفتور، وسرعان ما يملؤك السأم والملل، وهي لذلك شيء بين الشعر الغنائي والشعر التعليمي الجاف الذي يسرد عليك مجموعة من المعارف في أعداد وأرقام. أما الشعر القصصي فليس فيها منه شيء لأنها تفقد أهم أركانه وهو الخيال القوي النافذ الذي يقص عليك الأسطورة أو الحادثة التاريخية فيجعلك تستشعرها وتلمسها بكل تفاصيلها وجزئياتها لمسا قويا حتّى لكأنها تحفر في ذهنك حفرا»[1].

وقد رد عليه الدكتور سعد الدين الجيزاوي ردا مفصلا لا يتسع المجال هنا لطرحه[*].

وهناك من النقاد من ذهب إلى اعتبار"المعلقات" الشهيرة أقرب إلى الفن القصصي من غيرها و أبرزها من حيث النفَس الملحمي معلقة الحارث بن حِلزة ثم تليها معلقة عمرو بن كلثوم ومعلقة عنترة ومنهم من اعتبر "رسالة الغفران" لأبي العلاء المعري بجوها الأسطوري ونفَسها الطويل من صميم العمل الملحمي غير أن استغلاق عبارتها وخلوها من الوزن حالا دون إدراجها من ضمن الملاحم.

وقد اتفق جل الباحثين على أن "مطولات" خليل مطران وثيقة الصلة بفن الملاحم، ويعلل محمد مندور لذلك بكون الشاعر خليل مطران –في شعره القصصي–« لا يقصد فيه إلى فخر أو غزل أو مدح بل يقصد إلى القصص في ذاته كفن جميل خالص من كل هدف شخصي أو ارتباط بحياة الشاعر أو شخصيته »[2]. بل الأكثر من هذا يرى الدكتور شوقي ضيف في "نيرونيته" ملحمة كاملة وإن تفوقت عليها "خالدية" أبي ريشة بجلال أسلوبها وبهائه وشفافية التصوير وسهولة العبارة وعلى نقيض ذلك اعتبروا "أرجوزة" ابن عبد ربه خالية من أي طابع ملحمي لأنها تعتمد على رصد الحقائق التاريخية مجردة من الخيال في لغة ينقصها الجلال والبهاء[**].

بقي أن نشير فقط إلى سبب إغفال العرب نقل "إلياذة هوميروس" إلى لغتهم وقد ردها صاحب "مقدمة الإلياذة" إلى عدة عوامل منها: "الدين القائم على التوحيد والحاجة إلى العلوم

---

(1) د. شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر، ص56-57.

(*) يُنظر الرد مفصلا، د. سعد الدين الجيزاوي: الملاحم والمطولات الإسلامية، مجلة الأزهر، ج10، ص1091-1094.

(2) د. محمد مندور: خليل مطران، ص31.

(**) يُنظر الدكتور جابر قميحة: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، ص81.

أكثر من الحاجة إلى الأدب و الشعر و منها الوهم الذي سيطر على العرب فجعلهم يرون كلّ شعر على الأرض دون شعرهم رونقا و بهاء"[1]

6- أشهر الملاحم والمطولات الشعرية:

أ- عند الأعاجم:

اسم الملحمة	اسم المؤلف	جنسية المؤلف	عدد الأبيات
- الإلياذة	هوميروس	يوناني	15535
- الأوديسا	هوميروس	يوناني	-
- الأنياذة	فرجيلوس	روماني	-
- المهابهاراتا	عربها وديع البستاني	هندي	أكثر من 200.000
- الرامايانا	قاليكي	هندي	-
- أنشودة "رولان"	رونسار بيار	فرنسي	-
- الفروس المفقود	ملتن	إنجليزي	-
- الكوميديا المقدسة	دانتي أليلري	إيطالي	3 مجلدات
- جلجامش	-	هندي	-
- صلاة الفيداس	-	هندي	-

ب- عند المسلمين (غير العرب):

إسم الملحمة	اسم المؤلف	جنسية المؤلف	عدد الأبيات
- الشهنامة	الفردوسي	فارسي	-
- الشهنامة	القاسمي	فارسي	-
- الشاهية	البابري	فارسي	-
- شهودي	-	تركي	4000
- -	الفردوسي الطويل	تركي	1.600.000

(1) جورج غريب: سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، ص78.

ج- عند العرب:

اسم الملحمة	اسم المؤلف	عدد الأبيات
- نونية ابن القيم	ابن قيم الجوزية	5949
- دول العرب وعظماء الإسلام	أحمد شوقي	1726
- الإلياذة الإسلامية	أحمد محرم	5274
- ملحمة عيد الغدير	بولس سلامة	5500
- ملحمة عيد الرياض	-	-
- رسالة الغفران	أبو العلاء المعري	-
- ثورة في الجحيم	الزهاوي	-
- أمير الأنبياء	عامر محمد بحيرى	1200
- إلياذة الجزائر	مفدي زكريا	1001
- نبي الحرية	محمود حسن إسماعيل	-
- نيرونية مطران	خليل مطران	-
- حرب فلسطين المقدسة	محمود محمد صادق	566
- المعلقة الإسلامية	اليعربي	850
- السماوات السبع	كامل أمين	-
- الذكريات الإسلامية	محمد البدري	450
- عمرية حافظ	حافظ إبراهيم	187
- بكرية عبد الحليم	عبد الحليم المصري	211
- العلوية الكبرى	عبد المطلب	307
- خالدية أبي ريشة	عمر أبو ريشة	-
- كشف الغمة في مدح سيد الأمة	سامي البارودي	447
- نهج البردة	أحمد شوقي	190

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إسم الملحمة	اسم المؤلف	عدد الأبيات
- همزية شوقي	أحمد شوقي	201
- مقصورة رشيد رضا	رشيد رضا	294
- مطولة أحمد محرم	أحمد محرم	229
- مقدمة ملحمة النبي	عمر أبو ريشة	-
- ملحمة بدر	أحمد الخاني	-

تنبيـــــه : اعتمدنا في إعداد هذه الجداول على مراجع مختلفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البـــــاب الأول

المضاميـــــن

جامعة الأمير بدر للعلوم الإسلامية

الفصـــــــل الأول

ظاهرة الاغتراب في شعر عدنان النحوي

1- بواعث الاغتراب في شعر عدنان النحوي

2- مظاهر الاغتراب في شعر عدنان النحوي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــــد:

يشهد واقعنا اليوم غربة قاسية في حياة المسلمين، غربة لم يشهدها التاريخ الإسلامي عبر امتداده الطويل، ديار تتساقط، ومجازر تتوالى، وقوافل متتابعة على طريق اللجوء والاغتراب، حتّى أصبح المسلم غريبا في داره، غريبا في أصحابه، غريبا حتّى بين أهله وعشيرته...!.

ولقد اتخذت هذه الغربة عدة صور ومظاهر في حياة المسلمين فقد اتسعت عبر خارطة العالم الإسلامي حتى كادت تشمل جميع البلدان الإسلامية «وقد ذكر تقرير خاص أعده مركز التنمية للدول الإسلامية أن (90%) من لاجئي العالم مسلمون »[1].

كما اتسمت هذه الغربة باستعمال العنف والقهر والتنكيل بالضعفاء وتشريدهم، ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم، فقد غدت دماء المسلمين اليوم أرخص الدماء البشرية، بل أرخص حتّى من دماء بعض الحيوانات كما في بعض البلاد التي يقدس فيها الحيوان[*]، وباتت أراضيهم وممتلكاتهم نهبا لكل طارق... هذا والمسلمون في غفلة تائهون، وبالجهالة يتلذذون، و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [2].

1- بواعث الاغتراب في شعر عدنان النحوي:

عرف شاعرنا مرارة الاغتراب منذ نعومة أظافره، فقد شهد وهو دون العشرين من عمره أول قافلة من قوافل النزوح عن أرض آبائه وأجداده "فلسطين" الحبيبة، على أن ذلك لم يكن إلاّ بداية التعايش مع الاغتراب، وما كان أحد من الناس يومها يظن أنّ تلك القافلة المشؤومة ستتبعها قوافل تترى، وفق مخطط أعدته الأجهزة الصهيونية بإحكام، وطبقته على مراحل متتالية.

لقد كان هذا النزوح الجماعي عن الأراضي صورة رهيبة تعبر عن الواقع المزري والوضع المتردي الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية صورة تحمل كلّ معاني الضعف والهوان، والغفلة والفرقة وصفها شاعرنا عدنان النحوي بقوله :

يَا أُمَةَ الإسْلاَمِ قَدْ عَظُمَ البَــلاَ ∴ وَارْبَدَّ فِي سَاحَاتِكِ الطُغْيَـــانُ
أَفْلَتِّ حَبْلَ اللهِ وَارْتَخَتِ العُرَى ∴ وَجَرَتْ عَلَى سَاحَاتِكِ القِطْعَانُ

---

(1) جريدة "المسلمون": ع467، س9، 3 شعبان 1414هـ ، 14 يناير 1994م.

(*) كما في الهند مثلا، حيث يعتبر "الهندوس" دماء الأبقار أقدس من دماء المسلمين.

(2) الروم الآية31 .

وَهَجَـرْتِ قُرْآنـًا وَسُنَـــةَ أَحْمَـدٍ ∴ يَاوَيْلَ مَنْ يَنْأَى بِهِ الهِجْـــرَانُ
لَوَّيْتِ عَنْهُ الطَـرْفَ فَانْتَفَضَ الأَسَـى ∴ يَلْوِي زِمَامَ قِيَادِكِ الشَيْطَـــانُ
وَأَخَذْتِ مِنْ كُلِّ الشُعُـوبِ ضَلاَلَـةً ∴ فَرَمَاكِ فِي ظُلُمَاتِـهِ الكُفْـرَانُ
أَلْقَيتْ بِسَـاحَتِكِ الدِيَـارُ ضَرِيعَهَـا ∴ فَحَسِبْتِ أَنَّ ضَرِيعَهَا الرَيْحَـانُ
قُومِي انظُرِي الأَحْفَادَ كَيْفَ نُفُوسُهُمْ ∴ هَانَتْ عَلَيهَا الْمَكْرُمَاتُ فُهَانُوا[1]

ومرت أيام وأعوام، وفقد اللاجئون كلّ أمل لهم في العودة إلى أراضيهم، فاشتدت غربتهم، وضاقت بهم السبل، بل ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فقد منعوا من الحركة والتنقل بحرية وقلت فرص العمل والارتزاق، وأوصدت في وجوههم أبواب طلب العلم والمعرفة، وبالجملة فقد عانوا مرارة الإغتراب بأتم معنى الكلمة :

سَأَلَتْ مَنْ تُـــرَاهُ ذَاكَ الغَـرِيبُ ∴ مَنْ هُوَ الشَاعِرُ الحَزِينُ الكَئِيبُ
وَمَنِ البُلْبُلُ الصَدُوحُ الـذِي قَصْـ ∴ ـصَ جَنَاحَيْهِ صَاحِبٌ وَقَرِيبُ
أَنَا يَا أُخْتُ ضَـائِـعٌ لَسْتُ أَدْرِي ∴ أَيْنَ قَوْمِـي وَأَيَّ أَرْضٍ أَجُوبُ
فِي ضُلُوعِي أَسًى! وَفِي العَيْنِ دَمْعٌ ∴ يَتَنَزَى وَفِي الفُـــؤَادِ نُـدُوبُ
وَعَلَى الوَجْهِ بَسْمَـةٌ ظَلَّلَتْهَـــا ∴ غَبْرَةُ المَوْتِ وَاعْتَرَاهَـا شُحُوبُ
حَيْثُمَا مِلْتُ أَدْبَـرُوا وَأَشَـــارُوا ∴ بِيَدٍ وَانْطَـوَوْا وَقَالُـوا غَـرِيبُ
لاَجِـئٌ أَطْعِمُـوهُ كِسْـرَةَ خُبْزٍ ∴ وَدَعُوهُ إِذَا بَـدَا مَـا يُـــرِيبُ
وَضَعُوهُ فِي خَيْمَـةٍ كُلَّمَـا حَنَّـ ∴ ـنَ إِلَى الدَارِ طَرْفُهُ وَالوَجِيبُ[2]

وهكذا أخذت الغارة على العالم الإسلامي تمتد، والمآسي تتوالى كقطع الليل المظلم، وقوافل اللجوء والاغتراب من هنا وهناك: من لبنان وأفغانستان، ومن البوسنة والهرسك، ومن كشمير وفلبين و بورما وغيرها...

لقد أحكم الأعداء خطتهم لإفساد أبناء المسلمين عن طريق غزوهم فكريا، مستغلين في ذلك تطور وسائل الاتصال والدعاية والتأثير عندهم، والفراغ الثقافي عندنا، وما أن تسنى لهم ذلك حتى تمكنوا من أن يستولوا على بلادنا وممتلكاتنا، وأن يجعلونا غرباء في أوطاننا وبين أبنائنا، يقول

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 210.

(2) د. عدنان النحوي : ملحمة الغرباء، ص 87 .

الدكتور يوسف القرضاوي:« إن الغزو الثقافي والأخلاقي والاجتماعي أثر في حياتنا تأثيرا عميقا حتى مزق شخصيتنا من الداخل وجعلنا —إلا من رحم ربك- نعيش غرباء عن أنفسنا، غرباء ونحن في أوطاننا ومع أهلينا وذوينا. إنها غربة النفس و الفكر والروح ».[1]

وقد رصد شاعرنا كل هذه الظواهر بعين الخبير المجرب، والحكيم النطاسي، بل عاشها وتجرع من ويلاتها، وهاهو ذا يصف الداء وصف معاينة، ووصف الداء نصف الدواء كما يقال :

وَاهًا عَلَى أُمَةِ الإِسْــلاَمِ صَيَّرَهَــا ∴ حُبُّ الحَيَاةِ غُثَاءَ السَيْــلِ وَالنَهَرِ
مَالُوا إِلَى عَرَضِ الدُنْيَا وَخُضْرَتِهَــا ∴ وَأَدْبَرُوا عَنْ جِهَادٍ مُورِقٍ خَضِرِ
مُدَّتْ لَهُمُ بُسُطُ الدُنْيَــــا مُرَفَّهَــةً ∴ عَلَى فِرَاشٍ نَدِيِّ الطِيْبِ وَالسُتُرِ
وَأَسْلَمُوا لِلْعِــدَى أَعْنَــاقَهُمْ ذُلُلاً ∴ عَلَى شِفَارٍ تُدَمِّي رَعْشَــةَ الخَوَرِ
يَا أُمَّةً عَرْبَدَتْ أَهْوَاؤُهَا فَجَــرَتْ ∴ عَلَى أَعَاصِيرِهَا مَجْنُونَــةَ السَكَرِ
مَاتَتْ بِهِمْ هِمَمُ الأَبْطَالِ وَانْطَلَقَتْ ∴ عَلَى السُرَى هِمَمُ الأَشْبَاهِ وَالصُوَرِ
رَمَتْ بِهِمْ عَنْ سُرُوجِ العِزِّ أَحْصِنَةٌ ∴ وَمَرَّغَتْهُمْ عَلَى الأَوْحَالِ وَالعَفَــرِ[2]

على أن ما يحز في نفس عدنان النحوي و يضاعف من لواعج غربته حقا، هو نجاح المجرمين —للأسف- في إخماد جذوة العقيدة لدى كثير من أبناء المسلمين، حتى جعلوا من بعضهم "علمانيين" ينادون بفصل الدين عن الدولة والحياة، وحتى «نادى بعضهم جهرة بأخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وحلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب!» [3].

ويؤكد الشاعر على أنّ الانتكاسة التي يعاني منها المسلمون، إنما كان سببها انحسار دور العقيدة« وعندما انحسر دور العقيدة، شلت العقول، وعرفت الساحة الفكرية جمودا وانغلاقا لا مثيل لهما ».[4]

ومن ثم أصبح المسلمون فريسة سهلة الابتلاع والهضم معا :

---

(1) د.يوسف القرضاوي : الصحوة الإسلامية و هموم الوطن العربي و الإسلامي، ص 25.

(2) د.عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 22-23.

(3) يوسف القرضاوي: المصدر السابق، ص 149.

(4) محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الاسلامي، ص 38.

لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهَا وَمُرُوجَـا ∴ نَضِبَتْ أَوْ حِجَـارَةً صَمَّـاءَ
إِنَّمَا أَنْدُبُ العَقِيدَةَ تَـذْوِي ∴ فِي نُفُوسٍ تَعِيسَـةٍ وَالإِبَـاءَ
مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّـا ∴ قَدْ هَجَرْنَا العَقِيدَةَ السَمْحَاءَ
لَفَظَتْنَا الدِيَارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظًـا ∴ وَأَحَالَتْ كِرَامَنَـا غُرَبَـاءَ[1]

ويذكر الشاعر أن السبب الأصيل لواقعنا المؤلم هو إعراضنا عن الله وأعمالنا المجانبة لشرعه، وحياتنا المنحرفة عن الإسلام بكل منطلقاتها، ولذلك فقد أصابنا الذل، وأصبحنا نعيش على ما تجود به موائد الأعداء من فتات!.

عَجَبًا كَيْفَ قُطِّعَتْ أُمَّـةُ العُـرْ ∴ بِ وَكَانَتْ عَقِيدَةً وَإِخَـاءَ!
عَجَبًا كَيْفَ زُلْزِلَتْ أُسُسُ الـدَا ∴ رِ وَهَبَتْ رِيَاحُهَا هَوْجَـاءَ!
أَفْلَتَتْ حَبْلَهَـا المَتِينَ وَأَرخَـتْ ∴ مِنْ عُرَاهَا وَبَـدَّلَتْ أَهْـوَاءَ
وَتَدَنَّتْ لِتَعْرِقَ العَظْمَ مِـنْ كَفْـ ∴ ـفِ غَرِيبٍ يُلْقِي بِهِ إِلْقَـاءَ
وَمَضَتْ تَطْلُبُ الحَيَـاةَ بِجِيْفَـا ∴ تٍ وَنَتْنٍ ذَلِيْلَـةً بَلْهَـاءَ
ذَلَّ مَنْ يَطْلُبُ الحَيَاةَ مِنَ الخَصْـ ∴ ـمِ وَيَرْضَى مِنْ كَفِّهِ إِعْطَاءَ[2]

فالنحوي هنا يتفاعل مع واقع أمته الإسلامية وأحداث حاضرها، فيئن طرحه الشعري بآلامها، وينعي همومها وغفوتها، كما ينبض قلبه بالأمل في غد أفضل لها، وهو لا يدع فرصة تمر إلا والتمس لها الخلاص مما تعانيه، وحتّى في مناجاته لربه في خلوته، يبتهل إلى الله أن يفرج عنها الكروب:

إِلَهِي فَمَنْ لِلْمُسْلِمِينَ وَقَدْ غَفَوْا ∴ وَمَا أَيْقَظَتْهُمْ أَيَةٌ وَمَصَاحِفُ
إِلَهِي أَعِنَّا وَاسْكُبِ النُورَ بَيْنَنَـا ∴ بِأَفْئِدَةٍ ضَاقَتْ عَلَيْهَا المَصَارِفُ
وَأَلِّفْ قُلُوبًا فَرَّقَ الحِقْدُ بَيْنَهَـا ∴ وَقَدْ يَجْمَعُ الأَضْدَادَ يَوْمًا تَآلُفُ
وَهَبْنَا يَقِينًا فِي القُلُوبِ لَعَلَّنَـا ∴ نَهُبُّ إِلَى سَاحَاتِنَا وَنُشَـارِفُ
وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا رَحْمَةً تَغْسِلُ الـذِي ∴ نَهُمُّ بِهِ مِنْ مَأْثَمٍ وَنُقَـارِفُ[3]

---

(1) د.عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 125 .
(2) المصدر نفسه : ص 126-127.
(3) د.عدنان النحوي : مهرجان القصيد، ص 56.

إن الشاعر الإسلامي يستشعر تفرده وتميزه بما يحمل من مبادئ وقيم إيمانية في بيئات ومجتمعات أشد ما تكون حاجة إليها، ومن ثم يصبح تمسك هؤلاء الشعراء بقيم الدين الحنيف مصدر خير لهم وللمهتدين بهديهم، بينما يتدنى الآخرون بانزوائهم عن تلك القيم، ومن هنا كان اغتراب الشاعر الإسلامي اغترابا إيجابيا لأنه « اكتشف بحدسه خطأ في واقعه، فحاول التخلص منه، ومن آثاره، أو بإيجاد بديل عنه، وهنا يكون الاغتراب مظهرا من مظاهر الانسحاب من الحياة الخاطئة إلى حياة أكثر نبلا وإيجابية »[1].

ونحن لا نخال اغتراب النحوي إلا من هذا القبيل، فهو يربأ بنفسه أن تغترب اغتراب أهل الباطل والفساد في الأرض، لأنّه اغتراب على طريق جهنم، وأهله أشقياء في اغترابهم فبئس الغرباء...

أَنَا الغَرِيبُ إِذَا فَـارَقْتُ حَانِيَـةً ∴ مِنَ الكِتَابِ وَآيَاتٍ مِنَ الحِكَـمِ
وَسُنَّةً مِنْ رَسُـولِ اللهِ مُشْرِقَـةً ∴ وَصُحْبَةً مِنْ صَفِيِّ العَهْدِ وَالـذِمَمِ
أَنَا الغَرِيبُ إِذَا جَاوَزْتُ مُعْتَقَـدِي ∴ وَرُحْتُ أَضْرِبُ فِي وَهْمٍ وَفِي رُجُمِ(*)
أَنَا الغَرِيبُ إِذَا اسْتَسْلَمْتُ عَبْدَ هَوًى ∴ وَعَرْبَدَتْ شَهَوَاتُ العُمْرِ مِلْءَ دَمِي
وَغُرْبَةُ النَفْسِ تُشْقِي كُلَّمَا نَـزَعَتْ ∴ نَفْسٌ إِلَى صَنَمٍ يَهْوِي إِلَى صَنَـمِ
وَقَسْوَةُ الذُلِ أَنْ يَرْقَى الشِعَارُ عَلَى ∴ زَخَارِفٍ كَذَبَتْ فِي السَاحِ وَالأَكَمِ[2]

إن المعادلة الصعبة التي حيرت شاعرنا، وقضت من مضجعه، وجعلته يعيش الاغتراب الإيجابي بكلّ أبعاده، هو ذلك البون الشاسع بين واقع الأمّة الاجتماعي، ووضعها الأدبي، أي تخلي الأدباء عن أداء رسالتهم الخطيرة في إصلاح أمراض المجتمع، « ففي الوقت الذي يتلظى فيه المجتمع بنيران مشاكله المختلفة، التي تشكل سلسلة طويلة من السلبيات، نجد الأدب يتعالى ويرتكس في درك الذاتية والوجودية واللامبالاة، يتغنى بشطحات نفسية وهلوسات كلامية لا تتوفر خصائصها حتّى لدى الأغبياء و المجانين »[3] يصف النحوي هذا الأدب الضائع، والذي مهما سمحت

---

(1) د.عمر بوقرورة : الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، مخطوط رسالة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1993-1994، ص21.

(*) رجم : جمع رجام وهو حجر يلقى في الماء بعد ربطة بخيط ليعرف عمق الماء.

(2) د.عدنان النحوي : ملحمة الغرباء، ص 149-150.

(3) محمد إقبال عروي : جمالية الأدب الإسلامي، ص 25.

ظروف معينة بانتشاره، فهو كالزبد سرعان ما يذهب جفاء، وسيخلد أدب الحق والنور بغاياته السامية...

أَدَبُ التَّـائِهِينَ لَيْـلٌ وَخَمْـرٌ ∴ بَيْنَ كَـأْسٍ مُحَطَّمٍ أَوْ غِيْـدِ
حِيْنَ يَغْفُو القَصِيْدُ فِي خَدَرِ السُكْـ ∴ ـرِ لِحَصْـرٍ مُهَفْهَفٍ وَنُهُودِ
أَدَبٌ ذَلَّ فِي الفُجُـورِ وَنَـامَتْ ∴ بَيْنَ أَحْضَانِهِ جُفُـونُ العَبِيـدِ
يَتَـوَارَوْنَ خَلْفَ سِحْـرِ شِعَـارٍ ∴ كَاذِبٍ أَوْ زَخَارِفٍ وَوُعُـودِ
سَمِّ مَا شِئْتَ مِـنْ مِثَـالٍ فَهَـذَا ∴ أَدَبُ الضَائِعِ الشَقِيِّ الجَحُـودِ
سَوْفَ يَفْنَى مَعَ الزَمَـانِ وَيَبْقَـى ∴ أَدَبُ الحَقِّ شُعْلَةً فِي الوُجُـودِ[1]

ويتساءل الدكتور نجيب الكيلاني عن علاقة الأديب المسلم بمجتمعه « هل تعكس هذه العلاقة استجابة الأديب المسلم لواقع المجتمع، والتعبير عما يدور فيه؟ إذا كان الأمر على هذا النحو من التصور، فإن دور الأديب يبدو سلبيا، وقد يبقى الأمر في هذا المجتمع على ما هو عليه من فساد، وهنا تنعدم المسؤولية الأدبية أو (الرسالية) ويصير الالتزام ضربا من الجمود على ما هو قائم، وتمجيدا لما هو راسخ، ومن ثم تزمن العلل الاجتماعية، وتنطمس معالم التغيير الإيجابي والتطوير ويصبح الأدب بحق مجرد تسلية وترفيه! »[2].

ثم يجيب الدكتور عن تساؤله الوجيه قائلا:« فالمسؤولية المقدسة في عنق الأديب المسلم تجعله يهدف أول ما يهدف إلى تحقيق السعادة والتوازن النفسي لدى الأفراد واعتدال الموازين بين فئات المجتمع والانطلاق من موقف إيماني صحيح والنظر إلى سوءات الحياة الاجتماعية نظرة الطبيب لمريضه، حيث تقتضي هذه العلاقة الحب والفهم والولوج إلى القلوب لتحقيق الثقة والإيمان والأمل، ومن ثم يتولد الموقف الإيجابي... الموقف الذي يتحول إلى ممارسة وتغيير للأفضل »[3].

ومن هذا المنطلق يطرح الشاعر عدنان النحوي رؤيته وأفكاره لما يجب أن تكون عليه القصيدة الإسلامية من نبذ الهوى والضياع، مصححا بعض المفاهيم الخاطئة، مبينا ما يجب أن يتحلى به الشاعر المسلم من سمات وقيم نبيلة تنبع من الدين الإسلامي الحنيف وتحول دون الشطط الفكري والجموح الغرائزي فيقول واصفا هذا الأدب السامي:

---

[1] د.عدنان النحوي : مهرجان القصيد، ص 67.

[2] د.نجيب الكيلاني : مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 116.

[3] المرجع نفسه: ص 118.

أَدَبٌ يَرْتَوِي البَيَانُ لَدَيْـــــــهِ ∴ مِنْ "حَدِيثٍ" مِنَ الكِتَابِ الْمَجِيدِ
رَفَّ بِالطِّيبِ عُودُهُ فَتَمَـــــنَى ∴ كُلُّ رَوْضٍ نَدَاوَةً مِـــنْ عُـــــودِ
يَنْشُرُ الجَوْهَرَ الكَرِيمَ عَلَى الدَهْـــ ∴ ـــرِ غَنِيًّا بِاللُّؤْلُؤِ المَنْضُـــــــودِ
هُوَ رَفُّ النَدَى عَلَى الوَرَقِ اليَـــا ∴ بِسِ يَهْتَزُّ فِي رَبِيعٍ جَدِيـــــــدِ
هُوَ زَهْوُ الصِّبَا التَقِي وَشَـــوْقٌ ∴ مِنْ عَفَافٍ وَزِينَةٌ مِنْ بُـــــرُودِ
هُوَ فِي الكَوْنِ آيَةٌ حَوَمَ الْمَجْـــ ∴ ـــدُ عَلَيْهَا فَعَادَتْ رَوَائِعًا مِنْ نَشِيدِ
يَا حَنَانَ القَصِيدِ، يَا لَمْسَةَ الإِسْـــ ∴ ـــلاَمِ سَلْوَى الحَزِينِ مَأْوَى الطَرِيدِ
يَا رِحَابَ الأَمَانِ يَمْسَـــحُ ذُلاً ∴ عَنْ جُفُونٍ وَدَمْعَةً عَنْ خُـــدُودِ
يَا لِنُعْمَى الإِنْسَانِ يَحْمِلُ مِنْـــهُ ∴ مِشْعَلاً شَقَّ مِنْ لَيَالٍ سُـــــودِ[1]

وفي هذا الصدد يتعرض شاعرنا لقول الشاعر الماجن "عطاء الخرساني" الذي قال بإيحاء من شيطان غرائزه وشططه الفكري وسوء أدبه مع الله عز وجل :

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَـــا فِتْنَـــةً ∴ وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونْ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الجَمَـــالَ ∴ فَكَيْفَ عِبَادُكَ لاَ يَعْشَقُونْ[2]

لقد أثار هذا القول المشوب بالخطل والساقط في مهاوي الخسة ودركات السفالة مشاعر النحوي وأحاسيسه، وحرك لواعج الاغتراب في مكامنه، فعارضه معطيا البديل المنشود :

خَلَقْتَ الجَمَالَ لَنَا آيَـــــةً ∴ تَطُوفُ القُلُوبُ بِهَا وَالعُيُونْ
وَأَبْدَعْتَ فِي الكَوْنِ مَا تَجْتَلِي ∴ عُيُونٌ وَمَا هُوَ سِـــرٌ دَفِـــينْ
وَزَيَّنْتَهُ! يَا لِهَذَا الجَمَـــــالِ ∴ وَهَذَا الجَلاَلِ وَهَـــذَا الحَنِينْ
فَتَخْشَعُ فِي نُـــورِهِ أَضْلُـــعٌ ∴ وَتَخْفُقُ أَشْوَاقُهَا وَالشُجُـــونْ[3]

وليس معنى ترائي اليأس في بعض أشعار النحوي أحيانا، أنّه قد تجرّد من الرؤية الإسلامية، وقيم الدين الإسلامي الحنيف، فالتصور الإسلامي في شعره إنما يجيء مرتكزا على أسس فكرية راسخة في عقله ووجدانه، مردها إيمانه العميق برسالة الإسلام الشاملة التي تستوجب على كلّ أديب مسلم ألا ينحرف عن التصور الإسلامي في كلّ ما يطرحه على الناس من إنتاج أدبي...

---

[1] د.عدنان النحوي: مهرجان القصيد، ص 65-66.

[2] المصدر نفسه: ص 74.

[3] المصدر نفسه: ص 75 .

يبقى أن ما بتلك الأشعار من تمرد على الواقع، واغتراب عنه، ورفض شديد له، ليس إلاّ وجها من وجوه محاولة إصلاح سلبيات ذلك الواقع المريض، ولا أدل على ذلك من روح التفاؤل التي تطبع جل قصائد النحوي، فتشع فيها الشعور بالأمن والاطمئنان، فهو برغم كلّ المآسي والنكبات، لا يهتز إيمانه، ولا يتخاذل تفاؤله بقدوم يوم النصر، وشعاره، في ذلك قوله:

مَهْمَا يَطُلْ لَيْلٌ فَـإِنَ صَبَاحَـهُ ∴ سَيُطِلُ يُوقِظُ نُوَّمًا وَكُسَالَى[1]

أو قوله في يقين بأن شمس الإسلام ستبزغ من جديد :

سَيَطْلُعُ الفَجْرُ مَهْمَا طَالَ مَوْعِدُهُ ∴ عَلَى شُمُوسٍ مِنَ الآفَاقِ وَالسُحُبِ [2]

كما أن الاستبداد السياسي كفيل بخلق أسباب الاغتراب ومضاعفاته لدى المفكرين والأدباء، وقد تبلغ هذه الأسباب منتهاها « حين تلجأ السلطات إلى استخدام العنف والتعذيب البدني والنفسي داخل السجون والمعتقلات التي يساق الناس إليها بالسياط ويعاملون فيها أدنى مما تعامل الحيوانات في الحظائر، ولقد رأى المتدينون المسلمون وخاصة داخل تلك السجون من ألوان الإيذاء والعذاب ما تقشعر من ذكره الأبدان، وما تشيب من هوله الولدان »[3].

لقد كان للأحداث المؤسفة التي تقع في بعض البلدان العربية والإسلامية من حين لآخر بسبب الاستبداد السياسي، والتي يذهب ضحيتها آلاف الأبرياء، كان لها وقع شديد على نفس عدنان النحوي جعلته يترف ألما، فهولا يعيش لفلسطين وحدها بل يعيش للوطن العربي والعالم الإسلامي، وكل مكان يعاني فيه المسلمون أنواع الاضطهاد نجد له صدى في شعره :

أَدَمٌ يُرَاقُ وَ فِتْيَةٌ يَتَسَاقَطُـــــو ∴ نَ وَعُصْبَةُ الطَاغُوتِ فِيْهِمْ تَحْكُمُ

وَالشَعْبُ مِسْكِينٌ يُجَـرَدُ فَوْقَـــهُ ∴ سَيْفٌ تُشَلُ بِهِ اليَـدَانِ وَيُلْجَـمُ

وَتُرَدُ أَبْوَابُ السُجُـونِ وَخَلْفَهَـا ∴ جَسَـدٌ يَغِيبُ وَهِمَـةٌ تَتَقَـدَمُ

وَيُشَـرَدُ الأَحْـرَارُ فِي أَفْـوَاهِهِمْ ∴ صَوْتُ الجِهَادِ قَصَائِـدٌ وَتَـرَنُمُ

---

[1] د.عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 130.

[2] المصدر نفسه: ص 180.

[3] د.يوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية بين الجحود و التطرف، ص 125.

وَمَحَـاكِمُ التَفْتِيشِ مُـذ رِوَاقُهَـا ∴ كَفٌ يَسِيْلُ عَلَى جَوَانِبِهَا الْـدَمُ
وَأَخُو القَضَاءِ أَخُو هَوًى وَضَغِيْنَـةٍ ∴ وَجَهَالَةٍ تَبْـدُو عَلَيْـهِ وَتُرْسَـمُ
يَا شَعْبُ! بِاسْمِكَ كَمْ تُبَاحُ مَظَالِمٌ ∴ وَالشَعْبُ لاَ يَدْرِي وَلاَ هُوَ يَحْكُمُ[1]

ومن نتائج الاستبداد السياسي وثماره اللعينة التدين المغشوش حيث « يبارك الاستبداد التدين المغشوش، تدين المواليد والأضرحة والنذور، وصيحات المجاذيب، وحلقات الدراويش، وما إلى ذلك من ألوان التدين السلبي الذي يعزل صاحبه عن المجتمع ومشكلاته والأمة وقضاياها وحسبه-إن كان مخلصا- أن يبحث عن النشوة الروحية لنفسه، تاركا الطغيان يفعل ما يشاء، مرددا قول من قال :« أقام العباد فيما أراد! »[2].

ففي قصيدة بعنوان "ضياع" يفضح شاعرنا التدين المزيف لهؤلاء الضائعين، الذين حَكَّمُوا أهواءهم في شرع الله، واغتروا ببعض المظاهر والقشور، وغفلوا عن الجوهر، والأدهى من ذلك أنهم عدوا أنفسهم على حقّ وسواهم على باطل، فكان مثلهم كمثل ﴿ الذِينَ ضَلَ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْدُنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[3].

يقول النحوي في هؤلاء، معطيا البديل كما هي عادته:

أَرْخَوا هَوَاهُمْ وَمَدُوا مِنْ (مَسَابِحِهِمْ) ∴ وَزَيَنُوا مِنْ مُسُـوحِ الكِبْرِ وَالبَطَـرِ
وَتَمْتَمُوا حَلَقَـاتِ الذِكْـرِ لاَهِيَـةً ∴ نُفُوسُهُمْ وَغَفَوْا فِي نَـاعِمِ السُـرُرِ
وَفَلْسَفُوا كُـلَّ تَقْصِـيرٍ وَمَعْصِيَـةٍ ∴ بِمَنْطِـقٍ عَاجِـزِ التِبْيَـانِ مُحْتَقَـرِ
لَمْ يَتْرُكُـوا مِنْ أُمُـورِ الدِينِ بَيِنَـةً ∴ إِلاَّ رَمَوْهَا عَلَى تِيْـهٍ مِـنَ الفِكَـرِ
ثُمَ ادَعَـوْا نَسَبًـا لِلْدِيـنِ وَيْحَـهُمُ ∴ وَشَائِجُ الدِينِ تَقْوَى القَلْبِ وَالفِطَـرِ
وَهِـمَّةٌ نَهَضَتْ لِلهِ صَـادِقَـةٌ ∴ وَلَمْ تُوَلِّ العِدَى فِي الرَوْعِ مِنْ دُبُـرِ
تَمَسَكَتْ بِكِتَـابِ اللهِ وَاعْتَصَـمَتْ ∴ بِسُنَّـةٍ وَمَضَتْ مَتْبُوعَـةَ الأَثَـرِ[4]

لقد آلى الشاعر على نفسه -من منطلق إيمانه- أن يغترب عن الحياة الاجتماعية الزائفة، وعن النظام الاجتماعي الجائر، و هو في اغترابه هذا لا يكف عن إصلاح بني مجتمعه طرفة عين،

---

[1] د.عدنان النحوي: الأرض المباركة، ص 181-182.

[2] ديوسف القرضاوي: الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي و الإسلامي، ص 139-140.

[3] الكهف الآية 104.

[4] د.عدنان النحوي: موكب النور، ص 181-182.

فتراه ينصح مرة ويعاتب أخرى كالطبيب الذي يصف الدواء النافع بحلوه ومره و لا يضع نصب عينيه إلا أن يرى مريضه سليما معافى... على أنّ ما يحز في نفسه، ويكدر صفو حياته، ألا تجد نصائحه آذانا صاغية، وقلوبا واعية، فيجعله ذلك يشعر بمرارة العقوق :

رُوَيْدَكَ ! كَمْ هَيَجْتَ مِني أَمَانِيَـا ∴ وَرَجَعْتَ مِنْ ذِكْرَى اللَيَالِي لَيَالِيَا
فَنَاشَدْتُ مِنْ عَهْدِ الوِدَادِ وَ صَفْوِهِ ∴ لَعَلَكَ تَصْغَى لِي فَمَا أَنْتَ صَاغِيَا
لَهَوْتَ مَعَ الدُنْيَا وغـرَكَ حَالُهَـا ∴ فَتَسْكُبُ أَحْلاَمًا وَ تَنْهَلُ سَالِيَـا
عَتَبْتُ عَلَى رُشْدٍ يَضِيعُ وَ مُهْجَـةٍ ∴ تَذُوبُ وَ وَهْمٌ ظَلَّ حَوْلَكَ دَاعِيَـا
وَمَا كَانَ عَتْبِي غَيْرُ نُصْحٍ مُؤَمـلٍ ∴ إِلَيْكَ صَلاَحًا لاَ يَرُدُ رَجَائِيَـا
إِذَا زِدْتُ فِي نُصْحِي تَزِيْدُ ضَلاَلَـةً ∴ وتُمْعِنُ فِي لَهْوٍ وَ تُدْبِرُ جَافِيَـا
فَهَـلْ رَوَتِ الأَيَـامُ مِنْكَ صَبَابَـةً ∴ وحُرْقَةَ نَارِ الشَوْقِ أَمْ عُدْتَ صَادِيَا!
وَمَا العَتْبُ إِلاَ غَايَـةُ الـوُدِ بَيْنَنَـا ∴ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ كَتَمْتُ عِتَابِيَـا[1]

إلا أن نفس الشاعر الكبيرة تأبى عليه أن يقابل العقوق بمثله، ولهذا وجدناه يلجأ إلى أسلوب (الترخيم) في نصحه عساه يفتح قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما :

أَخِي أَلاَ تَصْحُو... أَتَبْقَى مُمَزَقًا ∴ شَتِيْتًا عَلَى الأَهْوَاءِ تَلْهَثُ جَارِيَـا
تَقَدَمْ فَمَازَالَتْ لَدَيْنَـا بَقِيَـةٌ ∴ مِنَ العَزْمِ تَسْتَنْهِضْ عُصُورًا خَوَالِيَا
هَلُمَّ فَمَازَالَتْ بَقِيَـةُ نَخْـوَةٍ ∴ إِذَا عَصَفَتْ هَزَتْ جِبَالاً رَوَاسِيَـا[2]

وأخيرا فإن من بواعث اغتراب النحوي، هو رحيل رفاق دربه ومؤنسي وحشته الواحد تلو الآخر، إنها رحلة الموت، فتحس وأنت تقرأ مراثيه فيهم، كم هو صعب أن يرثي الشاعر المغترب رفيق عمره، و بخاصة إذا كان الراحل أديبا مغتربا مثله...

وما كان اغتراب عدنان النحوي لفراق أحبابه جزعا من الموت —فهو يؤمن بقضاء الله وقدره- إنما بسبب الشغور الذي يتركه هؤلاء العظماء برحيلهم، في وقت كانت الأمة في مسيس الحاجة إليهم حتّى يزيحوا عنها ركام الجاهلية، و ينيروا دربها وسط هذا الليل البهيم « فإن صوت الأديب يمكن أن يفعل الأفاعيل في هذا الليل العميق... إن انقداح شرارة واحدة في الظلماء قد

---

[1] د.عدنان النحوي : موكب النور، ص 87-88.

[2] المصدر نفسه : ص 91.

تكشف الطريق، وإن كلمة تنطلق بصدق من وجدان قائلها قد تعينهم على مواصلة الدرب صوب مصائرهم التي طمس عليها و أوصدت دونها الأبواب»[1].

ففي رثاء "شاعر الإنسانية المؤمنة" "عمر بهاء الأميري" يبدأ النحوي مرثيته بمدخل وجداني مفعم بالأسى، معبرا عن مدى الحزن الذي خيم على روحه فيقول :

لَيَـــالٍ نُدَارِيْهِـــــا وَسَعْـــيٌ وَمَطْلَبُ ∴ وَعَهْدٌ مَعَ الرَحْمَانِ يُوْفِيهِ أَنْجَبُ
إِذَا مَا كَفَفْتُ الدَمْعَ قُلْتُ انْتَهَى الأَسَى ∴ فَعَادَ مِنَ الأَحْزَانِ مَا هُوَ أَصْعَبُ
أَحِنُّ إِلَـــى بِـــرِّ الرِجَـــالِ لأَنَنِـــــي ∴ أَرَى كُلَّ يَوْمٍ صَاحِبًا لِي يُغَيَّبُ
تَلَفَتُّ لِلسَاحَـــاتِ حَيْرَانَ: ثُلَّـــــةٌ ∴ تَوَارَتْ وَ أُخْرَى لَمْ تَزَلْ تَتَأَهَبُ
وَشَدُّوا عَلَى ظَهْـــرِ المَطِـــيِ رِحَالَهُمْ ∴ وَمَالُوا إِلَى زَادٍ وَهَمُّـــوا لِيَرْكَبُوا[2]

ثم لا يلبث الشاعر أن يفصح عن السبب الحقيقي لاغترابه و هو الفراغ الذي تركه الفقيد برحيله، فمن يا ترى يسده !؟.

رَحَلْتَ وَ فِي جَنْبَيْكَ أَنَـــاتُ أُمَّـــةٍ ∴ وَفِي الصَدْرِ صَيْحَاتٌ تَثُورُ وَتَغْضَبُ
رَحَلْتَ وَفِي كُلِّ الْمَيَادِينِ صَرْخَـــةٌ ∴ تُـــرَدِدُ أَيْـــنَ الفَـــارِسُ الْمُتَـــوَثِّبُ
أَخِي عُمَرُ! غَنَيْتَ أَمْسِ لَنَـــا الْمُنَى ∴ فَمَنْ ذَا يُغَنِي اليَوْمَ وَالْهَـــوْلُ أَقْرَبُ
وَفِي كُلِّ سَاحٍ جَوْلَةٌ لَمْ يَزَلْ بِهَـــا ∴ دَوِيٌّ عَلَـــى الآفَـــاقِ دَامٍ مُخَضَبُ
وَفِي كُلِّ دَارٍ حَسْـــرَةٌ وَمَجَـــازِرٌ ∴ تَـــوَالَتْ وَزِلْـــزَالٌ يَمُـــورُ وَيَنْكُبُ[3]

أما في رثائه للأديب الناقد "محمد مصطفى هدارة" فيركز النحوي على تسخير الفقيد لقلمه في الرد على أباطيل (الحداثة) —وقد كان حداثيا– فهو أدرى بعوراتها وسوءاتها ونقاط ضعفها...

دَفَعْتَ عَنِ الإِسْلاَمِ شَرَّ عِصَابَةٍ ∴ وَعَنْ لُغَةِ القُرْآنِ كَيْدًا يُـــرَوِعُ
تَرُدُّ أَبَاطِيلَ "الحَدَاثَةِ" فَانْـــزَوَى ∴ بَنُوهَا إِلَى حِيْنٍ فَجَمُوا وَأَوْضَعُوا

---

[1] د. عماد الدين خليل : مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ص 177 .

[2] د.عدنان النحوي: مهرجان القصيد، ص 218 .

[3] المصدر نفسه : ص 219 .

فَإِنَ لَهُمْ حَشْدًا يَمُدُ ضَـــلاَلَهُمُ ∴ وَيُغْرِيهِمُ مِنَا سَفِيْهٌ مُضَيَّـــــعُ
فَخُضْتَ مَعَ الأَيَامِ حَرْبًا عَلَيْهِمُ ∴ فَتَرْمِيْهِمْ بِالبَيِنَـــاتِ وَتَصْـــرَعُ
وَصُنْتَ بَيَانَ الحَقِ يَبْقَى جَمَالُهُ ∴ نَدِيًا مَعَ الأَيَامِ يَزْهُـــو وَيَطْلَـــعُ [1]

2- مظاهر الاغتراب في شعر عدنان النحوي

إن مظاهر الاغتراب و تجلياته في شعر عدنان النحوي عديدة و يصعب حصرها، فلا تكاد تخلو قصيدة واحدة للشاعر من حس الاغتراب أو بعض مستلزماته كالألم والحزن والرفض للواقع التغريبي، و التغني بأمجاد السلف، ومناجاة الطبيعة وغيرها ...

« ومن الطبيعي أن ينعكس هذا على الأداة، فنرى جيشانا وتداعيا ورقة مفرطة، وانفعالات زائدة و من الطبيعي أن هذا يبعد الشاعر عن الجزالة وعن التماسك ويجعله يركز على الموسيقى أكثر من الصورة، ذلك أن الشاعر أصبح يتعامل مع شيء مجرد هو "غياب الوطن" ».[2]

فالنحوي إذن شاعر غريب، ومتألم حزين، يعاني مشاعر الأسى والقلق من واقعه المريض بحضارته المتفسخة، فيحاول أن يتمنع على الضغوط ويتحصن ضد عوامل التفكك والتدمير والإفناء...

لَيْسَ الغَرِيبُ فَتًى أَلْقَتْهُ صُحْبَتُـــهُ ∴ وَ لاَ الذي قَطَعَتْهُ الأَرْضُ عَنْ رَحِمِ
وَلاَ الذي غَادَرَ الأَوْطَانَ مُرْتَحِلاً ∴ وَ مِلْءُ جَنْبَيْهِ عَزْمٌ غَيْرُ مُنْهَـــزِمِ
سَيُؤْنِسُ الدَرْبَ ذِكْرُ اللهِ يَدْفَعُنِي ∴ إِذَ أَشَاحَ بَنُو عَمِي بِوَجْهِهِـــــمِ
يُبَلِلُ الجَوْفَ إِنْ شَدَ الهَجِيْرُ بِنَـــا ∴ وَ يَمْلَأُ النَفْسَ مِنْ أَمْنٍ وَ مِنْ عِصَمِ
طُوبَى لِكُلِّ غَرِيْبٍ صَابِرٍ شَرَفًـــا ∴ مُسْتَمْسِكٍ بِالْهُدَى بِاللهِ مُعْتَصِـــمِ[3]

إن حلم شاعرنا تحاصره الأوضاع المتردية في كلّ حين، ومن ثم تبقى معاناته الدائمة تلازمه باستمرار« ومن شأن هذه الظاهرة أن تخلق قلقا وريبة في عقول المفكرين الذين يرون ثقافتهم تحاول أن تلحق بالثقافة الإنسانية العامة وواقعهم الحياتي ما زال بعيدا عن المستوى الحضاري العام » [4]. وبذلك يبقى السفر الروحي للشاعر خير معين على تجاوز معاناته النفسية وتوتره

---

[1] د.عدنان النحوي: عبر و عبرات، ص 140.
[2] الغربة المكانية: عالم الفكر، ع1 ، مجلد 15، ص 37.
[3] د.عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص 148-149.
[4] د.ماهر حسن فهمي: الحنين و الغربة في الشعر العربي الحديث، ص 110 .

الداخلي، فيسافر عبر الماضي المجيد مستجليا صور العزة والكرامة من أجل رفع المعنويات، وتجاوز العقبات مذكرا بالأمجاد السالفين كقوله :

عُودِي رِمَالَ الصَحَارَى هَلْ رَأَيْتِ أَسَى ∴ مُلَفَعًا بِسَـوَادِ اللَيْلِ وَالشَحَبِ
رُدِي لَنَا مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَمِـنْ عُمَـرٍ ∴ وَمِنْ عَلِيٍّ وَ عُثْمَانٍ وَعَزْمِ أَبِـي
وَمِنْ مُعَاذٍ وَسَعْدٍ وَ الأُلَـى نَهَضُـوا ∴ لَمَا دُعُوا فَأَجَابَتْ نَخْوَةُ النُجُبِ
"أَبُو دُجَانَةَ" قَدْ شَدَ العِصَابَـةَ فِـي ∴ رَأْسٍ وَمَدَ نِصَالَ الْمَوْتِ وَالْعَطَبِ
وَ ذَا "عُمَيْرٌ" وَ قَـدْ أَلْقَـى بِتَمْرَتِـهِ ∴ يَمْضِي إِلَى جَنَةٍ خَضْرَاءَ لَمْ تَغِبِ
رُدِي لَنَا صُدُقًا فِي اللهِ.. كُـلُّ فَتًـى ∴ أَغَرَّ يَنْشُبُ مِنْ بِيْضٍ وَمِـنْ يَلَبِ[1]

وهكذا تجتمع صور الماضي الإسلامي المشرق مع صور الحاضر المؤلم في سياق يستنهض همم المعاصرين لتحقيق أمجاد تحاكي أمجاد السلف الصالحين :

فَيَا أَيُهَـا الأَقْصَـى.. أَنِينُـكَ مُوجِـعٌ ∴ حَنِينُكَ أَصْدَاءُ العُصُورِ الغَوَابِـرِ
وَشَوْقُكَ ذَوْبُ الْخَالِيَـاتِ مِنَ الـرُؤَى ∴ لِرَنَّةِ أَنْصَالٍ وَ وَقْـعِ حَوَافِـرِ
وَخَفْقَـةِ رَايَـاتٍ وَعِـزَةِ فَاتِـحٍ ∴ يَمُوجُ صَدَاهَا فِي دَوِيِّ الحَنَاجِـرِ
عَصَرْتَ غَنِيَّ الذِكْرَيَاتِ بِدَمْعَـةٍ ∴ عَلَى هُدُبِ تُغْضَى وَنَوْحِ سَرَائِـرِ
فَيَا "عُمَرُ الفَارُوقُ".. أَيْنَ صَدَى الْخُطَى ∴ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى وَإِشْرَاقِ زَائِرِ
وَأَيْنَ طُيُوفُ الْمَجْدِ حَوْلَكَ وَ الْتُقَـى ∴ وَأَنْدَاؤُهُ رَفَتْ عَلَى كُـلِّ زَاهِـرِ[2]

ومن الشخصيات الفذة، والتي بقيت غرة في جبين التاريخ الإسلامي شخصية "صلاح الدين الأيوبي"، هذا البطل الذي حرر الأقصى والقدس من قبضة الصليبين، وما زال حيا في ضمير الشاعر عدنان النحوي حيث يقول فيه :

نِدَاءُ صَلَاحِ الْدِينِ مِلْءُ حَوَاضِرٍ ∴ وَمِلْءُ زَمَانٍ زَاهِـرٍ بِشُـدَاةِ
أُولَئِكَ إِنْ شِئْتَ الْجُدُودُ فَسَلْهُمُ ∴ لَعَلَكَ تَلْقَى الصِدْقَ بَيْنَ رُفَاتِ
جُدُودُكَ طَوَاهُمْ تُرَابٌ وَغَيْهَـبٌ ∴ وَوَارَاهُمُ التَارِيخُ فِي حُفُـرَاتِ

---

[1] د.عدنان النحوي: موكب النور، ص 179-180.

[2] المصدر نفسه: ص 69-70.

أُولَئِكَ..!سَلْهُمْ عَنْ شِعَارٍ وَرَايَةٍ ∴ وَمَا زَيَفُوا مِنْ جَوْهَـــرٍ وَسِمـــاتِ
أَحُرِيَةُ الإِنْسَانِ خَنْقُ حَنَاجِـرٍ؟ ∴ وَزَيْفُ إِخَـاءٍ فِـي لَهِيْبِ تَـرَاتِ
وَزَيْفُ مُسَاوَاةٍ عَلَى جَاهَلِيَـةٍ ∴ مُؤَجَجَـــةِ الأَهْـــوَاءِ وَالنَّزَوَاتِ
وَهَذَا صَلاَحُ الدِينِ مَجْدٌ مُؤَثَلٌ ∴ عَلَى الصِدْقِ مَنْشُورٌ عَلَى صَفَحَاتِ[1]

وهكذا تتوالى صور الماضي الحافل بالأمجاد والبطولات، شيئا فشيئا حتّى تصل إلى العصر الحالي، عصر الردة الحضارية فتحل الهزائم محل الانتصارات، ويتخلى الناس عن فريضة الجهاد، ويُحيُّونَ عبادة الأوثان أشد مما كانوا عليه من قبل، ويرضون الدنية في دينهم ودنياهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله:

فَيَا أُمَّةً.. قَصَفَتْ فِي سَاحِكِ القَنَـا ∴ وَ أَحْنَيْتِ لِلأَوْثَانِ هَامَةَ خَاسِـرِ
بَعُدْتِ عَنِ الرَحْمَانِ فَاشْقَيْ وَوَلْوِلِي ∴ عَلَى غُصَصٍ مَلْأَى بِقَيْحِ الْجَرَائِرِ
أَلاَ رَجُلٌ تَهْتَزُ مِنْهُ إِبَـــــاءَةٌ ∴ وَ تَغْضَبُ لِلْرَحْمَانِ نَخْوَةُ بَاتِـرِ
نَشِيْدُكِ أَحْزَانُ الْمَآتِمِ فَادْمَعِـــي ∴ وَمَجْدُكِ طَيَاتُ الثَرَى وَ الْمَقَابِرِ[2]

وكما يسافر النحوي عبر التاريخ الإسلامي مستجليا رموزه المضيئة، فهو يسافر عبر خارطة العالم الإسلامي مستجليا آلامه وأماله، ومواسيا لإخوانه المسلمين في محنهم ومآسيهم، إذ لا خير في أديب لا يحمل هم بني جلدته، وحتّى هموم الإنسانية قاطبة...

رُدِي رَوَابِي الصِينِ أَيْنَ قُتَيْبَـــةُ ∴ وَالسُورُ تَنْهَدُ حَـوْلَهُ الفُرْسَـانُ
وَالسِنْدُ مَا لِلْدَاجِيَاتِ تَلُـفُّـــهُ ∴ والذِكْرَيَـاتُ عَلَـى ذُرَاهُ أَذَانُ
رُدِي رَوَابِي الْهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ الرْ ∴ رَحْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُلْطَـانُ
دَارُ السَلاَمِ وَأَيُ لَحْنٍ لَـمْ يَكُنْ ∴ شَكْوَى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ بَغْدَانُ
ذِكْرَى لِدِجْلَةَ وَالفُرَاتِ وَسَاحَـةَ ∴ غَنَاءَ تَخْفِقُ عِنْدَهَا الأَلْحَـــانُ
وَدِمَشْقُ تَطْوِيهَا الضُلُوعُ صَبَابَـةً ∴ وَ تَغِيْبُ بَيْنَ جُفُونِيَ السُـودَانُ
الْمَغْرِبُ الزَاهِي أَرُدُ لِسَاحِـــهِ ∴ طَرْفِي فَيَهْفُو لِلِقَـا إِخْـــوَانُ
يَا تُونُسُ الْخَضْرَاءُ عَهْدِي بِالْهَوَى ∴ صَافٍ وَعَهْدِي فِي الرُبَى رَيْحَانُ

---

[1] د.عدنان النحوي: جراح على الدرب، ص162-163.

[2] د.عدنان النحوي: موكب النور، ص 70-71 .

رُدي لمصرَ إذَا نَظَرْت لنيلِهَـــا ∴ عُتْبى لِمَنْ صُرِعُوا هُنَاكَ وَ بَانُـــوا
مَا بَالُ أَنْدَلُسٍ تَجِفُ وُرُودُهَـــا ∴ شَجَنًا ! أَصَوَحَ عِنْدَهَا الْبُسْتَـــانُ[1]

ومن تجليات غربة النحوي أيضا، وقوفه، بجانب المستضعفين وتمجيده لجهاد الشعوب ضد مستدمريها و ناهبي خيراتها، من ذلك مثلا تنويهه بالجهاد الذي خاضه الشعب الجزائري ضد فرنسا الفاجرة، وذكره لبعض رموز هذا الجهاد المقدس كـــ "أوراس" مثلا :

أَخِي فِي "الْجَزَائِرِ" يَا ابْنَ الْبُطُـــو ∴ لَةِ أَوْ فِي الْقَنَالِ وَفِي بُورْ سَعِيدْ
أَخِي فِي فِلسْطِينَ كَمْ أَشْرَقَـــــتْ ∴ بِكَ الدَاجِيَاتُ فَنِعْمَ الشَهِيـــــدْ
هُوَ الدَهْرُ مَرَّ بِأَحْدَاثِـــــــــــهِ ∴ تُلَقِنُهُ أَنْتَ مَعْنَـــى الْخُلُـــودْ
تُرَوِي الثَرَى بِطَهُورِ الْدِمَـــــــاءِ ∴ وَتَبْعَثُ فِي الأُفْقِ فَجْرًا جَدِيـــدْ

فَمِنْ خَلْفِ "أَوْرَاسَ" نُورُ الْحَيَاةِ ∴ يَشِـــــعُ بِهِ دَمُـــكَ الطَاهِـــــرُ
ضَحَايَـــا فِدَاءِ العَقِيـــدَةِ مَـــرَتْ ∴ شَهِيـــدٌ يُعَانِقُـــهُ آخَـــــــرُ
فَقُـــلْ "لِفَرَنْسَا" وَقَـــدْ سَاقَهَـــا ∴ إِلَى حَتْفِهَـــا رَجُـــلٌ فَاجِـــرُ
رُوَيْدَكِ يَا ابْنَةَ نَعْلِ الغُـــــزَاةِ ∴ مَتَى كَـــانَ فِيكِ فَـــتًى طَاهِـــرُ[2]

وعندما بلغه خبر البلوى التي عصفت ببلادنا الجزائر خلال السنوات الأخيرة تألم لذلك كثيرا، وتضرع إلى الله عز وجل أن يرفع عنا البلاء، ويحفظ بلادنا من كل سوء ويجمع شتات المؤمنين بها ويقيهم شر الفتن... وفي قصيدة تحت عنوان "دم الجزائر فوار بساحتها". يستعرض الشاعر هذه البلوى وقلبه يعتصر ألما :

يَا لِلْجَزَائِـــرِ أَهْـــوَالٌ مُرَوِعَـــــةٌ ∴ وَفِتْنَةٌ فِي رُبَاهَا الْيَوْمَ تَضْطَـــرِمُ
دَمٌ تَدَفَقَ فِي سَاحَاتِهَـــا وَجَـــرَى ∴ كَأَنَهُ الْمَوْجُ فِي السَاحَاتِ يَلْتَطِمُ
دَمُ الْجَزَائِرِ، وَيْحِي كَانَ نُورَ هُدًى ∴ وَكَانَ يُشْرِقُ مِنْهُ الْسَهْلُ وَالعَلَـــمُ
وَرَايَةُ الْحَقِ فِي سَاحَاتِهَـــا خَفَقَتْ ∴ للهِ لاَ لِسِوَاهُ، الْحَـــرْبُ وَالْسِلَـــمُ
أَرْضَ الشَهَادَةِ ! مَازَالَتْ مَنَائِرُهَـــا ∴ نُورًا تَوَهَجَ مِنْ عَلْيَائِـــهِ الشَـــمَمُ

---

[1] د.عدنان النحوي: الأرض المباركة، ص200 و ما بعدها
[2] المصدر نفسه: ص168-169.

"أَوْرَاسُ" ذِكْرَى! وَهَلْ تُنْسَى مَعَاقِلُهُ ∴ وَكَانَ يَهْدُرُ مِنْهَا سَيْلُهُ العَـــرِمُ
مَنْ كَانَ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنْ مُطَـــارَدَةٍ ∴ بِاللهِ، لاَ بِسِوَاهُ، كَانَ يَعْتَصِـــمُ
أَرْضَ الْجَزَائِرِ! مَاذَا قَدْ دَهَاكِ وَمَـــا ∴ تَكَادُ مِنْكِ جِرَاحُ الأَمْسِ تَلْتَئِـــمُ
بِالأَمْسِ كُنْتِ دَمًا بِالنُّـــورِ مُؤْتَلِقًـــا ∴ وَالْيَومَ مِنْ دَمِكِ الظَّلْمَاءُ تَكْتَتِـــمُ
مَاذَا دَهَاكِ؟! فَأَضْحَى اللَّيْلُ مُنْعَقِـــدًا ∴ عَلَى رُبَاكِ وَ مَاجَ الشَّرُّ وَ الغَمَـــمُ
هَذِي الْجَرِيمَةُ مَنْ يُـــورِي مَوَاقِدَهَـــا ∴ وَمَنْ يُؤَجِجُهَا ؟ الأَشْبَاحُ وَ الْظُلَمُ[1]

كما أنّ من مظاهر اغتراب عدنان النحوي، هروبه نحو الطبيعة يبثها أحزانه «فقد كانت الطبيعة وما تزال ملجأ الغرباء الفارين من جحيم الدنيا وعذابها، يستبد القلق واليأس بالإنسان، ويشعر بغربة الروح والفكر فلا يجد له مخرجا إلا في السياحة التي يحققها له هذا الهروب إلى الطبيعة،وهذا الحنين إلى روض أو غاب أو بحر تحل به الذات الشاعرة الهاربة من واقع يحكمه الزيف والاستبداد ».[2]

ولم يكن هروب الشاعر النحوي نحو الطبيعة هروبا سلبيا على طريقة الشعراء الرومانسيين المنطوين على أنفسهم والذين فقدوا كل صلة لهم بواقعهم، وقطعوا كل علاقة بمجتمعهم، إنما كان هروبه إيجابيا« فالأدب الإسلامي لا يعترف بأحادية العاطفة، وركونها إلى جانب البكاء والظلامية، وإنما يدعو أصحابه إلى معانقة قضايا المجتمع وآلامه وآماله، وإذا كان الجار مأمورا بالنظر والاهتمام بشؤون جاره، فما بالك بالأديب المسلم الذي حلت روحه في أجساد البشرية جمعاء... ».[3]

ومن أمثلة مناجاة النحوي للطبيعة، صورة رائعة يصف فيها (صفد) مسقط رأسه و قد جاء فيها :

يَا زَهْرَةَ اللَّوْزِ الشَهِي وَطَلْعَةَ النَّـــ ∴ ـــنَوْرِ البَهِي وَغَرْسَةَ الأَجْـــدَادِ
يَا غَرْسَةَ العِنَابِ مَدَتْ كَفَهَا الْـــ ∴ ـــمَخْضُوبَ مِنْ فَرْعٍ لَهَا مَيَّادِ
كَالغَادَةِ الْحَسْنَاءِ خَلْفَ خِبَائِهَـــا ∴ دَفَعَتْ بَنَانًا لِلْمُحِبِ الصَّـــادِي
يَا أُمْسِيَاتٍ فِي "الرُّجُومِ" كَأَنَّهَـــا ∴ عِطْرُ الشَّبَابِ وَبَهْجَةُ الأَعْيَـــادِ

---

[1] د.عدنان النحوي: عبر و عبرات، ص 60-61.

[2] د.عمر بوقرورة: الغربة و الحنين في الشعر الجزائري الحديث، ص77.

[3] محمد إقبال عروي: جمالية الأدب الإسلامي، ص40.

"وَ البَحْرَةُ الزَرْقَاءُ" دُونَ شِعَابِـــهِ ∴ نَزَلَتْ فَأَنْزَلَهَا سَوَادَ فُـــؤَادِ
نَهَدَتْ بِجَنْبَيْهَا الرُبَى وَ تَوَثَبَـــتْ ∴ نَهْدَيْنِ مُضْطَرِبَيْنِ فَوْقَ مِهَـــادِ
أَهْدَى لَهَا اللَيْلُ الشَجِيُ غِلاَلَـــةً ∴ سَمْرَاءَ تَخْفِقُ فِي ظِلاَلِ سَوَادِ
وَ شَتْ حَوَاشِيَهَا النُجُومُ لَآلِئًـــا ∴ تَطْوِي وَ تَنْشُرُ مِنْ بَرِيقٍ هَادِي
وَ البَدْرُ بَيْنَ النَاهِدَيْنِ كَمَاسَـــةٍ ∴ مَوْصُولَةٍ فِي جِيْدِهَا بِقِـــلاَدِ [1]

إلى أن يخاطبها في صورة تشخيصية حية :

صَفَدٌ ! عَرُوسَ الْدَهْرِ!دُونَكِ فَيُنظري ∴ هَذِي وُفُودُ حَوَاضِرٍ وَ بَوَادِي
تَسْعَى إِلَيْكِ مِنَ الشَآمِ شَوَامِـــخٌ ∴ وَ جِبَالُ لُبْنَانَ عَلَى مِيْعَـــادِ
وَالسَهْلُ وَالنَهْرُ البَدِيـــعُ وَخُضْـــرَةٌ ∴ أَلْقَتْ كَأَسْوِرَةٍ لَهَا بِزِنَـــادِ
يَا خَفْقَةَ الأَبْنَاءِ! يَا دَمْـــعَ الْحَيَـــا ∴ يَا مُهْجَةَ الآبَاءِ وَ الأَحْفَـــادِ
صَفَدٌ! وَ أَنْتِ مَعَ العُلاَ فِي مَوْعِـــدٍ ∴ مَوْصُولَةُ الأَمْجَادِ بِالأَمْجَـــادِ [2]

وخلاصة القول فإن اغتراب النحوي هو اغتراب رسالي ناتج عن استشعار تفرده بما يحمل من مبادئ سامية، وما يتجلى في مسلكه من قيم الحق والعدل والخير، حيث أصبح هذا التوجه يمثل الصورة الإيجابية التي توصلت إليها البحوث والدراسات النفسية التي تهتم بظاهرة الاغتراب بوصفها ظاهرة إنسانية ناتجة عن التفاعل بين الذات والواقع الخارجي ...

وقد اتخذ هذا الاغتراب في حياة الشاعر مظاهر عديدة كرفضه للواقع التغريبي المتفسخ، واعتصامه بالقيم الإيمانية الحنيفة كما تجلى اغترابه أيضا في سفره الروحي نحو ماضي أمته المشرق، وتغنيه بأمجادها التاريخية الرائعة، مثلما تجلى في سفره عبر ربوع العالم الإسلامي، يداوي جراح إخوانه ويواسيهم في محنهم.

---

[1] د. عدنان النحوي: الأرض المباركة، ص 155 وما بعدها

[2] المصدر نفسه: ص 155 وما بعدها.

الفصـــــل الثـــــانـــي

ظاهـــرة الملحمية في شعـــر عدنـــان النحـــوي

أولا: تصور عدنان النحـــوي لملحمـــة إسلاميـــة.

ثانيـــا: دراسة نموذجية : ملحمة أرض الرسالات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: تصور عدنان النحوي لملحمة إسلامية

لم يكن شاعرنا عدنان النحوي ينطلق في مفهومه للملحمة الإسلامية من تصور غربي كما هو الشأن لدى معظم الأدباء اليوم، إنما كان مفهومه ينطلق من تصور إسلامي محض، وهو لا يكتفي بالتنظير لذلك، بل يعطي النموذج، ولعل ملاحمه السبع(*) خير دليل على ذلك...

إن عدنان النحوي ليربأ بالأدب الإسلامي أن يكون عالة على غيره في فن أصيل كفن الملاحم، كما يربأ بقداسته أن ترتكس في أرجاس الوثنية اليونانية، والتي تطورت في عصرنا الحالي إلى مصلح "العلمانية"، والتي يصر "الحداثيون" على نشرها في المجتمع الإسلامي ولو عنوة...

من هنا يرى شاعرنا ضرورة بناء الملحمة الإسلامية بعيدا عن كلّ أشكال التبعية، بناء ينبع من ديننا ولغتنا وتاريخنا الحافل بالأمجاد... ففي حوار أجرته معه مجلة الدعوة بتاريخ 1411/01/04هـ يقول النحوي: « بعض الناس يحمل مع لفظة الملحمة إيحاءات وظلالا مستمدة من الفكر اليوناني والروماني والمذاهب الأدبية والفكرية الأوروبية التابعة له.. ومع أن أوروبا انقلبت إلى مذاهب تفلتت نسبيا من الكلاسيكية اليونانية، إلاّ أنه ظل لديها آثار عصبية غامضة لها، وظل لدينا في مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعصب واضح للفكر اليوناني والروماني، وبقيت الدراسات الجامعية خاصة تغذي هذا الاتجاه.. ومن الظلال التي بقيت في أذهان الناس عن كلمة (الملحمة) أنها طويلة، وأنها تدور حول بطولات ومعجزات أو شيء مثل هذا.. فمن أين أتت هذه الظلال والإيحاءات؟! »[1].

وحول الخطأ الواقع في ترجمة كلمة (EPIC) بالملحمة يوضح الشاعر: « ... أنها أتت أولا من خطأ كبير في الترجمة، فالكلمة المقصودة في اللغة الإنجليزية هي (EPIC) وهي مأخوذة

(*) وهي : - ملحمة الغرباء .
- ملحمة أرض الرسالات.
- ملحمة الأقصى.
- ملحمة الإسلام في الهند.
- ملحمة الجهاد الأفغاني.
- ملحمة البوسنة والهرسك "الجريمة الكبرى".
- ملحمة القسطنطينية.

[1] د. عدنان النحوي: مجلة الدعوة، 1411/01/04هـ، عدد 1250، ص28-29.

من الكلمة اليونانية (EPIKOS) وهي تعني قصيدة طويلة فخمة الأسلوب تروي مآثر بطل أسطوري أو خرافي، أو بطل تاريخي تطرح عليه القصيدة أعمالا خارقة، على أن يكون البطل والحدث مرتبطين بالتاريخ اليوناني والفكر اليوناني، يعني أنه نابع من الوثنية اليونانية بكل ما تحمل من معاني الشرك، ولذلك جاءت الإلياذة والأوديسا تمثلان جميع هذه المعاني من طول في الشعر ومن خرافة ووثنية...

فالترجمة إذن لكلمة (EPIC) بكلمة الملحمة خطأ كبير يجب أن نتراجع عنه ونصحح تعبيراتنا ومعانيها وإيحاءاتها على أساس ما عرضناه، ولو أردت أن أترجم كلمة (EPIC) لاقترحت ترجمتها (بالأسطورة الشعرية) أو (الأسطورة الشعرية الطويلة) وللإيجاز عند الحاجة (بالأسطورة) وبذلك نحمي لغتنا وأدبنا وعقيدتنا»[1].

1- عناصر الملحمة الإسلامية عند النحوي:

أ- الحجم:

يرى عدنان النحوي أن الإصرار على وصف الملحمة بالطول المفرط، إنما هو من قبيل التبعية غير الواعية، وهو يرى أن يكون الحد الأدنى لعدد أبيات الملحمة من ثمانين إلى مائة بيت حتى يتم تشجيع المواهب، وهو لا يرى مبررا لبلوغ الملاحم الشعرية آلاف الأبيات في جهد قد لا يثمر.

ب- الموضوع:

ويجب أن ينحصر موضوع الملحمة في قضية من قضايا الأمة المسلمة وتاريخها، وتعرض هذا الموضوع على أساس إرتباطه بالأمّة المسلمة وتاريخها وعقيدتها، دون أي أساس آخر، وينبغي أن ترد الأحداث في الملحمة لتبرز هذا الإرتباط والمعنى، قد تحمل الأحداث أكثر من موضوع ولكن يجب أن ترتبط مختلف المواضيع حول محور واحد.

---

[1] د. عدنان النحوي: المصدر السابق، ص29.

ج- الزمن:

يرى عدنان النحوي أن أحداث الملحمة لا ينبغي أن تتناثر على مساحة زمنية واسعة، وفترات متباعدة لا رابط بينها، لأنّ الفترة الزمنية للقضية تحمل ترابطا وعلاقة مثلها مثل الموضوع تماما.

د- أجزاء الملحمة:

تتألف الملحمة الإسلامية – على رأي النحوي- من ثلاثة أجزاء هي :

* المقدمة أو الافتتاح:

وتشمل تمهيدا حول موضوع الملحمة، وتعرض فيه بعض مبادئ الإسلام، أو سنن الله في الحياة، أو تحليلا نفسيا إيمانيا.. فإن كان موضوع الملحمة نصرا، حملت المقدمة معاني العزة الإيمانية، مع وصف تمهيدي لأرض الأحداث وزمانها، وإن كان الموضوع مأساة تاريخية قدم لها الشاعر بمعاني الصبر والعزيمة، والقوة والجلد...

* الموضوع:

وقد سبق الحديث عنه.

* الخاتمة أو النتيجة:

وهي تربط الأحداث بالتوحيد، وتبرز قواعد العقيدة، وتقدم الدرس والعبرة، لتحقيق الهدف المنتظر.

هـ-الهدف:

لابد أن يكون للملحمة هدف واضح تسعى لبلوغه ذلك أن الجهد المبذول في بنائها لا يعقل أن يضيع فيما لا فائدة فيه أصلا، أو فيه فائدة محدودة لا تعود على الأمة بما ينفعها في حاضرها ومستقبلها... إن الأمة الإسلامية تتميز عن باقي الأمم بأنها أمة تحمل رسالة الله، وأمانة العهد، فلا تستطيع أن تضع جهودها خارج أهدافها، ولا أن تبعثرها على شتات...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- شروط الملحمة الإسلامية عند عدنان النحوي(*):

أ- تطهير كلمة "الملحمة" العربية الغنية من أوهام اليونان الفكرية ومن وثنيتهم، وحتى من شروطهم الفنية.

ب- أن ينبثق تصور "الملحمة الشعرية" من طبيعة اللغة العربية والشعر العربي، ومن تاريخنا الصادق، ومن ديننا وعقيدتنا، من حقيقة الأمة المسلمة، أمة التوحيد، ومن رسالتها، لتحمل خصائصها الذاتية، لا خصائصها المستوردة، ولتنمو الملحمة نموها الطبيعي، في جوها الطبيعي، وهوائها وريها وغذائها...

ج- أن يكون موضوعها ملحميا مأخوذا من تاريخ الإسلام القديم أو الحديث.

د- أن تقوم على الصدق والواقع لا على الأساطير.

هـ- وإذا كانت اللغة اليونانية تسمح بقصيدة تتجاوز آلاف الأبيات، وإذا كانت موضوعات الخيال المتفلت في أجواء الوثنية يمكن أن يطوف في موضوعات خرافية تحتاج إلى آلاف الأبيات فإن طبيعة اللغة العربية وطبيعة شعرها من ناحية، وكذلك موضوعات تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا من ناحية أخرى، لا تتطلب هذه الإطالة في الملاحم الشعرية...

إن تاريخنا وواقعنا ومستقبلنا يبرأ من الخرافة والوهم، بل يظل كله موجها برسالة الصدق والحق، برسالة التوحيد، لينمو في جوها وميدانها...

3- خصائص الملحمة الإسلامية لدى النحوي:

وقد أوجزها الشاعر عدنان النحوي في النقاط التالية[1]:

أ- فصل الملحمة وتصورها في الأدب الإسلامي عن الوثنية اليونانية وفلسفتها وآدابها وأساطيرها، وما تبع ذلك من خصائص فنية ترتبط بطبيعة اللغة اليونانية وغيرها من اللغات القديمة، وبواقع الفكر والفلسفة.

ب- أن ينبع تصور الملحمة في الأدب الملتزم بالإسلام من طبيعة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، ومن كتاب الله وسنة رسوله.

(*) يُنظر د.عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص29 وما بعدها.

(1) د. عدنان النحوي: المصدر السابق، ص36-38.

وأهم ما ينتج عن ذلك هو مفارقة الأساطير والتزام الحقائق في تاريخ الأمة، فإن من الحق والصدق في تاريخنا مايلهم بأعظم الملاحم. ولنا من حقائق تاريخنا ما يغنينا عن الخوض في خرافات وأساطير أصبحت أساسا للأدب الوثني والأدب الحداثي.

ج- أن لا تتقيد الملحمة الإسلامية بإيحاءات الطول الكبير الذي تمليه أساطير الوثنيين، وحسبنا أن نحدد الحد الأدنى للملحمة والشكل العام، وأهم الخصائص الفنية.

د- أن تأخذ الملحمة الإسلامية تعريفا فنيا محددا يوضح شكلها وموضوعها وسائر الخصائص الفنية التي تعين على إطلاق الموهبة وعلى المساهمة في جهاد الأمة المسلمة، حتى يكون للملحمة هدف واضح محدد.

هـ-أن لا يكون الطول المحدد للملحمة مسوغا لهبوط المستوى الفني من حيث اللغة والتركيب والصياغة وعناصر الجمال الفني.

و- يمكن تحديد الحد الأدنى الذي تبتدئ فيه الملحمة في الأدب الإسلامي، بحيث إذا بلغته القصيدة وتوافرت فيها العناصر الفنية الأخرى، اعتبرت ملحمة، ويترك امتداد طولها بعد ذلك للشاعر وموهبته، وللقضية وأهميتها.

ز- لابد من تحديد الأهداف المرجوة من الملحمة تحديدا واضحا يعيه الشاعر كما يعيه الناقد والقارئ، ليكون بين جميع الأطراف لغة مفهومة وتواصل قوي.

4- أهداف الملحمة الإسلامية عند النحوي:

وقد حددها شاعرنا على أساس من قواعد ثلاث(*): الإيمان والتوحيد، ومنهاج الله قرآنا وسنة... ثم الواقع الذي تعيشه الأمة وتجتازه، وحاجاتها في هذا الواقع، ومدى مساهمة الملحمة في تحقيق هذه الحاجات... وعلى ضوء هذه القواعد الثلاث، ندرك أننا اليوم أمة ممزقة، أصبح الشاب المسلم يجهل أمته وامتدادها، ويجهل تاريخها وروابطها الإيمانية ويجهل سبيل التواصل والتعارف والتعاون...

لذلك يكون من أهداف الملحمة الإسلامية أن تساهم في تحقيق هذه الغاية، ومعالجة هذا المرض في واقعنا...

(*) يُنظر د. عدنان النحوي: ملحمة الإسلام في الهند، ص36 وما بعدها.

فهذا هدف من الأهداف الرئيسية للملحمة الإسلامية حين تعالج قضايا واقعنا المعاصر، فأعداؤنا يفعلون ذلك ونحن أولى منهم بتحقيق هذا الهدف...

هدف آخر! نحن أمة تحمل رسالة الله إلى الناس، أخرج الله هذه الأمّة لتكون خير أمّة أخرجت للناس بهذه الرسالة... لذلك ينبغي أن تساهم الملحمة الإسلامية في تبليغ هذه الرسالة وإيصال نور الإيمان والهداية إلى الناس لتذهب عنهم الجاهليات وعصبيتها وضلالها.

وهدف آخر! نحن أمّة مجاهدة تهافتت علينا الأمم كتهافت الأكلة على قصعتها، فلابد أن تحمل الملحمة الإسلامية معنى الجهاد...

وبعبارة وجيزة فإن الملحمة الإسلامية تحمل معها أهداف الأدب الإسلامي، وتحمل معها أهداف الأمة المسلمة في الأرض ممتدة مع الزمن! .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: دراسة نموذجية: "ملحمة أرض الرسالات"[1]

الملحمة فن أدبي يحمل خصائص وسمات تميزه عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، وقد أفاض الأدباء والنقاد في تحديد هذه الخصائص والسمات، واتفق أغلبهم على الخصائص التالية:

الموضوع، العنصر الديني، البطولة، الخوارق، العنصر القصصي والموضوعية.

ونحن نتوخى في دراستنا النموذجية لملحمة "أرض الرسالات" إبراز هذه العناصر، وهل تمثلها شاعرنا أحسن تمثيل، أم تمثل بعضها وأخفق في البعض الآخر.

1- الموضوع:

يكاد التاريخ البشري أن يكون في معظمه صراعا بين الحق والباطل، أو بين الإيمان والكفر، ويكاد هذا الصراع المستمر أن يكون ملحمة كبرى يخوضها المؤمنون الصادقون على مر الدهور، وفق سنن ثابتة وحكم بالغة وقدر غالب... وتمتد هذه الملحمة العظيمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ميدانها "أرض الرسالات" أي الأرض التي ظهرت فيها الرسالات السماوية وهي الجزيرة العربية وما حولها، أما أبطالها فهم الأنبياء والرسل -عليهم السلام- الذين كلفوا بتبليغ هذه الرسالات إلى الناس وتحمل ما يصيبهم في سبيل ذلك من عنت، فلا عجب أن سمي رسول الله ﷺ (نبي الملحمة)...[2]

إن موضوع الملحمة التي نحن بصدد دراستها من هذا القبيل، فهو إذن موضوع ملحمي بحت لأنه يجسد الصراع بين حضارة الإيمان وحضارة الكفر، مما يضفي عليه صبغة الدوام والشمولية «فمدار الأمر في الملحمة أن يكون الصراع بين حضارتين في جميع مظاهرهما، تحمي كلا منهما أمة غريبة عن الأخرى لها مثلها الخاصة وأخلاقها الخاصة وتقاليدها وآمالها وأهدافها...»[3].

---

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص89 وما بعدها.

(2) د. عدنان النحوي: الملحمة العربية غير واضحة المعالم، مجلة الدعوة، ع1250، محرم 1411، ص29.

(3) أحمد أبو حاقة: فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب، ص18.

2- العنصر الديني:

يقول الأديب والناقد " علي بوملحم" مبينا ما للدين من أثر في توجيه سلوك الأفراد والجماعات في الملاحم والهيمنة عليهم :« والمعتقدات الدينية بصورة خاصة تظهر جلية في الملحمة، ونلفي الدين ذا تأثير عظيم على عقلية الشعب فهو يحركه ويهيمن عليه...»[1].

ونحن إذا عدنا إلى ملحمة أرض الرسالات، نجدها في الأصل تقوم على "رسالة الإسلام" القائمة على التوحيد الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل، من لدن آدم عليه السلام حتى محمد ﷺ فالعنصر الديني هو الأساس في هذه الملحمة، وقد لعب هذا الدين دورا خطيرا في توجيه الأحداث:

إِنَّــهُ دَفْقَــةُ الْحَيَــاةِ وَدِيــنٌ ∴ وَاضِحُ العَهْدِ صَادِقُ الْمِيعَادِ
إِنَّهُ الْحَقُّ! إِنَّهُ الوَحْــيُ وَالْهَــدْ ∴ يُ وَصَفْوُ التَوْحِيدِ والإِشْهَادِ
دَعْوَةُ اللهِ تَمْلأُ الأَرْضَ وَالدَهْــ ∴ ــرَ وَتَبْقَى غَنِيَةَ الإِمْــدَادِ
حَمَلَتْهَا أَرْضُ الرِسَالاتِ مَدَتْ ∴ لِلْنُبُوَاتِ سَاحَةً مِنْ جِهَــادِ[2].

ومن ثم كان موضوع الملحمة المدروسة دينيا من أوله إلى آخره، وحتى في مواضع الوصف نجد العبارات والألفاظ الدينية على غرار ما نجده في قصيدة "الجزيرة العربية" كلفظ: (الزكية؛ الزاد؛ جهاد، طيب؛ الهادي؛ وحي؛ الرشاد؛ رسلا؛ الهدى؛ برها الوفي؛ أية؛ نوره؛ جنود الرسول؛ الغر؛ بدور)[3].

وفي وصف "مكة المكرمة" يقول النحوي:

أَيُّ نُورٍ سَرَى يَرُدُّ ظَلاَمًا ∴ عَنْ دُرُوبِي وَعَنْ هَوَايَ الصَادِي
فَإِذَا مَكَةُ أَمَامِــيَ نُــورٌ ∴ مِنْ جَلاَلِ الْهُدَى وَمِنْ مِيْــلاَدِ
وَإِذَا الكَعْبَةُ النَدِيَةُ تَغْــنِي ∴ بَيْنَ سَعْيِ العُصُــورِ وَالآمَــادِ
وَإِذَا زَمْزَمُ يَرْوِي اللَيَــالِي ∴ مَــدَدًا دَافِقًــا بِغَيْرِ نَفَــادِ[4].

---

(1) علي بوملحم: في الأدب وفنونه، ص27.
(2) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص89.
(3) د. عدنان النحوي: المصدر السابق، ص 93-94.
(4) د. عدنان النحوي: المصدر نفسه، ص95.

أما في "المدينة المنورة" فيقول:

وَإِذَا طِيْبَةٌ يَفِيضُ عَلَيْهَا الْـ ∴ ـوَحْيُ تَغْنِي بِوَثْبَةٍ وَجِهَادِ
وَالنَبِيُ الأَمِيْنُ أَحْمَدُ يَهْدِي ∴ آيَةَ الْدَهْرِ مُعْجِزَاتٍ بَوَادِي
حَسْبُكِ اليَوْمَ أَنَ فِيْكِ نَبِيًـا ∴ وَجَلاَلاً مِنْ طِيْبَةٍ وَالرَشَادِ[1]

ثم يواصل الشاعر عدنان النحوي وصفه لأرض الرسالات –لا لمجرّد الوصف– ولكن باعتبار أنها ميدان الملحمة الكبرى... إنها ملحمة الصراع الأبدي بين الهدى والضلال، وأبطالها هم الصفوة المختارة من الخلق أجمعين لتكون أهلا لتحمل الأمانة العظمى...

والشاعر في معرض وصفه، لم ينس لحظة جلال الموضوع وقداسته، فتراه يربط كلّ وصف بالعنصر الديني، ومن ذلك وصفه "لأبها" قائلا:

يَا لِأَبهَا[*] وَحُسْنِهَا بَهْجَةُ الْقَلْـ ∴ ـبِ وَرُوحُ النُفُوسِ وَالأَجْسَادِ
وَجِبَـالٌ كَأَنَـهَا قِمَمُ الْمَجْـ ∴ ـدِ، سُفُـوحٌ غَنِيَـةُ الأَمْجَـادِ
فَتَرَاهَا مَـعَ العُـلاَ "سَـرَوَاتٍ" ∴ وَتَرَاهَـا مَعَ الخُشُـوعِ بَـوَادِي
نَهَضَتْ تَرْقُبُ الزَمَـانَ فَتَلْقَـى ∴ مِنْ عَطَـاءِ الأَيَـامِ وَفْـرَةَ زَادِ[2]

ويلجأ الشاعر إلى أسلوب المقابلة التشخيصية في وصف جبال "العسير" فتقع من المتلقي موقع الإستحسان:

يَـا جِبَـالَ "العَسِيرِ"! إِنَكِ يُسْـرٌ ∴ لِتَقِـي وَعُسْـرَةٌ لِمُعَـادِي
فَارْتَقِي فِي الفَضَاءِ وَاخْتَرِقِي السُحْـ ∴ ـبَ إِلَى ذُرْوَةِ الأَمَانِي الفِرَادِ
يَنْثُـرُ الغَـيْمَ مِـنْ نَـدَاهُ حُلِيًـا ∴ لُؤْلُؤًا شَـعَ أَوْ غَـنِي قِـلاَدِ
يَعْقِدُ الغَارَ فَوْقَ رَأْسِـكِ تَـاجًـا ∴ فَازْدَهِي التَاجُ مِنْ جَمَالِ بَادِي[3]

ثم يختم الشاعر وصفه (لأبها) بهذه المعاني السامية، وهي وجوب إسداء الشكر للمنعم الذي أنعم عليها بكل هذه الخيرات:

---

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص89.

(*) يعتقد بعض الباحثين أن مدينة "أبها" كانت تعرف في التاريخ القديم باسم "أبقا" وهو المكان الذي كانت إبل "بلقيس" تحمل منه الهدايا إلى النبي (سليمان – عليه السلام–).

(2)(3) د. عدنان النحوي: المصدر نفسه، ص 99-100.

بَـارَكَ اللهُ فِي رُبَاهَـا فَـأَغْنَتْ ∴ كُلَ دَارٍ وَزَيَنَتْ كُلَ نَـادِي
فَاضَ فِي أَرْضِكِ النَعِيمُ مِنَ اللَـ ∴ ـهِ فَقُومِي لِطَاعَةٍ وَاجْتِهَادِ[1]

3- البطولة:

تعتبر البطولة من أهم خصائص العمل الملحمي، حيث تخلد الأحداث المجيدة والشخصيات العظيمة، ففي الملاحم القديمة نجد وصفا دقيقا للأبطال وهم في أتون المعارك يؤدون أدوارا خطيرة، على غرار أبطال إلياذة "هوميروس" (آغاممنون) و(هكطور)، وأبطال الملاحم الهندية "كورو" و"باندو" و"كريشنا"...

أما أبطال ملحمة أرض الرسالات، فهم أنبياء الله ورسله –عليهم السلام- وقد كانوا على جانب كبير من البطولة وشجاعة الرأي وقوة الفهم، كيف لا وقد صنعهم الله على عينه، وأمدهم بعونه، ثم دعمهم بمعجزات، وخوارق، لا قبل لغيرهم بها... فهذا رسول الله ﷺ يصف النحوي عبقريته في الجهاد فيقول:

يَا رَسُولَ الْهُدَى سَلَامٌ مِـنَ اللَـ ∴ ـهِ غَـنِيُ الوَفَـاءِ وَالتِـرْدَادِ
كُـلُ فَتْـحٍ بَلَغْتَـهُ هُـوَ آيٌ ∴ لَمْ يَزَلْ مِنْ عَطَائِـهِ بِازْدِيَـادِ
غَيْرَ أَنَ القُلُوبَ أَقْسَى عَلَى الفَتْـ ∴ ـحِ وَأَغْلَى عَلَى طَرِيقِ الْجِهَـادِ
فَبَنَيْتَ الـذِي تَقْصُـرُ عَنْـهُ ∴ عَبْقَرِيَـاتُ أَعْصُرٍ وَاجْتِهَـادِ
كُـلُ خَـيْرٍ بَلَغْتَـهُ هُـوَ بِاللَـ ∴ ـهِ وَللهِ كُـلُ فَضْلٍ حَصَـادِ[2]

ويعدد الشاعر غزوات الرسول ﷺ وسراياه، والتي أظهر فيها بطولات رائعة، إن على المستوى الجسدي، أو على مستوى الحجة والإقناع، فيذكر من تلك الغزوات (بدر؛ أحد؛ الأحزاب؛ بني قريضة؛ الحديبية؛ خيبر؛ مؤتة...)[3].

أَشْرَقَتْ مَكَـةُ بِفَتْحٍ عَظِيـمٍ ∴ بُشْرَيَاتٌ عَلَى الزَمَـانِ بَـوَادِي
يَا جِنَانَ الخُلُودِ! هَـذِي حُنَيْنٌ ∴ بَيْنَ عِطْرِ الفُتُوحِ، مِسْكُ الوِهَادِ
غَزْوَةٌ بَعْـدَ غَـزْوَةٍ وَسَرَايَـا ∴ وَثَبَتْ فِي مَلَاحِـمٍ وَجِـلَادِ

---

(1) د. عدنان النحوي: المصدر السابق، ص 99-100.
(2) المصدر نفسه: ص104.
(3) المصدر نفسه: ص 106.

حَدِّثِي يَا تَبُوكُ عَنْ أُمَةِ الإِسْـ ∴ ـلاَمِ عَنْ سِلْمِهَا وَخَفْقِ صعاد
وَاذْكُرِي عَزْوَةَ الرَّسُولِ وَجَيْشًا ∴ هَبَ مِنْ عُسْرَةٍ لِيُسْرِ بَادِ
النَّبِيُّ العَظِيمُ شَادَ وَأَعْلَى ∴ مِنْ بِنَاءٍ وَشَدَّ مِنْ أَوْتَادِ[1]

أما بطولة نبي الله نوح عليه السلام ففاقت كل تصور، حيث دامت هذه البطولة مدة قياسية قاربت الألف سنة لم يتوان فيها سيدنا نوح عن جهاد المبطلين يقارعهم بالحجة الساطعة والبرهان القاطع:

يَا(لِنُوحٍ) وَقَوْمُهُ قَدْ أَصَرُّوا ∴ وَمَضَوْا فِي الضَّلاَلِ وَالإِلْحَادِ
لَمْ يَزَلْ فِيهِمْ يُلِحُّ وَيَدْعُو ∴ فِي نَهَارٍ وَحُلْكَةٍ وَارْتِيَادِ
بَيْنَ جَهْرٍ يُجْلَى بِهِ الْحَقُّ أَوْ نَجْـ ∴ ـوَى وَآيٍ وَحِكْمَةٍ وَسَدَادِ
بَيْنَ صَبْرٍ عَلَى سِنِينَ طِوَالٍ ∴ يَا لِطُولِ السِّنِينِ وَالإِشْهَادِ
بَيْنَ أَلْفٍ بِغَيْرِ خَمْسِينَ عَامًا ∴ لَمْ يَزَلْ عَزْمُهُ بِهَا فِي إِزْدِيادِ[2]

والجدير بالملاحظة أنّ صفة البطولة هنا لها أبعاد متعددة، فإذا كانت البطولة في الملاحم القديمة تتمثل في القوة الجسدية والفتك بالعدو، فإن بطولة الأنبياء –عليهم السلام– تمثلت أول ما تمثلت في قوة الإقناع، وإقامة الدليل على صحة دعواهم، ثم الصبر على الأذى والعنت... كما تميزت بطولاتهم بصفة الديمومة والاستمرارية فهم أبطال في جميع الأحوال إن في السلم أو في الحرب، كما أن صفة البطولة لازمتهم طيلة حياتهم. فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام يحطم "آلهة" قومه وهو لم يتخط مرحلة الفتوة، ويفحم (النمرود) في مناظرة كان فيها هو سيد الموقف دون غيره... على أن الموقف البطولي الذي نود اقتطافه من ملحمة أرض الرسالات هو من نوع آخر من البطولة، إنه بناء بيت الله الحرام، بمعية ولده إسماعيل –عليهما السلام– وبأمر ربه عز وجل طبعا:

يَا حَنِينَ الْخَلِيلِ يَا لَهْفَةَ الشَّوْ ∴ قِ لِمَسْرَى الْخَلِيلِ بَيْنَ الْوِهَادِ[*]
كَمْ سَعَى بَيْنَ رَبْوَةِ الْمَسْجِدِ الأَقْـ ∴ ـصَى وَسَاحَاتِ مَكَّةَ وَنِجَادِ
يَرْفَعُ الْبَيْتَ وَالدُّعَاءَ وَاسْمَا ∴ عِيلُ عَوْنٌ لَهُ وَصِدْقُ أَيَادِ

---

(1) المصدر السابق: ص106-107.

(2) المصدر نفسه: ص 111.

(*) خليل الأمير: مدينة فلسطين والثانية إبراهيم (عليه السلام).

رَبَّنَـا مُسْلِمَيْنِ جِئْنَـا وَتُبْنَـا ∴ فَاهْدِنَا رَبَّنَا سَبِيلَ الرَّشَـاد
أَرِنَـا رَبَّنَـا الْمَنَاسِـكَ نَمْضِي ∴ بَيْنَهَـا فِي تَضَـرُّعٍ وَإِنْقِيَـاد[1]

4- الخوارق:

سبقت الإشارة إلى أن بعض الباحثين يرى أن فن الملاحم لم يعد له اليوم وجود، بسبب أن ذهنية الإنسان الحالي أصبحت لا تستسيغ التفسير الأسطوري لمظاهر الكون بعد أن تزودت بالتفكير العلمي المنطقي...

غير أن خوارق الأنبياء والرسل من جنس آخر، إنها معجزات أيدهم الله بها حتى يبرهنوا على صدق دعواهم، ولكل نبي معجزته الخاصة، وعادة ما تكون من جنس ما اشتهر به قومه..

فلما كان العرب أهل فصاحة وبيان، كانت معجزة محمد ﷺ وهي القرآن الكريم أعلى درجة في البلاغة والبيان حتى يقيم عليهم الحجة؛ وهي حجّة قائمة على مر العصور والدهور لأنّ عجائب القرآن الكريم لا تنقضي أبد الآبدين:

آيَةُ اللهِ فِي الْكِتَـابِ وَذِكْـرِ ∴ لَمْ يَزَلْ فِي لِسَانِهِ وَالْفُـؤَادِ
إِنْ رَوَى الصَحْبَ كَفُّهُ فَهُـدَاهُ ∴ يَرْتَوِي مِنْهُ مُقْبِلٌ أَوْ بَـادِ
يَرْتَوِي الدَهْرُ مِنْ هُدَاهُ فَيَدْنُـو ∴ مُؤْمِنٌ خَاشِعٌ وَيَنْأَى مُعَادِ[2]

نلاحظ في البيت الثاني إشارة إلى إحدى معجزات الرسول ﷺ وهي انفجار الماء من كفه الشريفة حتى ارتوى منه جمع من الصحابة الكرام الذين حضروا هذه المعجزة...

وتمثلت معجزة نبي الله نوح عليه السلام في صنع السفينة التي تكون سببا في نجاة العصبة المؤمنة، ثم يتم إغراق الباقين:

وَالْتَقَى الْمَاءُ مِنْ سَمَاءٍ وَأَرْضٍ ∴ يَا لِهَوْلِ الطُوفَانِ وَالإِرْعَـادِ
وَإِذَا الْمَـوْجُ كَالْجِبَـالِ دَوِيٌّ ∴ زَاحِفٌ! يَا لِزَحْفِهِ الرَعَـادِ
وَإِذَا (الفُلْكُ) بَيْنَهَا فِي أَمَـانٍ ∴ وَهُدًى مُشْرِقٍ وَصِدْقِ انْقِيَادِ
وَتَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْخَلْقَ فِيـهِ ∴ بُشْرَيَاتِ الْخُلُودِ وَالأَحْفَـادِ

---

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص113.

(2) المصدر نفسه: ص 104.

قيل يا أرْضُ فَابْلَعِي كُلَ مَـاءٍ ∴ أقْلِعِي يَا سَمَاءُ عَنْ إمْـــدَادِ
خيم الصَمْتُ فَالدِيارُ عَفَـاءٌ ∴ وعِظَاتٌ لِذَاكِـرٍ أوْ هَـادِ[1]

كما تمثلت معجزة سيدنا إبراهيم –خليل الرحمن– في نجاته من النار التي ألقاه فيها قومه، حيث تحول مفعولها المحرق إلى برد وسلام:

فانبَرَي قَوْمُهُ لَـهُ وَتَدَاعَـوْا ∴ لِضَلَالٍ وَفِتْنَةٍ وَاضْطِهَادِ
أَوْقِدُوا النَارَ وَاطْرَحُوهُ عَلَيْهَا ∴ فِي لَهِيبٍ مُؤَجَجٍ وَقَـادِ
حَرِقُوهُ بِهَا فَمَا زَالَ يَرْمِـي ∴ بَيْنَ أَصْنَامِنَا فَسَادَ اعْتِقَادِ
قُلْ كُونِي يَا نَارُ بَرْدًا عَلَيْهِ ∴ وَسَلَامًا وَآيَـةً لِلْعِبَـادِ[2]

أما نبي الله عيسى عليه السلام فحياته كلها معجزات بدءا بولادته المعجزة من غير أب، وتكلمه في المهد، إلى إبرائه الأكمه والأبرص، ثم إحيائه الموتى بإذن الله تعالى وقدرته:

يَا لعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ الْحَـقُ يَجْلُـو ∴ كَيْفَ كَانَ الإعْجَازُ فِي الْمِيلَادِ
آيَةُ اللهِ وَهُـوَ يُلْقِـي إِلَـى مَـرْ ∴ يَمَ مِنْ رُوحِهِ غَـنِيَ الْرِفَـادِ
حَمَلَتْـهُ! فَكَـانَ عَبْـدًا تَقِيًـا ∴ وَرَسُولاً بِمُعْجِـزَاتٍ بَـوَادِي
كَيْفَ يُشْفِي الْمَرِيضَ؟! يُحْيِي بِإِذْنِ ∴ اللهِ مَوْتَى؟! كَلَامُهُ فِي الْمِهَادِ[3]

5- العنصر القصصي:

الملحمة قصيدة شعرية طويلة تدور أحداثها حول معارك ضخمة وبطولات خارقة «وعنصر القصة واضح في الملحمة فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث...» [4].

وإذا كان العنصر القصصي يحتل مركزا هاما في الملاحم القديمة فما مدى بروز هذا العنصر في ملحمة أرض الرسالات؟! .

---

[1] د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص111-112.
[2] المصدر نفسه: ص 113.
[3] المصدر نفسه: ص 123.
[4] د. عصام هلال: النقد الأدبي الحديث، هامش ص 93.

الحقيقة أن هذه الملحمة تكاد تخلو من عناصر القصة مثل التشويق والتشخيص والحبك وغيرها، ولعل للشاعر عذره في ذلك، مادام موضوع الملحمة يستغرق الحياة الإنسانية من لدن آدم عليه السلام إلى يوم الناس هذا، فقد يتعذر على الشاعر –مهما أوتي من قدرات – أن يسرد قصة الحياة الإنسانية برمتها سردا قصصيا على غرار ما فعله "هوميروس" في إلياذته، حيث صور لنا عشرة أيام من الحرب في آلاف من الأبيات! .

ولا أدل على الاختصار الشديد الذي لجأ إليه عدنان النحوي رغبة منه في استيفاء الأحداث، ولو كان ذلك على حساب العنصر القصصي –باعتباره ليس هدفا رئيسيا للشاعر- لا أدل على ذلك من حشده لغزوات الرسول ﷺ وسراياه – والتي استغرقت طوال المرحلة المدنية، أي أكثر من عقد من الزمن- في ستة عشر بيتا[1] مكتفيا بالإشارة إلى اسم الغزوة أو السرية... لكن مع ذلك، فإننا لا نعدم بملحمة أرض الرسالات نتفا قليلة يبرز فيها العنصر القصصي بشكل ومضات أو إشارات، ومن ذلك إشارته إلى قصة "بلقيس" مع نبي الله "سليمان" عليه السلام :

يا "لِبَلْقِيسَ"! وَهِيَ تُهْدِي سُلَيْمَا ∴ نَ وَتَخْشَى مِنْ بَأْسِهِ وَالتَعَادِي(*)
هَاهُنَا الرَكْبُ حَلَ فِيْكِ وَ(أَبْقَى) ∴ ثُمَ نَـادَاكِ: أَنْتِ (أَبْقَى) وِدَادِ
زِدْتِ مِنْ فَيْضِهِ فَأَصْبَحَ (أَبْهَى) ∴ ثُمَ نَـادَاكِ أَنْتِ (أَبْهَى) وِفَـادِ
فَمَضَى بِالْبَهَاءِ مِنْكِ لِيَسْعَـى ∴ لِنَـبِيٍ مُصَـدَقٍ وَرَشَـادِ[2]

أما قصة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون مصر الذي ادعى الألوهية، فعلى الرغم من أنها بدأت منذ ميلاده عليه السلام، إلاّ أن شاعرنا اكتفى منها ببعض المحطات الهامة وبعض المواقف المنفصلة، والتي لا ترقى أن تكون قصة بالمعنى الدقيق للكلمة، ومن هذه المحطات: ميلاد موسى عليه السلام:

يَا(لِفِرْعَونَ) يَمْلَأُ الأَرْضَ ظُلْمًا ∴ وَظَلاَمًا مِنْ فِتْنَةٍ وَاضْطِهَـادِ
وَيْحَهُ! يَقْتُلُ الرِجَالَ وَيُبْقِـي ∴ مِنْ نِسَاءٍ عَلَى ضَلاَلِ اجْتِهَادِ

---

(1) المصدر السابق: ص106.

(*) يعتقد بعض الباحثين أن مدينة "أبها" كانت تعرف في التاريخ القديم باسم "أبقا" وهو المكان الذي كانت إبل "بلقيس" تحمل منه الهدايا إلى سليمان (عليه السلام).

(2) د. عدنان النحوي: المصدر نفسه، ص99.

غَابَ فِي غَيِّهِ وَظَــنَّ ظُنُونًــا ∴ بَيْنَ كِبْرٍ طَغَى وَسُوءِ اعْتِمَادِ
وَيْحَهُ! ظَنَّ أَنْ يَصُــدَّ نَبِيًّــا ∴ مِنْ ظُهُورٍ أَوْ آيَةٍ مِنْ رَشَادِ
فَإِذَا النِّيْلُ يَحْمِلُ الطِّفْلَ يُلْقِيــ ∴ ــهِ إِلَيْهِ لِكَيْ يَكُونَ الْهَادِي[1]

ويذكر النحوي محطة أخرى وهي لقاء موسى عليه السلام مع سحرة فرعون، ونهاية هذا اللقاء بإيمان السحرة وقتلهم على يد فرعون:

يَا "لِفِرْعَونَ" يَجْمَعُ السِّحْرَ وَهْمًا ∴ وَيُلُمُّ الْحُشُودَ فِي مِيْعَــادِ
بَطَلَ السِّحْرُ كُلُّهُ مِــنْ يَدَيْــهِ ∴ لَمْ يَجِدْ فِيْهِ عَزْمَةَ الإِرفَــادِ
وَعَلاَ الْحَقُّ! يَا "لِمُوسَى" نَبِيًّــا ∴ وَرَسُولاً مُصَدَّقَ الإِشْهَادِ
يَا "لِمُوسَى" يَرْمِي بِهِ اللهُ فِرْعَــوْ ∴ نَ فَيَهْوِي بِرُكْنِهِ وَالْعِمَادِ
سَجَدَ السَّاحِــرُونَ لِلّهِ حَمْــدًا ∴ وَمَضَوْا لِلْجِنَانِ وَالإِسْعَادِ[2]

6- الموضوعية:

تعتبر الملاحم من الشعر الموضوعي لا الذاتي، لأن الشاعر يطرق فيها أشياء خارجة عن ذاته، ويتحدث عن أبطالها دون أن يقحم نفسه معهم، ويصور تجربة أمة من الأمم بعيدا عن تجاربه الخاصة... فهل كان شاعرنا موفقا في تحقيق هذا العنصر؟! .

لقد كان النحوي في ملحمة أرض الرسالات موضوعيا إلى أبعد الحدود، فهو يتناول الوقائع كما رواها أصدق كتاب في الوجود وهو القرآن الكريم الذي اعتمده الشاعر كمصدر أساسي يستقي منه أحداث ملحمته، وبخاصة ما تعلق منها بقصص الأنبياء -عليهم السلام- فهو يتحرى فيها الموضوعية نظرا لما يكتسبه موضوعها من قداسة وصدق، فإذا ما تجاوزنا هذا الموضوع إلى غيره، برزت ذاتية الشاعر بشكل محتشم أو صارخ، وقد ظهر ذلك جليا في قصيدة "الافتتاح" وقصيدة "رحلتي في أرض الرسالات"، يقول النحوي في مطلع القصيدة الأولى:

أَيُّ عِطْرٍ أَرَاهُ يَمْلَأُ حِســي ∴ وَحَنِينِي وَلَهْفَــتِي وَفُــؤَادِي
أَيُّ نُورٍ أَرَاهُ يَطْلُعُ فِي الأُفْــ ∴ ــقِ يَشُقُّ السَّبِيلَ مِنْ أَنْجَــادِ
أَيُّ ظِلٍّ يُمِدُّنِي مِــنْ نَــدَاهُ ∴ بِحُنُــوِّ الْقُلُوبِ وَالأَكْبَــادِ

---

[1] المصدر السابق: ص129.

[2] المصدر نفسه: ص129.

وَرَفِيفُ النَسيمِ بَرْدٌ مُنَــدَى ∴ ضَمنِي فِي تَشَــرُّقٍ وَتَــهَادِي
أيُ نَبعٍ تَفجَرَ الْمَــاءُ مِنْــهُ ∴ لِيُرَوِي العطَــاشَ مِــنْ رُوَادِ
إِنَهُ دَفْقَــةُ الْحَيَــاةِ وَدِيْــنٌ ∴ وَاضِحُ العَهْدِ صَادِقُ الْمِيْعَــادِ
إِنَهُ الْحَقُ! إِنَهُ الْوَحْيُ وَالْهَدْ ∴ يُ وَصَفْوُ التَوْحِيدِ وَالإِشْهَادِ[1]

ويقول في مقطع آخر من نفس القصيدة:

تُبْتُ يَا رَبِ مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِي ∴ أَنْتَ رَبِي! وَرَبُ كُلِ العِبَــادِ
فَاجْعَلَنْ تَوْبَتِي إِلَيْكَ نَصُوحــاً ∴ وَأَعِنِي فِي خُطْوَتِي وَاجْتِهَــادِي
أَنَا عَبْــدٌ لله! أَنْتَ وَلِيِــــي ∴ أَنْتَ يَا رَبِ مَلْجَئِي وَاعْتِمَادِي
فَاغْفِرَنَ الذُنُوبَ! كُلَ ذُنُوبِــي ∴ وَاهْدِنِي لِلرَشَــادِ وَالإِعْــدَادِ[2]

ويتجرد الشاعر من الموضوعية تماما في آخر قصيدة من الملحمة قبل الخاتمة، ليفسح المجال لذاتيته في الظهور من أول القصيدة إلى نهايتها، ففي مطلع القصيدة يذكر الشاعر أن أرض الرسالات التي يدور حولها موضوع الملحمة ليست غريبة عنه ولا هو غريب عنها، فهي منبت آبائه وأجداده، وفيها داره ومقامه، وكم تزيد حسرته واغترابه عندما يحس بالحنين إلى بلاده ومسقط رأسه وقد اغتصبها اليهود، ولم تبق منها سوى ذكريات الطفولة:

لَهْفَ نَفْسِي! أَرْضُ الرِسَالاَتِ دَارِي ∴ وَمَقَامِي وَمَلْجَئِــي وَارْتِيَــادِي
كُنْتُ يَا أَرْضُ فِي رُبَى الْمَسْجِدِ الأَقْــ ∴ ــصَى وَفِي سَاحِهِ وَفِــي أَنْجَادِ
كُنْتُ فِي مَلْعَبِ الطُفُولَــةِ، فِي دُنْــ ∴ ــيَا الصِبَا، لَهْفَةُ الْمُنَى وَاعْتِدَادِي
يَا لِكَنْعَانَ! يَــا رُبَى صَفَــدٍ! يَــا ∴ دَارَ عَكَا! وَذِكْرَيَــاتِ سُهَــادِي
كُنْتُ يَــا أَرْضُ أَلْتَقِيكِ مَــعَ الأَقْــ ∴ ــصَى وَفِي كُلِ سَاحَةٍ وَامْتِــدَادِ
أُمَــةً يَبْعَثُ الْحَنِينُ إِلَيْهَــا ∴ عِزَةَ الشَــوْقِ، لَهْفَــةَ الْمِيْعَــادِ[3]

ثم يعرج الشاعر النحوي على البلاد التي اتخذ منها مستقرا ومقاما وهي أرض الحجاز الطيبة التي عاش فيها خير خلق الله ﷺ وكأنه بذلك يستجير بالله في بيته الحرام من اليهود الغاصبين:

---

(1) المصدر السابق: ص89.

(2) المصدر نفسه: ص90.

(3) [illegible]: ملحمة أرض الرسالات، ص 139.

هَاهُنَا جِئْتُ أَنْشُدُ الظِلَ أَرْجُـــو ∴ فِي رِحَابِ الْهُدَى بَلاَلَةَ صَادِي
هَاهُنَا عُدْتُ وَالْجُذُورُ مِنَ التَـــا ∴ رِيْخِ تَرْوِي رِسَالَـــةَ الأَجْـــدَاد
فِي رِحَابِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِلَى اللَـــ ∴ ـــهِ رَجَائِي وَذِلَّـــتِي وَمَعَـــادِي
فِي خُشُـــوعٍ إِلَيْكَ أَرْفَـــعُ يَـــارَ ∴ بِ شَكَاتِي وَتَوْبَتِي وَانْقِيَـــادِي
هَاهُنَا عِنْدَ طِيْبَـــةَ الْيَـــومَ أَلْقَـــى ∴ مِنْ جَلاَلِ الرَسُولِ آيَةَ هَادِي[1]

ويختم النحوي هذه القصيدة بنبرة ذاتية عالية يشيد فيها بخصاله ويفخر بفعاله، بل يذهب إلى أبعد من ذلك، حين يمعن في ذاتيته ويصرح أن كلّ بيت من أبيات الملحمة هو دفق من دمائه وقطعة من فؤاده:

لَهْفَ نَفْسِي! أَرْضَ الرِسَالاَتِ هَاتِي ∴ رَجِعِي مِنْ رَوَائِعِ الإِنْشَـــادِ
أَنَا لَـــحْنٌ عَلَـــى الرُبُـــوعِ نَـــدِيٌ ∴ وَعَلَى أُفْقِكِ الْمُنَـــورِ شَـــادِ
أَنَا فِي الرَوْضِ طَائِـــرٌ لَمْ يَزَلْ يَخْـــ ∴ ـــفُقُ بِالْوَجْدِ قَلْبُهُ وَالـــوِدَادِ
أَنَا فِي السَاحِ جَوْلَةٌ فِي سَبِيْلِ اللَـــ ∴ ـــهِ دَاعٍ لِدِيْنِـــهِ وَالرَشَـــادِ
أَغْرِسُ الـــوَرْدَ حَيْثُ مِلْتُ وَأَرْوِي ∴ فَاهْنَئِ يَا رُبُـــوعُ بِالأَوْرَادِ
كُـــلُ بَيْتٍ نَظَمْتُـــهُ كَانَ دَفْقًـــا ∴ مِنْ دِمَائِي وَقِطْعَةً مِنْ فُؤَادِي[2]

وخلاصة القول فإنّ ملحمة أرض الرسالات البالغ عدد أبياتها "543" بيتا، والتي نظمها الشاعر عدنان النحوي على بحر الخفيف، قد أوفى ببعض الخصائص الفنية وأخل ببعضها الآخر إخلالا جزئيا أو كليا، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى كون الشاعر قد اجتهد في وضع خصائص وشروط خاصة بالملحمة الإسلامية –كما سبقت الإشارة إليه– وحاول تطبيقها على ملاحمه السبع، فهل كان ملتزما بتلك الشروط؟! .

والحقيقة أن النحوي قد حاول الالتزام بالخصائص والشروط التي حددها هو للملحمة الإسلامية، إلا أنه لم يوفق التوفيق التام في إسقاط تلك الخصائص على ملحمة أرض الرسالات، ولا أدل على ذلك من عنصر الزمن، فهو يرى أن أحداث الملحمة لا ينبغي أن تتناثر على مساحة زمنية واسعة وفترات متباعدة لا رابط بينها[*]، إلاّ أننا نجد عكس ذلك، فقد شملت الملحمة

---

(1) المصدر السابق: ص 140.

(2) د. عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسالات، ص144.

(*) ينظر المصدر نفسه، ص 20.

المدروسة مساحة زمنية واسعة وفترات جد متباعدة، وللشاعر عذره في ذلك فشساعة الموضوع استدعت شساعة الزمن، كما أن طبيعة العصر فرضت على الشاعر أن يتساهل مع بعض الخصائص التي يتعذر تطبيقها في العصر الحالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الثاني

الأداة الفنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

البناء اللغوي في معجم شعر عدنان النحوي

أولا : مصادر المعجم الشعري لعدنان النحوي

1- المصدر القرآني

2- المصدر التراثي

3- المصدر التاريخي

4- المصدر الطبيعي

ثانيـــا: ظواهر أسلوبية

1- التكـــــــرار

2- الاستفهـــــام

3- المقابلـــــــة

4- القصة و الحوار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ويدعو الشاعر اللبناني "سعيد عقل" إلى إحلال العامية(*) محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري يريد من وراء ذلك عزل لغة القرآن بتجميدها ثم القضاء عليها لأنّ« اللغة العربية تستمد بقاءها و تميزها من القرآن الكريم الذي كتب بها فزادها شرفا و رفعة و ربطها بأعظم قيم الوجود و عقائده و جعلها تمتد بين السماء و الأرض أبد الآبدين »[1].

والآن ما هو موقف شاعرنا عدنان النحوي من كلّ هذا ؟ لقد ألف العديد من الكتب يفند فيها النظريات الأدبية التي تتعارض مع إسلامية الأدب، ويبين تهافتها وما تنطوي عليه من خبث فكري منها :"الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته"،"الحداثة من منظور إيماني"، "تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها"...الخ. وفي هذين الأخيرين يجرد قلمه على دعاة الحداثة من أمثال "أدونيس" و"كمال أبو ديب" و" عبد الله الغذامي" ويرد على مكائدهم بما فتح الله عليه من حجة و بيان.

مصادر المعجم الشعري لعدنان النحوي :

يتميز المعجم الشعري لعدنان النحوي بلغة بسيطة وسهلة، فلا تكاد تجد فيه الألفاظ الغريبة ولا العبارات الغامضة، ولا حتى الكلمات ذات الجرس الحاد أو الموسيقى المتنافرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذوق صاحبه الفني من جهة، وعلى ثرائه اللغوي وقدراته على تطويع اللغة للمعاني الشعرية والصور البيانية والإيقاعات الموسيقية من جهة أخرى. كما أن لغته بعيدة كلّ البعد عن الإسفاف والابتذال والركاكة والتي أصبحت من سمات لغة هذا العصر، وهو ما حدا ببعض الدارسين أن يصف النحوي بالمتطهرين(**) لغويا، كيف لا ودواوينه الخمسة وملاحمه السبع، بل وحتّى مؤلفاته النثرية تطفح بالقيم الروحية والجمالية والإنسانية و الأخلاقية، وترتكز هذه القيم على حسّ إسلامي صاف، وهموم أمّة القرآن. وقد امتاح الشاعر لغته هذه من عدة مصادر منها: المصدر القرآني، المصدر التراثي، المصدر التاريخي و غيرها...

(*) و التي سماها باللغة الثالثة.

(1) د.نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 43.

(**) الوصف لـــ د. أحمد كمال زكي: مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص 35.

ويدعو الشاعر اللبناني "سعيد عقل" إلى إحلال العامية[*] محل الفصحى في مجال الإبداع الشعري يريد من وراء ذلك عزل لغة القرآن بتجميدها ثم القضاء عليها لأنّ« اللغة العربية تستمد بقاءها و تميزها من القرآن الكريم الذي كتب بها فزادها شرفا و رفعة و ربطها بأعظم قيم الوجود و عقائده و جعلها تمتد بين السماء و الأرض أبد الآبدين »[1].

والآن ما هو موقف شاعرنا عدنان النحوي من كلّ هذا ؟ لقد ألف العديد من الكتب يفند فيها النظريات الأدبية التي تتعارض مع إسلامية الأدب، ويبين تهافتها وما تنطوي عليه من خبث فكري منها :"الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته"،"الحداثة من منظور إيماني"، "تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها"...الخ. وفي هذين الأخيرين يجرد قلمه على دعاة الحداثة من أمثال "أدونيس" و"كمال أبو ديب" و" عبد الله الغذامي" ويرد على مكائدهم بما فتح الله عليه من حجة و بيان.

مصادر المعجم الشعري لعدنان النحوي :

يتميز المعجم الشعري لعدنان النحوي بلغة بسيطة وسهلة، فلا تكاد تجد فيه الألفاظ الغريبة ولا العبارات الغامضة، ولا حتى الكلمات ذات الجرس الحاد أو الموسيقى المتنافرة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ذوق صاحبه الفني من جهة، وعلى ثرائه اللغوي وقدراته على تطويع اللغة للمعاني الشعرية والصور البيانية والإيقاعات الموسيقية من جهة أخرى. كما أن لغته بعيدة كلّ البعد عن الإسفاف والابتذال والركاكة والتي أصبحت من سمات لغة هذا العصر، وهو ما حدا ببعض الدارسين أن يصف النحوي بالمتطهرين[**] لغويا، كيف لا ودواوينه الخمسة وملاحمه السبع، بل وحتّى مؤلفاته النثرية تطفح بالقيم الروحية والجمالية والإنسانية و الأخلاقية، وترتكز هذه القيم على حسّ إسلامي صاف، وهموم أمّة القرآن. وقد امتاح الشاعر لغته هذه من عدة مصادر منها: المصدر القرآني، المصدر التراثي، المصدر التاريخي و غيرها...

(*) و التي سماها باللغة الثالثة.

(1) د.نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 43.

(**) الوصف لـ د. أحمد كمال زكي: مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص 35.

1- المصدر القرآني :

منذ نزول القرآن الكريم، اتخذه شعراء الإسلام نبراسا يستمدون منه أفكارهم ويقتبسون منه ما يقومون به ألسنتهم ويشرفون به شعرهم« ولا شك أن أول من يجب عليهم أن يقتدوا بالقرآن الكريم أنفة وتعاليا الشعراء الذين هو رسل هذه الأمة التي تكالب عليها الاستعمار الصليبي بغزوه الاستيطاني والفكري، وهم لن يبلغوا هذه المنزلة إلا إذا كان شعرهم يحمل سمات الطهارة والنقاء المستمدين من التنزيل، وبذلك يتميز بطابع الجزالة والقوة ليزيل حجب جاهلية القرن العشرين »[1].

ولو رجعنا إلى المعجم الشعري لعدنان النحوي لوجدناه يزخر بألفاظ أو عبارات قرآنية، فجميع مؤلفاته الشعرية –وحتى النثرية- تحمل هذه الصفة، لنتناول أحد الدواوين الخمسة على سبيل المثال –لا الحصر- كديوان "موكب النور" ونقوم بإحصاء الألفاظ القرآنية الموجودة فيه، ثم نرتب ذلك في جدول كما يلي :

السورة	الآيـــــة	ص	البيت
القمر (25)	"بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ"	14	أَزِحْ صَلِيبَكَ نَنْظُرْ أَيَ مُقْتَحَمِ عَلَى الحِمَى أَوْ دَعِي كَاذِبٌ أَشِرِ
التكوير (18)	"وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ"	15	تَنَفَسَ الصُبْحُ وَالآمَالُ زَاهِرَةٌ تَفَتَحَتْ عَنْ شَبَابٍ زَاهِرٍ عَطِرِ
التوبة (52)	"قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ"	17	وَعْدًا مِنَ اللهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ لَنَا وَوَعْدُهُ الْحَقُ! جَدَ الأَمْرُ!فَانْتَظِرِي
الملك (04)	"يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ"	19	أَمَامَكَ التَلُ رَوَى مِنْ مَشَاهِدِهِ طَرْفًا يَعُدْ خَاسِئًا بِالعَارِ وَالكَدَرِ
الحج (45)	"وَ بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَ قَصْرٍ مَشِيدٍ"	28	وَالرِيَاحُ السَوْدَاءُ تَقْتَلِعُ الأَرْ ضَ فَتَهْوِي ذُرًى وَقَصْرٌ مَشِيدٌ

(1) د. محمد ناصر: مفدي زكريا شاعر النضال و الثورة، ص 71.

البقرة (81)	"وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيْئَاتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ"	33	قَدْ أَحَاطَتْ بِكَ الْخَطَايَا وَ أَلْقَى بِكَ شَيْطَانُهَا الْعَتِيُّ الْمَرِيدُ
هود (105)	"فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ"	35	فَالشَّقِيُّ الذِي تَوَلَّى شَقِيٌّ وَالسَّعِيدُ الذِي أَنَابَ سَعِيدُ
المائدة (22)	"قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ"	48	وَقَالُوا إِنَّ جَبَّارِينَ فِيهَا وَإِنَّا حَيثُ تَنْظُرُ قَاعِدُونَا
البقرة (65)	"فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ"	49	فَوَا عَجَبًا لِمَنْ مُسِخُوا قُرُودًا جَزَاءَ الْكَافِرِينَ الْمُعْتَدِينَا
المائدة (71)	"ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ"	50	فَثَمَّ عَمُوا وَصَمُوا وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَ الأَنْبِيَاءِ الْمُقْسِطِينَا
التين (01)	"وَ التِينِ وَ الزَّيْتُونِ"	61	بَيْنَ وَادٍ، عَلَى الضِّفَافِ الحَوَانِي فِي الثَّنَايَا، فِي التِّينِ وَالزَّيْتُونِ
آل عمران(110)	"كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ"	66	عَلَى أُمَّةٍ مَا أَخْرَجَ اللهُ مِثْلَهَا إِلَى النَّاسِ أَنْوَارًا وَ طِيْبَ مَآثِرِ
النحل (48)	"سُجَدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ"	117	هُوَ اللهُ!فَيُنظر حَيْثُمَا شِئْتَ آيَةً بِهَا سُجَدٌ لِلهِ يَتْبَعْنَ سُجَدًا
المنافقون (08)	"وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"	127	عَزَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمْ يَكُنْ يَقْوَى لِيَبْلُغَ مِنْهُمُ الإِذْلَالَا
ابراهيم (46)	"وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ"	130	أَبَتَاهُ! يَا يَوْمَ النُّزُوحِ كَأَنَّهُ يَوْمٌ تُرِيدُ بِهِ الْجِبَالُ زَوَالَا
الأعراف (156)	"وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ"	132	أَنْ يَسْتَجِيبَ وَأَنْ يُفِيضَ بِرَحْمَةٍ وَسِعَتْ نُدَى الْعُمْرَ وَالآجَالَا
مريم (68)	"ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جُثِيًّا"	141	مَوْكِبٌ تَحْتُو عَلَى أَقْـ ـــدَامِهِ الْدُّنْيَا جُثِيًّا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحديد (01)	"سَبَحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضِ"	160	رَبَنَا سَبَحتْ لَكَ الْفَلَوَاتُ وَأَقصى الأَعْمَاقِ وَالْظُلُمَاتُ
محمد (22)	"أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِعُوا أَرْحَامَكُمْ"	165	عَجَبًا كَيْفَ قُطِعَتْ أَرْحَامٌ وَعَشَى أَعْيُنَ الْوَرَى إِظْلاَمُ
التوبة (40)	"وَأَيَدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا"	175	رَوَتْ "بِبَدْرٍ" رِمَالاً زَادَهَا أَلَقًا جُنْدٌ مِنَ اللهِ فِي خَفَاقَةِ السُحُبِ
لقمان (02)	"تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ"	176	يَصُوغُهَا الْحَقُ بُنْيَانًا عَلَى سُنَنٍ وَأَيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ لَمْ يُرِبِ
الأحزاب (23)	"رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ"	180	رُدِي لَنَا صُدُقًا فِي اللهِ كُلُ فَتًى أَغَرَ يَنْشُبُ مِنْ بِيْضٍ وَمِنْ يَلَبِ
الأنباء (03)	"لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُوا النَجْوَى"	181	وَتَمْتَمُوا حَلَقَاتِ الْذِكْرِ لاَهِيَةً نُفُوسُهُمْ وَعَفَوْا فِي نَاعِمِ السُرُرِ
الأنفال (16)	"وَمَنْ يُوَلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَ مُتَحَرِفًا لِقِتَالٍ"	182	وَهِمَةٌ نَهَضَتْ للهِ صَادِقَةً وَلَمْ تُوَلِ الْعِدَى فِي الْرَوْعِ مِنْ دُبُرِ
الأعراف (170)	"وَالذِينَ يُمَسِكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَلاَةَ"	182	تَمَسَكَتْ بِكِتَابِ اللهِ وَاعْتَصَمَتْ بِسُنَةٍ وَمَضَتْ مَتْبُوعَةَ الأَثَرِ
الملك (19)	"أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ"	203	أَمْ تَرَى الطَيْرَ وَهُوَ يَشْدُو عَلَى الأَغْـ ـصَانِ لَمَا تَمَايَلَتْ فِي سُرُورِ
الإخلاص (02-01)	"قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، اللهُ الْصَمَدُ"	220	فَعُذْ بِالإِلَهِ فَفِيهِ الرَجَاءُ وَمِنْهُ الشِفَاءُ ! إِلَهٌ صَمَدْ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من خلال الأمثلة الواردة في الجدول السابق، والأمثلة الآتية يتضح مدى استيعاب الشاعر عدنان النحوي للنص القرآني قراءة وحفظا حيث اتخذ منه ومن الحديث الشريف رافدين قويين للاقتباس والتضمين في كثير من أشعاره، ولعل سبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون النحوي ينتمي إلى المدرسة المحافظة ونحن –كدارسين– لا يخفى علينا الدور الريادي لهذه المدرسة في كونها تستمد معجمها اللغوي من القرآن الكريم والحديث النبوي على وجه الخصوص، ومن التراث العربي الإسلامي بوجه عام.

ولعل الدارس لشعر النحوي يعي مدى الصلة واللحمة التي تربط الشاعر بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو يعلل سبب الوقوع في الاغتراب المذموم بالإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله قائلا:

أَنَا الغَرِيبُ إِذَا فَارَقْتُ حَانِيَةً ∴ مِنَ الْكِتَابِ وَآيَاتٍ مِنَ الْحِكَـمِ
وَسُنَّةً مِنْ رَسُولِ اللهِ مُشْرِقَةً ∴ وَصُحْبَةً مِنْ صَفِي الْعَهْدِ وَالذِمَمِ[1]

وقد بلغ به الهيام بلغة القرآن حدا جعله يعتبر أحسن الشعر وأجوده ما كانت لغته مستمدة من لغة القرآن :

لَآلِئُ الْشِعْرِ أَوْزَانٌ وَقَافِيَةٌ ∴ تُشِعُ مِنْ وَهَجِ الإِبْدَاعِ أَنْوَارًا
لِسَانُهُ لُغَةُ الْقُرْآنِ آيَتُهَـا ∴ إِعْجَازُهُ دَارَ إِجْلَالاً وَإِكْبَارًا[2]

وإذا كان النحوي يقف في طليعة الشعراء القرآنيين اليوم في العالم الإسلامي لينافح عن مبادئه وقيمه عبر مراحل تجربته الشعرية الطويلة، فهل كان من خلال اقتباسه وتضمينه للألفاظ والعبارات القرآنية موفقا في التعبير عن غربته الفكرية والروحية؟ أم هو مجرّد إعجاب شخصي بأسلوب القرآن تحول إلى نسيج في الذاكرة يستنجد به الشاعر وقتما تعجز لغته عن التعبير؟!. الحقيقة أن الشاعر قد وظف المعجم القرآني توظيفا مباشرا، ولم يتكبد معاناة تحويل النص القرآني إلى نسيج فني أساسه التعبير عن الغربة والحنين إلى الإسلامية، إلا أن للشاعر عذره في ذلك، فإحساسه بغربة الإسلام واللغة العربية وما حل بهما من حصار ومحاربة، جعله –كشاعر محافظ–

---

(1) د.عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص149.

(2) د. عدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 120.

يحرص كلّ الحرص على التقليد والمحافظة على أصول العربية وقواعدها خشية أن تتعرض للتطور وآثاره السيئة« فشعراء الإصلاح باعتبارهم رجال علم وفكر ديني إصلاحي رأوا في اللغة أمرا مقدسا، لأنها لغة القرآن فالتجديد فيها أو الخروج عن مقاييس القدماء أو الثورة على قوالبها يعد خروجا عن المقدسات »[1].

ولا شك أنّ الاقتباس المباشر للعبارة القرآنية قد أثر في بنية القصيدة أيما تأثير- وأعني بذلك الجانب الفني- فألفاظها مفككة رغم فخامتها وجزالتها، ودلالتها مقيدة تعتمد على الوضوح لا الإيحاء، يقول النحوي في معرض قصة موسى عليه السلام مع قومه:

فَهَبَ بِقَوْمِهِ مُوسَى وَ نَادَى ∴ فَأَجْفَلَ دُونَهُ الْمُتَقَاعِسُونَـــا
وَقَالُوا إِنَّ جَبَـــارِينَ فِيْهَـــا ∴ وَإِنَّا حَيْثُ تَنْظُـــرُ قَاعِدُونَـــا
فَأَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَبَارُ قُومَـــا ∴ إِلَيْهِمْ وَاقْحَمَا السَاحَ الْحَصِينَا
فَإِمَا يَخْرُجُونَ عَلَى سَـــلاَمٍ ∴ فَنَدْخُلَ عِنْدَ ذَلِكَ آمِنِينَـــا[2]

إن الشاعر ليعبر عن اغترابه من خلال ما حدث لموسى عليه السلام مع قومه-حين أبوا أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم-وقد كان بإمكانه أن يرسم لنا صورة حية توحي بالاغتراب الذي يجب أن يتصف به كلّ مؤمن حيال واقع لا يحتكم إلى شريعة الإسلام... ولكن الشاعر اكتفى بالاقتباس المباشر لا حرارة فيه...

وفي ملحمة "أرض الرسالات" يسرد النحوي مجموعة من قصص الأنبياء سردا مباشرا ليس فيه كبير عناء، بدءا بقصة نوح عليه السلام [3] ثم قصة إبراهيم عليه السلام [4] فعيسى عليه السلام [5] ثم موسى عليه السلام [6] وكلّها اقتباس مباشر لعبارات وألفاظ قرآنية ليس فيها من الشعر سوى الوزن والقافية.

---

(1) د.عبد الله ركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ص 633.
(2) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 47-48.
(3) دعدنان النحوي : ملحمة أرض الرسالات، ص 111.
(4) المصدر نفسه: ص113.
(5) المصدر نفسه: ص123.
(6) المصدر نفسه: ص129.

وأحيانا يسوق العبارة القرآنية أو الحديثية في قالب حكمي –شأن الشعراء التقليديين– يقول في شأن الدنيا و فتنتها :

فَهَذِي هِيَ الدُّنْيَا ابْتِلاَءٌ وَفِتْنَةٌ وَيَوْمَ الْحِسَابِ الْحَقِ تُبْلَى السَرَائِرُ[1]

فهو تضمين لآيتين كريمتين الأولى في قوله تعالى:﴿ وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴾[2]، والثانية قوله تعالى:﴿ يوم تبلى السرائر فماله من قوة و لا ناصر ﴾[3]

و في بعض الأحيان يصوغ أشعارا مضمنا إياها أحاديث نبوية شريفة من مثل قوله:

تَهَافَتَتِ الدُّنْيَا عَلَيْنَا فَأَقْبَلَتْ ∴ حُشُودٌ تَوَالَتْ فِي الدِيَارِ زَوَاحِفُ

كَأَنَّهُمْ مَالُوا إِلَى قَصْعَةٍ لَهُمْ ∴ فَضَجَتْ لَهَا أَحْشَادُهُمُ وَالطَوَائِفُ[4]

و قوله :

وَاهًا عَلَى أُمَّةِ الإِسْلاَمِ صَيَرَهَا ∴ حُبُ الْحَيَاةِ غُثَاءَ السَيْلِ وَالنَهَرِ [5]

فالأبيات تتضمن الحديث الشريف الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : ﴿يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال: إنكم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل.﴾[6].

2–المصدر التراثي الشعري:

إن من أبرز خصائص الشعر الإسلامي، أن صاحبه يرى واقعة من خلال الماضي الذي يعتبر إرثا رؤيويا وتشكيليا لا ينبغي التنازل عنه و التفريط فيه، فهو المعين على التعبير الموحي، والمساعد على تشكيل الرؤى و المواقف، و يتم ذلك في إطار التواصل الحضاري بين الماضي و الحاضر[*].

بهذه الرؤية المشرقة للتراث نعرج على معجم عدنان النحوي فنجده زاخرا بالألفاظ والعبارات وحتّى الصيغ والأساليب التي استوحاها من تراث أمته المجيد، وحاول أن يوظفها في

---

(1) د.عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 105.

(2) الأنعام الآية 32.

(3) الطارق الآية 09-10.

(4) د.عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 55.

(5) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 22.

(6) رواه أبو داود و أحمد بن حنبل.

(*) يُنظر : د.عمر بوقرورة : التجربة اللغوية في شعر محمد علي الرباوي، مجلة الأدب الاسلامي ، ع 13 ، ص 59.

أشعاره حتى يشرفها بها، ويضمن لها الحيوية على مدى الأيام، في الوقت الذي يحافظ فيه على لغة القبيلة، اللغة التي وضعت من بعيد لتحترم كما يقول الشاعر الإنجليزي"توماس إيليوت"(*).

ولعل توظيف النحوي للإرث اللغوي الشعري بشكل مكثف له عدة أسباب موضوعية نذكر منها:

أ- إعجاب الشاعر بتراثه الشعري إعجابا شديدا حتى راح يحاكيه و يعارضه.

ب- النحوي شاعر مغترب- كما مر معنا-فهو يرفض الواقع باستمرار وهو ما يجعله دائم البحث عن البديل الذي يستطيع من خلاله أن يحقق ذاته الحضارية، و هذا البديل لا يراه إلا من خلال النموذج التراثي الفذ.

ج- ما يريده أعداء هذه الأمة من فصل لتراثها انفصالا تاما عن حاضر الثقافة والفكر والأدب،« وتتولى قوى غربية أو شرقية الدعاوى الواسعة لهذه الاتجاهات المتحللة، وتحيط رجالها بهالة كبيرة، و تتبنى أقزاما لتجعل منهم عمالقة، يسهل ذلك عليها اضطراب الميزان في أيدي الناس، حتى يصبح بعض رجال الأدب الغربي الموبوئين، وبعض شعرائه المنحلين، نموذجا يُتبع، وصنما يقدس »[1].

إن من أبرز ما ينبئ عن مدى إعجاب النحوي بتراثه الشعري وتأثره به، هو تقليده لفحول الشعراء، حتى راح يعارضهم في أجود قصائدهم، وقد يصرح بالمعارضة كما حصل مع امرئ القيس في قوله :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ ∴ كَفَانِي، وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ∴ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي[2]

فقد عارضه النحوي بقوله :

وَ لَوْ أَنَ مَا أَسْعَى لِدُنْيَا وَزُخْرُفٍ ∴ شَقَيْتُ بِمَا أَجْنِيهِ مِنْ زُخْرُفٍ بَالِ
وَلَكِنَمَا أَسْعَى لِفِرْدَوْسِ جَنَّةٍ ∴ وَذَاكَ بِعَوْنِ اللهِ غَايَةَ آمَالِي[3]

وحينما أنشد الشاعر الزنديق"عطاء الخرساني" متبجحا :

(*) يُنظر : د.أحمد كمال زكي: مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص 35.

(1) د.عدنان النحوي : الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص 236.

(2) امرؤ القيس: الديوان تحقيق حنا الفاخوري، ص 68.

(3) د. عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 62.

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فِتْنَـــةً ∴ وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُونْ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ ∴ كَيْفَ عِبَادُكَ لاَ يَعْشَقُـــونْ[1]

رد عليه النحوي على نفس الوزن و القافية :

خَلَقْتَ الْجَمَـــالَ لَنَـــا آيَـــةً ∴ يُمَحِّصُ فِيهَا الْهَوَى وَ الْيَقِينْ
وَ أَنْتَ جَمِيلُ تُحِبُّ الْجَمَالَ ∴ فَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي اتَّقُـــونْ[2]

وأما الشعراء الذين لم يصرح بمعارضته لهم ومحاكاته إياهم فجم غفير، منهم القدامى كالمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وحاكى حتى الإمام الشافعي في الحكمة والمثل، ومنهم المحدثون كشوقي وحافظ والبارودي والأخطل الصغير بشارة عبد الله الخوري وغيرهم... والملم بالتراث الشعري العربي لا يجد كبير عناء في إرجاع كل قصيدة حاكى فيها النحوي غيره إلى مصدرها الذي أخذت منه، و هو ما يشير إلى مدى التكلف الذي وضع فيه الشاعر نفسه حين لم يجد طريقة أخرى لقريضه غير القوالب الجاهزة، وكان على شاعرنا أن يعي بأن النصوص الجيدة « لا تقتبس من الموروث التاريخي لتأكيد الشعر، وتأكيد انتمائه إلى القديم، وإنما تثير بهذا الاقتباس في ذهن المتلقي دلالات وصورا، وومضات تقرب بها المعاني الحديثة التي يريدها الشاعر المعاصر »[3].

ودون إطالة نورد بعض الأمثلة تشير إلى علاقة الشاعر بالتراث الشعري لفظا وعبارة وأسلوبا، ووزنا وقافية أحيانا...

فحينما تقرأ قصيدة "عزة الإيمان" التي يقول فيها النحوي :

أَرَى اللَّيْلَ غَارَتْ فِي السَمَاءِ كَوَاكِبُهْ ∴ فَغَارَ فُؤَادِي وَالْهُمُومُ نَوَادِبُـــهْ
أَنَا ابْنُ هُمُومِ الدَّهْرِ حِينَ تَمَخَضَتْ ∴ مَصَائِبُهُ عَنْ عُسْرَةٍ وَنَوَائِبُـــــهْ
تَسَرْبَلْتُ جِلْبَابًا مِنَ الصَبْرِ ضَافِيًـــا ∴ وَلِلصَبْرِ جِلْبَابٌ تَطُولُ ذَوَائِبُـــهْ[4]

---

(1) المصدر نفسه: ص 74.

(2) المصدر نفسه: ص 74.

(3) د.علي عباس علوان : تطور الشعر العربي الحديث في العراق، ص 264.

(4) د.عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 229.

قلت حينما نقرأ له هذه القصيدة وما شاكلها نحس بروح " المتنبي" حاضرة بتشاؤمها، وسوء ظنها بالناس، وحتى بما في أسلوبه من جزالة وفخامة، وتصوير وحكمة... وحين يكتب عن العيد في فلسطين لم يزد على أن تقمص شخصية المتنبي في قصيدته الشهيرة :

عِيْدُ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتَ يَا عِيدُ ∴ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدُ[1]

فحاكاه في الوزن و القافية و الأسلوب و حتّى النغمة الحزينة قائلا:

هَلْ عُدْتَ بِالأَمَلِ الْمَحْبُوبِ يَا عِيْدُ ∴ عَوْدٌ سَعِيدٌ فَهَلْ فِي الْعَوْدِ تَجْدِيدُ[2]

وما ينبغي الإشارة إليه أن أثر المعجم التراثي الشعري لم يقتصر على الألفاظ فحسب بل تعدى ذلك إلى النسيج اللغوي لهؤلاء الشعراء، متمثلا في الصيغ والأساليب والتشبيهات والمجازات التي تصل إلى حد الاقتباس والتضمين المعبرين عن الإعجاب الشديد، فعندما بلغه أن شاعرا هجا مدينة "صفد" مسقط رأسه، حز ذلك كثيرا في نفسه، وشعر بروح التحدي تغمره، وتمثل قول "جرير" وهو يهجو شعراء " النقائض" بقوله :

أَعْدَدْتُ لِلشُّعَـرَاءِ سُمـًّا نَاقِعًـــا ∴ فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَـــأْسِ الأَوَلِ

لَمَا وَضَعْتُ عَلَى "الفَرَزْدَقِ" مِيْسَمِي ∴ وَجَدَا "البَعِيْثُ"جَدَعْتُ أَنْفَ"الأَخْطَلِ" [3]

فقد ضمن النحوي هذين البيتين في شعره قائلا :

فَحَذَارِ يَا هَذَا فَإِنِي نَاصِـــحٌ ∴ لَكَ !إِنَّ شِعْرِي نَفْثَةُ الرَّقْشَاءِ

أَسْقِيكَ بِالْكَأْسِ التِي أَعْدَدْتُهَا ∴ لِسْوَاكَ بَيْنَ جَوَانِبِ الغُرَبَـــاءِ [4]

وفي نفس القصيدة يصوغ النحوي بيتا في قالب حكمي :

وَالْعَيْنُ إِنْ كَثُرَ الضِيَاءُ ضَرِيرَةٌ ∴ أَوَ هَلْ يُرَى بِالْمُقْلَةِ الْعَمْيَاءِ

و هو في ذلك يحاكي الشاعر " البوصيري" في قصيدة "البردة" :

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَمْسِ مِنْ رَمَدٍ ∴ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ [5]

---

[1] أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ج2، ص 139.

[2] د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 85.

[3] جرير: ديوان جرير، ص 554 .

[4] د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 262.

[5] البوصيري: ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص 197.

غير أن الاعتماد المطلق على لغة الأوائل دون أن يصبغها الشاعر بصبغته قد يجر معجمه إلى سلبية مرفوضة لأن« الشاعر الذي يفقد مصدر التفرد، فيظهر عاجزا عن تطوير القاعدة أو تغيير العرف، أو إضافة الجديد إليهما لن يكون إلا نسخة مكررة من نسخ كثيرة سبقته من الشعراء »[1].

ومن الشعراء المحدثين الذين عارضهم النحوي متأثرا بشعرهم نجد في مقدمتهم أمير الشعراء "أحمد شوقي"، فقد عارضه بقصيدة كتبها إلى صديق له تحت عنوان "فاقرأ بعينيه السلام" ومطلعها :

مَنْ لِلْفُؤَادِ إِذَا رَحَلْـــ ∴ ـــتَ وَمَنْ يَحِنُ وَمَنْ يُعِينُهُ[2]

فهي محاكاة واضحة لقصيدة شوقي "يا ناعما رقدت جفونه" والتي مطلعها:

يَا نَاعِمًا رَقَدَتْ جُفُونُهُ ∴ مُضْنَاكَ لاَ تَهْدَأْ شُجُونُـــهُ[3]

كما عارض شاعر النيل"حافظ إبراهيم" في بيته المشهور :

لاَ تَحْسِبَنَ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ∴ مَا لَمْ يُتَوِجْ رَبُّهُ بِخَلاَقِ[4]

فنسج النحوي على منواله و قال :

فَجُدَ لِلْعِلْمِ إِنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا ∴ إِذَا تَعَانَقَ فِيهِ الدِينُ وَالأَدَبُ[5]

ومن الشعراء الوجدانيين الذين تأثر بهم النحوي الشاعر التونسي " أبو القاسم الشابي"، فقد اقتبس النحوي منه شطرا كاملا في التفاؤل وأودعه إحدى قصائده قائلا :

فَلاَ بُدَ لِلَيْلِ أَنْ يَنْجَلِـــي ∴ عَلَى وَضَحِ مُشْرِقٍ أَوْ نَهَارْ[6]

وهذا الشطر مقتبس من قول "أبي القاسم الشابي" في القصيدة التي مطلعها :

إِذَا الشَعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ ∴ فَلاَبُدَ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ

وَلاَبُـــدَ لِلَيْـــلِ أَنْ يَنْجَلِـــي ∴ وَلاَبُدَ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرْ[7]

---

(1) د أحمد بسام الساعي: الواقعية الاسلامية، ص 69.

(2) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 265.

(3) أحمد شوقي: الشوقيات، ج2 ، ص 141.

(4) حافظ إبراهيم: الديوان، ص 279.

(5) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 249.

(6) د. عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 145.

(7) أبو القاسم الشابي: الأعمال الكاملة، ج1، ص236.

3- المصدر التاريخي :

إن الرمز التاريخي ليس مجرد أداة فنية يتوسل بها الشاعر إلى نقل تجربته، بل هو استدعاء للذاكرة التاريخية، وبعث للماضي في الحاضر، وكما أنه وصل بين الأجيال السابقة واللاحقة، فهو جزء من الذات الحضارية للامة، وبعثه في صورة ناصعة محفزة، ما هو إلا وفاء لهذه الذات وتأكيد لها، كما أن تحقيره أو محاولة طمسه والتقليل من شأنه هو ضرب من الانفصال عن الجذور ومحاولة استنبات في الهواء...

إن من المؤسف حقا أن نجد الشاعر العربي المعاصر يحقد على الشخصيات التاريخية الإسلامية على الخصوص، و التي لا يرى فيها إلا« صورا للتأخر السياسي و الحضاري وللتقاليد البالية و للعقلية العربية القديمة التي يثور الشاعر عليها، إنه يسقط كل ما يشكو العرب منه في العصر الحديث من تأخر و انحطاط على تلك الشخصيات غافلا عن أنها كانت في زمنها أقوى شخصيات العصر، وكانت الدولة أقوى دول زمانها »[1].

وفي مقابل ذلك نجد وفرة المادة التاريخية لدى شعراء الاتجاه المحافظ كرد فعل طبيعي على شعراء التغريب والانسلاخ، فقد ازداد شعورهم بأهمية التاريخ، فراحوا يستدعون رموزه وشخصياته الفذة حتى تكون شاهدة على الردة الحضارية، والنكبة الكبرى التي حلت بالأمة الإسلامية ....

ولا شك أن العقيدة الإسلامية لدى الشاعر عدنان النحوي قد أمدته بقوة معنوية كبيرة، ساهمت في اغترابه عن الواقع المرفوض وأنقذته من الانهيار أمام تيار الأحداث، وحولته إلى نبع متدفق العطاء، فعلى الرغم من ضياع بلاده"فلسطين" لم يتقوقع ضمن حيز إقليمي محدود ، بل تفاعل مع القضايا الإسلامية عبر ربوع العالم الإسلامي من "كشمير" إلى "أفغانستان "إلى" البوسنة والهرسك"، فما يفتح جرح من جراح العالم الإسلامي حتى يهرع شاعرنا مواسيا يرفع الهمم، و يذكر بأمجاد الماضي المجيد، و من يقرأ ملاحمه السبع يدرك صحة ما ذهبنا إليه.

ومن الشخصيات التاريخية التي حفل بها معجم النحوي، و التي استمد معظمها من القصص القرآني، ومن كتب التراجم والسير نجد أسماء الأنبياء -عليهم السلام-، والخلفاء، والصحابة "رضوان الله عليهم"، وقادة الجيوش.

---

[1] د. أحمد بسام الساعي : حركة الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه ، ص 338.

كما نجد أسماء الأماكن والمواقع المشهودة والتي حقق فيها هؤلاء انتصارات باهرة كـ : (بدر، واليرموك، الأقصى، وأوراس....)(*).

ومن القصائد التي حشد فيها النحوي أسماء لمجموعة من الأنبياء قصيدة "رحلة الموت" وقد جاء فيها :

فَمَا كَانَ "إِبْرَاهِيمُ" إِلاَ مُصَدِقًـــا ∴ بِأَحْمَدَ بَرًا، عَاطِـرًا بِالبَشَائِـرِ
وَرَتَّلَهَا "دَاوُدُ" نَفْحَ نُبُـــــوَةٍ ∴ وَرَجَعَ تَحْنَانًا وَخَفْقَ مَزَامِـــرِ
وَصَانَ "سُلَيْمَانُ" الْحَكِيمُ أَمَانَـــةً ∴ لأَحْمَدَ يُوفِيهَا نَدِيَةَ شَاكِـــرِ
وَرَفَتْ عَلَى "عِيسَى" النُبُوَةُ وَالْتَقَتْ ∴ عَلَى سَاحَةِ الأَقْصَى شُفُوفَ بَصَائِرِ
فَأَمَهُمُ الْمُخْتَارُ "أَحْمَدَ" سَيِـــدًا ∴ لِيَجْمَعَ مِنْ مَاضٍ زَكِيٍّ وَحَاضِرِ(1)

غير أن ما يعاب على الشاعر هو حشده لهذه الرموز بشكل مكثف حتى غدا معجمه التاريخي فاقدا للجانب الفني، حيث تحول الأداء الشعري إلى مجرد سرد مباشر لأسماء الأعلام مما أضر بالبناء الشعري أيما ضرر، وجعله فنا لإحصاء الأحداث التاريخية دونما إيحاء أو تعبير إيحائي، يقول النحوي في إحدى مطولاته :

رُدِي رَوَابِي "الصِينِ" أَيْنَ "قُتَيْبَـــةُ" ∴ والسُورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الْفُرْسَـــانُ
وَ"السِنْدُ" مَا لِلدَاجِيَـــاتِ تَلُفُـــهُ ∴ والذِكْرَيَـــاتُ عَلَـــى ذُرَاهُ أَذَانُ
رُدِي رَوَابِي "الْهِنْدِ" أَيْنَ شَرِيعَةُ الرَ ∴ حْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُلْطَـــانِ
"دَارَ السَلاَمِ" وَأَيْ لَحْنٍ لَمْ يَكُـــنْ ∴ شَكْوَى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ "بَغْدَانُ"
تَمْضِي رُبَى "الأُرْدُنِ" بَيْنَ مِيَاهِهَـــا ∴ ذِكْرَى يُعِيدُ رَوَاءَهَا الْجَرْيَـــانُ
وَ "دِمَشْقُ" تَطْوِيهَا الْضُلُوعُ صَبَابَةً ∴ وَ تَغِيبُ بَيْنَ جُفُونِيَ "الْسُـــودَانُ"
وَ "الْمَغْرِبُ" الزَاهِي أَرُدُ لِسَاحِـــهِ ∴ طَرْفِي فَيَهْفُو لِلِقَا إِخْـــوَانُ
يَا "تُونُسُ" الْخَضْرَاءُ عَهْدِي بِالْهَوَى ∴ صَافٍ وَ عَهْدِي فِي الرُبَى رَيْحَانُ
رُدِي "لِمِصْرَ" إِذَا نَظَرْتِ لِنِيلِهَـــا ∴ عُتْبَى لِمَنْ صُرِعُوا هُنَاكَ وَ بَانُـــوا

(*) يُنظر : د.عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 71 ، 161 .
ديوان الأرض المباركة، ص 86 ،108، 159 ،169، 205 ،213، 253.
ملحمة أرض الرسالات، ص 106، 111، 113، 115 ،119، 121.

(1) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 66-67.

وَتَلَفَتَ "الأَقْصَى" " لِمَكَةَ " لَوْعَةً ∴ أُخْتَاهُ تَنْهَشُ أَضْلُعِي الْعِرْبَـــانُ
أُخْتَاهُ أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَ حَشْدُهُمْ؟ ∴ أَيْنَ الْمَلاَيِينُ الْغُثَاءُ أَهَانُـــوا؟! [1]

وتشتد الغربة بشاعرنا و يشتد حنينه إلى أمجاد الماضي المشرق في عصره، بقدر ما يعيش مع هؤلاء، ولما لم يجدهم ماثلين أمام عينيه توسل"بعرائس المجد" أن تعود و معها هؤلاء الأمجاد :

عُودِي لِمَغْنَاكِ فِي السَاحَاتِ وَ ارْتَقِبِـــي ∴ عَرَائِسَ الْمَجْدِ! خَفْقَ النَصْلِ وَالقُضُبِ
رُدِي لَنَا مِنْ "أَبِي بَكْرٍ"وَمِنْ "عُمَـــرٍ" ∴ وَمِنْ عَلِي وَعُثْمَـــانَ وَعَـــزْمِ أَبِـــي
وَمِنْ "مُعَاذٍ" وَ "سَعْدٍ"وَ الأُلَى نَهَضُوا ∴ لَمَّا دُعُوا فَأَجَـــابَتْ نَخْـــوَةُ النُجُبِ
"أَبُو دُجَانَةَ" قَدْ شَدَ العِصَابَـــةَ فِـــي ∴ رَأْسٍ وَمَدَ نِصَالَ الْمَـــوْتِ وَالعَطَبِ
وَذَا "عُمَيْرٌ" وَ قَـــدْ أَلْقَـــى بِتَمْرَتِـــهِ ∴ يَمْضِي إِلَى جَنَةٍ خَضْـــرَاءَ لَـــمْ تَغِبِ
سَيَطْلُعُ الفَجْرُ مَهْمَا طَالَ مَوْعِـــدُهُ ∴ عَلَى شُمُوسٍ مِنَ الآفَاقِ وَالسُحُبِ [2]

غير أن " ملحمة التاريخ"[3] تبقى سجلا تاريخيا حافلا، حيث وقف فيها النحوي واستوقف، وبكى واستبكى، وحشد فيها مالم يحشده في غيرها من أسماء أعلام لأشخاص وأمكنة ومواقع وأحداث، فنجد من القادة الذين ترددت أسماؤهم في هذه الملحمة أكثر من مرة شخصية "صلاح الدين الأيوبي" محرر الأقصى ولعل سبب ذلك يعود إلى إحساس النحوي بضياعه على أيدي يهود فاستنجد بالقائد"صلاح الدين" عساه يقوم من قبره فيحرر الأقصى كما حرره أول مرة :

تُنَادِي "صَلاَحَ الدِينِ" مَهْلاً فَإِنَهُ ∴ يُدَوِي دَوِيَ السَاحِ وَ الْحَلَبَـــاتِ
"نِدَاءُ صَلاَحَ الدِينِ" مِلْءُ حَوَاضِرٍ ∴ وَمِلْءُ زَمَانٍ زَاهِـــرٍ بِشُـــــدَاةِ
وَهَذَا "صَلاَحُ الدِينِ" مَجْدٌ مُؤَثَـــلٌ ∴ عَلَى الصِدْقِ مَنْشُورٌ عَلَى صَفَحَاتِ [4]

ومن أسماء الأعلام الواردة في هذه"الملحمة" نجد : السليقة دار الخلافة، الأقصى، دمشق، ميسلون، عبد الحميد، فلسطين، القدس، أمير المؤمنين، مكة، طيبة، الصين، الهند، بغداد، الشام، مصر، أندلس ...

---

(1) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 197 و ما بعدها.
(2) د.عدنان النحوي : ديوان موكب النور ، ص 171 و ما بعدها.
(3) د. عدنان النحوي: ديوان جراح على الدرب ، ص 136 وما بعدها.
(4) د. عدنان النحوي : المصدر نفسه، ص 136 و ما بعدها.

4- المصدر الطبيعي :

قليلا ما نجد الشعر العربي الإسلامي يحفل بوصف الطبيعة، وهو إذ يصفها لا يكاد يصل بينها وبين فعلها في الوجدان إلا نادرا...

ولعل جمال الطبيعة من أروع ألوان الجمال التي تستهوي النفس البشرية غير أن العادة تفسد التطلع إلى ذلك الجمال الخلاب، فتبلد الحواس لما ترى وما تسمع، وتنسى بحكم التعود أنه رائع وأنه جميل، وعندئذ لابد من تدخل الفن لإيقاظ النفس من غفلتها لتحس بجمال الطبيعة(*) .

ولقد كاد النحوي في بعض قصائد الوصف أن يكتفي بمعجم مفردات الطبيعة إعجابا بها كالقصيدة التي يصف فيها بلدته الحبيبة"صفد" فيقول :

يَا زَهْرَةَ اللَوْزِ الشَهِي وَ طَلْعَةَ النَـ ∴ ـنَوْرِ البَهِي وَ غَرْسَةَ الأَجْدَادِ
يَا غَرْسَةَ العِنَابِ مَدَتْ كَفَهَا الْـ ∴ ـمَخْضُوبَ مِنْ فَرْعٍ لَهَا مَيَادِ
كَالغَادَةِ الْحَسْنَاءِ خَلْفَ خِبَائِهَـا ∴ دَفَعَتْ بَنَانًا لِلْمُحِبِ الصَـادِي
يَا أُمْسِيَاتٍ فِي الرُجُومِ كَأَنَهَـا ∴ عِطْرُ الشَبَابِ وَ بَهْجَةُ الأَعْيَـادِ
والبَحْرَةُ الزَرْقَاءُ دُونَ شِعَابِـهِ ∴ نَزَلَتْ فَأَنْزَلَهَا سَـوَادَ فُـؤَادِ
نَهَدَتْ بِجَنْبَيْهَا الرُبَى وَ تَـوَثَبَتْ ∴ نَهْدَينِ مُضْطَرِبَيْنِ فَـوْقَ مِهَـادِ
أَهْدَى لَهَا اللَيْلُ الشَجِيُ غِلاَلَـةً ∴ سَمْرَاءَ تَخْفِقُ فِي ظِلاَلِ سَـوَادِ
وَشَتْ حَوَاشِيَهَا النُجُومُ لآلِئًـا ∴ تَطْوِي وَتَنْشُرُ مِنْ بَرِيقٍ هَـادِي
وَالبَدْرُ بَيْنَ النَاهِدَينِ كَمَاسَـةٍ ∴ مَوْصُولَةٍ فِي جِيْدِهَا بِقِـلاَدِ(1)

أما في وصف "حيفا" فيقول :

حَيْفَا! فَدَيْتُكِ مَا أَبْهَى مَغَانِيَـكِ ∴ وَكَمْ يَطِيبُ الْهَوَى فِي ظِلِ نَادِيكِ
مَا الْحُسْنُ إِلاَّ كِتَابٌ أَنْتِ أَسْطُرَهُ ∴ أَوْ أَنَّهُ قُبْلَةٌ قَرَّتْ عَلَى فِيـكِ
مَا أَنْتِ إِلاَّ عَرُوسُ البَحْرِ مِنْ قِـدَمٍ ∴ عَلَوتِ كِبْرًا فَمَالَ البَحْرُ يُغْرِيـكِ
لَمْ يَهْوَ غَيْرَكِ مِنْ شَتَى عَرَائِسِـهِ ∴ فَخَفَ نَحْوَكِ فِي هَمْسٍ يُنَاجِيـكِ
سَعَتْ عَرَائِسُهُ تُهْدِي تَهَانِيَهَـا ∴ وَمَا عَرَائِسُـهُ إِلاَّ جَوَارِيـكِ

(*) ينظر : محمد قطب : منهج الفن الإسلامي، ص 143.

(1) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 153.

هَلاَ رَضِيْتِ ! فَكَمْ أَلْقَى جَوَاهِـرَهُ ∴ عَلَيْكِ لَيْلاً وَكَمْ شَعَتْ لَآلِيـكِ
حَبَاكِ مِنْ قَلْبِهِ حَبَاتِهِ كَرَمًـــا ∴ وَلَمْ يَنَلْ غَيْرَ لَثْمٍ مِنْ أَيَادِيـكِ
تُبْدِينَهَا فِي الدُجَى وَ اللَيْلُ لَيْلُ هَوًى ∴ لَيْسَتْ لَيَالِي الْهَوَى إلاَّ لَيَالِيـكِ
وَبِتِ حَالِمَةً !إنَّ الْهَوَى حُلُـــمٌ ∴ وَقُمْتِ نَاطِقَةً رَقَتْ مَعَانِيـكِ[1]

من خلال هاتين الرائعتين،ندرك أن شاعرنا في مجال الوصف فارس لا يشق له غبار، إلا أنه صاحب رسالة عظمى جعلت منه شاعرا مغتربا ثائرا أكثر منه وصافا، أما حين يهدأ-وقليلا ما يكون- فهو يتأنق في وصفه فيجيد، ومما يدلنا على احتفال النحوي بألفاظ الطبيعة و بخاصة ألفاظ النور والزهر والطرب ومشتقاتها فمقدمته التي افتتح بها مرثية الشهيد "سيد قطب" (رحمه الله) فعلى الرغم من أن المقام هو مقام إجلال و خشوع، فقد افتتح المرثية بقوله :

غَرِدِي يَا طُيُورُ وَالتَقِطِـي الْحَبَّـ ∴ ـبَ وَ طُوفِي بِرَوْضَةٍ وَمَغَانِي
وَانْثُرِي مِنْ رُؤَى الْخَمَائِـلِ أَفْيَـا ∴ ءً وَمُدِى غِلاَلَةً مِـنْ أَمَـانِ
وَاخْفِقِي بِالرِضَاءِ أَجْنِحَـةَ الْخَـ ∴ ـيْرِ عَلَى غُصْنِ رَوْضِكِ الرَيَانِ
وَاعْبِقِي يَا زُهُورُ بِـالأَرَجِ الْحُلْـ ∴ ـوِ وَتِيهِي عَرَائِسًا فِي جِنَـانِ
عُرُسٌ فِي السَمَـاءِ وَالأَرْضِ أَفْـ ∴ ـرَاحٌ رُؤَاهَا مَمْزُوجَةُ الأَلْـوَانِ
عُرُسٌ تَرْقُصُ الْخَرَائِـدُ فِيـ ∴ عَبْقَرِيُ الأَشْـوَاقِ وَالأَلْحَـانِ
تَتَثَنَى أَطْيَافُـهُ مُلْهَمَـاتٍ ∴ وَالأَهَازِيجُ خَفْقَـةُ الإِيْمَـانِ
يَمْلَأُ الأُفْقَ مِنْ سَنَـا قَطَـرَاتٍ ∴ مِنْ دَمٍ رَاعِفٍ وَنُـورٍ حَانِـي[2]

من خلال المقطوعات الثلاث السابقة يمكن رصد الألفاظ الطبيعية التالية: (زهرة، النور، غرسة، العناب، فرع، أمسيات عطر، البحيرة الزرقاء[*]، شعاب، الربى، الليل،ظلال،سواد، النجوم، بريق، البدر، حسن، البحر، جواهر، لآلئ، الدجى، غردي، طيور، روضة، الخمائل، أفياء، غصن، الأرج، جنان،السماء، الأرض، ألوان، الألحان، أطياف، أهازيج، سنا...)، و هو ما يدل دلالة قاطعة على أن شاعرنا مغرم بالطبيعة ليس على طريقة الرومانسيين ولكن على طريقة من أحس بضياع بلاده فراح يتغنى بحسنها و جمالها كلما أخذه الحنين إليها و اشتاق لرؤيتها ...

---

(1) د. عدنان النحوي: ديوان الارض المباركة، ص 89-90.

(2) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 185 .

(*) هي بحيرة طبرية.

لقد كاد النحوي في بعض دواوينه أن يكتفي بمعجم مفردات الطبيعة، ولا غرو في ذلك« فقد شاء الله جلت قدرته أن تكون الطبيعة هي الجامعة الكبرى التي تخرج أفواج العلماء والفنانين في الوقت ذاته، العلماء الذين يتفحصون ويجربون ويكتشفون من أجل رقي العلم الإنساني وإدراك السنن والنواميس الطبيعية التي يقام عليها صرح العلوم التطبيقية المختلفة، والفنانين الذين يعاينون ويلمسون و ينظرون ويسمعون فتهزهم المعاينة والنظر والسماع وتحيله إلى قلوب تنبض عشقا وهياما وشعرا... »[1].

و يمكن أخذ ديوان "جراح على الدرب" كمثال ورصد ألفاظ الطبيعة فيه فنجد:

ألفاظ الطبيعة	القصيدة
تراب، الأرض، الربيع، قبس، الساح، صهيل، ربى، ربوع، الظل، هجير، الصحاري، درب، فياف، العصور، النور، الضياء، غرسة، جذوع، صدوع، أشواك، الطود، النسائم، واد، الأفق،	الجندي الجريح
اللحن، الشذى، الورد، الروض، أزاهر، زمن، الأمس، الدجى، منابع، مزاهر، الماضي، موج، الظلام، دياجر، البوادي، مواطر، رمال، الدرب، الظل، نهر، الموت، الدجى، الساح.	عرائس و جواهر
الدموع، الرياح، الماء، البطاح، النار، الصباح، الزلازل، الدجى، درب، الروابي، صور.	أكواخ و أشلاء
الزهر، السراب، الحياة، الخراب، الوحل، التراب، العطر، الموت، الدروب، القفر، اليباب، الألم،.	خدر الهوى

[1] د.عماد الدين خليل : الطبيعة في الفن الغربي و الإسلامي، ص 70.

الجمال، النار، عجاج، الطفولة، الشباب، الأزهار، المروج، الغصون، الخضر، الورود، عبقا، الجواهر، أيكة، هزار، عطر، إعطاء، همسة الأطيار، الأقمار، ريحانة، الطير الشجي، بلبل السحار، أنهار، لهب ، السيل، الرعد، الفضاء، البرق، قمم، بحار، وهج، الأمواج، الشواهق، المياه، قفار، جذور.	وردة و دماء
البواكير، عطر الشباب، السراب، الشعاب، السحاب، الأفاعي، التراب، الأعاصير، الأفق، شهاب، الصوت، العباب، البرق، بزاة، سهاب.	النواعير
المسك، الدرر، الزهر، نوار يشع، اليوم، الثمر، الفل، العشى، الأصل، السحر، الدنيا، السهل، البحر، النهر، اللحن، عود، مزمار، الشوق، بلبل الفجر، سبات، ظلام، نهار، لفحة نار، واد، وحوش، الوحل.	القافية المدماة
الأيام، شعلة، وقدة، نور، حياة، عبرات، همس، جهر، الصدى، ثغاء، نواح، ينابيع، سواقي، سفوح، شدو، فلاة، رمال البيد، وابل، زهر، الفلوات، السنين، النار، موج، عطر العود.	باقتان من الذكرى
المروج، التلال، ربوة، ندى، الظلال، برد الظلال، صدى، خيال، الحصى، فتلا، الدوالي، وديان، قمم الجبال، الأريج، الطيوف، الخريف، السراب الغزال.	مع الهجير
الظلال، جناح، درب، دوحة، نور، ربى، الساح، الدجى، فجر، صباح، بسمة، فحيح، عواء، نباح.	أشواك و أقاح
ربوة، طفولة، شباب، واد، القطر، الهمس، الجدب، العود، معطرة، الورود، النهر، اللحن.	أحلى الأزاهير
هضاب، أريج، شذا، الشعاب، ورود، مرابع، جداول، بكور، غراس، شطآن، الليالي، الموج، العباب، أصيل، الشمس، سحاب، هجير، ضفاف النيل، الضواري، ريحان، شعاب، أنهار، روضة.	الوهج المذاب
الظلال، بحيرة، طيور، شاطئ، ماء، رياض، أغصن.	فسحة مؤمن
مرج، خضرة، رياض، أنسام، أنوار، بركان، ضياء.	الأمل الحلو
أكوان طوفان، ساحة، ربوة، العرصات.	جوف الليل

* ظواهر أسلوبية.

رأينا أن النحوي –كشاعر محافظ– يغلب على شعره النزعة الخطابية والطريقة التقريرية المباشرة وخاصة في مراحل شعره الأولى، ولعل ذلك يعود لكونه صاحب رسالة يتوجه بها إلى الجماهير فالشعر عنده أداة للخطاب، و وسيلة من وسائل الدعوة، على أن بعض الأساليب والصيغ الخطابية برزت في شعره أكثر من غيرها منها التكرار، الاستفهام، المقابلة، القصة والحوار وغيرها...

1- التكرار

وهو من أبرز العناصر السابقة في شعر النحوي، وقد لجأ إليه الشاعر ليجدد العهد، ويؤكد ثباته على مبدأ ولائه للماضي مهما اشتدت الغربة وادلهمت الخطوب... وهو في نفس الوقت يؤدي وظيفة نفسية تطهيرية لأنه يقضي على التوتر الذي يصاحب التجربة الشعورية للشاعر ...

والتكرار بهذا المعنى يجئ في جل قصائد الشاعر التي تعبر عن غربته لا كفرد يعاني غربة وجودية، ولكن كصوت أمة تسعى لاستئناف الحياة الإسلامية، فكانت غربته بهذا المفهوم غربة عقدية حضارية(*)، وكان تعجبه وحيرته مما آلت إليه أوضاع الأمة الإسلامية بعد أن تخلت عن كتابها و حكمت هواها :

عَجَبًا ! كَيْفَ قُطِعَتْ أُمَةُ الْعُـرْ ∴ ب وَكَانَتْ عَقِيْدَةً وَ إِخَاءَ
عَجَبًا ! كَيْفَ زُلْزِلَتْ أُسُسُ الدَا ∴ رِ وَهَبَتْ رِيَاحُهَا هَوْجَـاءَ
أَفْلَتَتْ حَبْلَهَـا الْمَتِينَ وَ أَرْخَتْ ∴ مِنْ عُرَاهَا وَبَدَلَتْ أَهْـوَاءَ[1]

والشاعر مؤمن كل الإيمان أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، لذا فهو يهيب بأمته أن ترجع إلى ربها عساه أن يجعل لها مخرجا وفرجا :

أُمَتِي ! عَوْدَةً إِلَى اللهِ تُحْـيِي ∴ مَيِتَ الأَرْضِ وَ النُفُوسَ الْخَـوَاءَ
أُمَتِي ! عَـوْدَةً تَـرُدُ النَفْـ ∴ ـسَ ضِيَاءً يُمَـزِقُ الْظَلْمَـاءَ

(*) يُنظر : أبو حرة سلطاني: الغربة في أسرار الغربة، ص 15.

(1) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 126.

أُمَتِي ! عَوْدَةً تَرُدُّ إِلَى الأَيْـ ∴ ـكِ رُؤَاهُ وَلِلْغُصُونِ الْمَاءَ
عَوْدَةً تُرْجِعُ الْجِهَادَ وَتُعْلِي ∴ رَايَةَ الْحَقِ وَالْيَقِينَ عَلاَءَ[1]

ويبلغ به الانفعال العاطفي مبلغا جعله يكرر كلمات الشطر الواحد وذلك حين استبد به الحنين إلى وطنه السليب فصرخ في تحد :

وَ فِلسْطِينُ رُوِعَتْ مِنْ رَدَاهَا ∴ كُلُّنَا ! كُلُّنَا ! فِدَاهَا ! فِدَاهَا[2]

أو حينما رأى الفتنة السارية في الأمة و هي في غفلة فتساءل :

كَمْ مَضَى! كَمْ مَضَى وَ أَنْتُمْ أُسَارَى ∴ فِي حِبَالٍ قَدْ طَالَ فِيهَا الرُّقُودُ ؟!
فِتْنَةٌ بَعْدَ فِتْنَةٍ بَعْدَ أُخْرَى ∴ وَ هُيَاجٌ مِنْ بَعْدِهِ تَشْرِيدُ [3]

وهو دائم النصح لأمته بالشدة حينا وبالرفق أحيانا فحينما ركنت الأمة إلى الدعة، دعاها إلى الجهاد برفق :

إِيْهِ يَا أُمَتِي أَفِيقِي أَفِيقِي ∴ غَلَبَ الْجَهْلُ فَانْهَضِي لِلْضِرَابِ [4]

ومن الأمثلة الأخرى التي كرر فيها الشاعر النحوي "الألفاظ" و"العبارات" القصائد التالية: (رسالة المسجد الأقصى[5] جرحان[6]، من لبنان[7]، جولة في تل الزعتر[8]، آية في السبيل[9]...) وقد بلغ ولوع النحوي بالتكرار حدا جعله يكرر أساليب: النداء والاستفهام، والضمائر وحتى حروف الجر و بخاصة في بعض القصائد التي يكون فيها التوتر العاطفي شديدا، مثل قصيدة "فلسطين في ظلال القرآن"[10] التي يتكرر فيها أسلوب النداء بالحرف "يا" خمس مرات، والاستفهام بعبارة "أين" خمس مرات أيضا، وبعبارة "أي" أربع مرات، وبعبارة "كم" ثلاث مرات.

---

(1) المصدر نفسه: ص 128.
(2) المصدر نفسه : ص 108.
(3) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 83 .
(4) د.عدنان النحوي: ديوان جراح على الدرب، ص 103 .
(5) د. عدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 80.
(6) د. عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص 78 .
(7) المصدر نفسه: ص 135.
(8) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 13.
(9) المصدر نفسه: ص 93.
(10) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 119 .

أما قصيدة "رحلتي في أرض الرسلات"[1] فيتكرر الظرف الإشاري "ها هنا" ثماني مرات، وللفعل "كُنْتُ" خمس مرات، وللفعل "كُنْتِ" أربع مرات، ولضمير المتكلم "أنا" ثلاث مرات، ولحرف النداء "يا" ثلاث مرات.

أما تكرار حرف الجر فنجده بقلة في شعر النحوي، وقد استعمله معبرا به عن حالة توتر شديدة بسبب انتشار جرائم الأعداء في كلّ ميدان، يقول في مطلع قصيدة "من فلسطين" :

هَذي الْجَرِيمَةُ! مَنْ أَوْرَى مَوَاقِدَهَا

فِي الدَارِ فِي السَاحِ فِي الأَغْوَارِ فِي الْقِمَمِ؟! [2]

فكأن تكرار حرف الجر "في" موح بانتشار الجريمة في كلّ مكان، و هي الجريمة المصحوبة بالاشتعال و ما ينجر عنه من تمزق و انفجار.

2- الاستفهام :

لقد أفرط النحوي في استعمال صيغ الاستفهام بكل أنواعه، وخاصة عند معالجة مواضيع بعينها كموضوع التردي الحضاري، وعدم تحمل الأحفاد للأمانة التي بلغها إياهم، الأجداد، وموضوع البلاد الإسلامية المغتصبة وعلى رأسها فلسطين الجريحة... أضف إلى ذلك الحالة النفسية للشاعر من إحساس عميق بالاغتراب، وعدم ركون إلى الواقع، ولعل هذا ما جعله يتساءل مستنكرا كأنه غير مصدق لما تراه عينه مما آلت إليه أمة الشهادة على الناس، فراح يسائل الأقطار الإسلامية الواحد بعد الآخر في لوعة وحسرة :

يَا دَارُ مَا بِكِ ! هَزَكِ الْحِرْمَـانُ ∴ وَ عَرَاكِ مِنْ ذِكْرَى الشَهِيدِ حَنَانُ

رُدِي رَوَابِي الصِينِ أَيْنَ قُتَيْبَـةُ ∴ وَالسُورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الْفُرْسَـانُ

رُدِي رَوَابِي الْهِنْدِ أَيْنَ شَرِيعَةُ الرْ ∴ رَحْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُلْطَانُ

مَا بَالُ أَنْدَلُسٍ تَجِفُ وُرُودُهَـا ∴ شَجَنًا ! أَصَوَحَ عِنْدَهَا الْبُسْتَـانُ

وَتَلَفَتَ الأَقْصَى لِمَكَةَ لَوْعَـةً ∴ أُخْتَاهُ تَنْهَشُ أَضْلُعِي الْغِرْبَـانُ

أُخْتَاهُ أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ ∴ أَيْنَ الْمَلاَيِينُ الْغُثَاءُ ! أَهَانُـوا ؟

يَا أُمَةَ الْقُرْآنِ أَيْنَ شَمَائِـلٌ ∴ زَهَرَتْ بِهَا دَارٌ وَعَزَ مَكَـانُ

---

(1) د.عدنان النحوي: ملحمة أرض الرسلات، ص 139.

(2) د.عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص 131.

قُومِي انظري الأحْفَادَ ! كَيْفَ نُفُوسُهُمْ ∴ هَانَتْ عَلَيْهَا الْمَكْرُمَاتُ فَهَانُوا
هَلاَ أَعَدْتِ إِلَـى الـرُبَى يَرْمُوكَهَـا ∴ وَ الْشَاطِئَانِ مِنَ الْدِمَاءِ دِهَـانُ
هَلاَ أَعَدْتِ إِلَـى الْقُلُـوبِ يَقِينَهَـا ∴ وَالْبُشْرَيَاتُ نَوَاضِرٌ وَجِنَـانُ
عَهْدٌ مَعَ الْرَحْمَانِ أَوْفَى حَقَـهُ التْـ ∴ ـتَوْرَاةُ والإِنْجِيلُ وَالقُـرْآنُ [1]

إن التوتر النفسي الشديد الذي يعانيه الشاعر نتيجة توجسه خيفة مما يكيده الأعداء للإسلام وأهله، وتفاؤله بأن المستقبل لهذا الدين جعله يبتعد عن التعبير الموحي ويكتفي بالتعبير الإنشائي المباشر، على أن هذا ليس حكما عاما لازبا، فحين يصور نفسه كلاجئ يعيش حياة الغربة بين الخيام في انتظار العودة إلى أرض الأجداد نراه يحسن التصوير في لغة حوار استفهامي رائع :

سَأَلَتْ مَنْ تُرَاهُ ذَاكَ الْغَرِيـبُ ∴ مَنْ هُوَ الْشَاعِرُ الْحَزِينُ الْكَئِيبُ
وَمَنِ الْبُلْبُلُ الْصَدُوحُ الـذِي قَصْـ ∴ ـصَ جَنَاحَيْهِ صَاحِبٌ وَ قَرِيبُ
أَنَا يَا أُخْتُ ضَائِعٌ لَسْـتُ أَدْرِي ∴ أَيْنَ قَوْمِي وَ أَيُ أَرْضٍ أَجُوبُ؟!
أَيْنَ رَوْضِي وَ أَيْنَ وَادٍ ظَلِيـلٍ ∴ ضَمَنَا ! أَيْنَ مَاؤُهُ الْمَسْكُـوبُ
أَيْنَ قَوْمِي! وَ ضَاعَ صَوْتِي كَأَنْ لَمْ ∴ يَكُ فِي الْدَارِ صَاحِبٌ أَوْ عَرِيبُ
هَذِهِ يَا أُخَيَةُ الْيَـوْمَ دَارِي ∴ دَارَ فِيهَا القَنَا وَ جُنَ الْقَضِيبُ [2]

ولما تعم الجريمة في كل مكان من ساحة ودار وهضاب ووهاد ووديان وجبال، وأية جريمة إنها الاشتعال الذي يقضي على الحياة حينها لا يتمالك الشاعر نفسه فيتساءل مستنكرا :

هَذِي الْجَرِيْمَةُ! مَنْ أَوْرَى مَوَاقِدَهَـا ∴ فِي الْدَارِ..فِي السَاحِ..فِي الأَغْوَارِ..فِي القِمَمِ!؟
مَنْ أَشْعَلَ النَارَ فِي كُوخِي وَ شَرَدَنِي ∴ وَقَلَعَ الْوَتَدَ الْمَشْدُودَ مِنْ خِيَمِـي!؟
مَنِ الذِي قَطَعَ الأَوْصَالَ فَانْفَجَـرَتْ ∴ مِنَ الْعُرُوقِ رُؤًى مَصْبُوغَـةً بِـدَمِ
تَكَادُ تَصْرُخُ أَيْنَ الْمُؤْمِنُـونَ وَهَـلْ ∴ هُنَاكَ مِنْ لَفْتَةٍ لِلْدَارِ وَ الْحُـرَمِ !؟

---

[1] د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 197.

[2] د. عدنان النحوي: ملحمة الغرباء، ص 87.

مَنْ ذَا يَبِيعُ مَـعَ الأيَـامِ مُهْجَتَـهُ ∴ عَلَى يَدٍ رَجَفَتْ فِي ذُلِ مُنْهَـزِمِ
أَنَا الْغَرِيبُ وَ دُنْيَايَ اللُجُـوءُ فَكَـمْ ∴ نَصَبْتُ فِي الدَرْبِ أَوْ مَزَقْتُ مِنْ خِيَـمِ[1]

3- المقـابلـــــة:

من السمات البارزة في شعر النحوي، استخدامه لأسلوب المقابلة أو المفارقة أو التضاد، وذلك لكشف تناقضات الواقع، والتعبير عن رفضه له، و هو في كلّ ذلك يسعى إلى إصلاح ذلك الواقع أو تغييره... ومما يحز في نفس الشاعر كثيرا حين يرى الأجيال اللاحقة تتقاعس عن حمل المشعل الحضاري حين ضعفت الهمم، وترضى بحياة الذل والمسكنة في الوقت الذي كان فيه الأجداد مضرب المثل في العزة و علو الهمة :

مَاتَتْ بِهِمْ هِمَمُ الأبْطَالِ وَ انْطَلَقَتْ ∴ عَلَى السُرَى هِمَمُ الأشْبَاهِ وَ الصُوَرِ
رَمَتْ بِهِمْ عَنْ سُرُوجِ الْعِزِ أَحْصِنَةٌ ∴ وَ مَرَغَتْهُمْ عَلَى الأوْحَالِ وَ الْعَفَرِ[2]

ولعل هذا الواقع المر كان بسبب الإعراض عن "الكتاب" واتباع حياة اللهو و العبث :

إِذَا ذَكَرُوا الكِتَابَ يَقُولُ : "عَنِي" ∴ وَ إِنْ ذَكَرُوا الْمَلاَهِيَ قَالَ : "حِيْنَا"[3]

وحينئذ تحول سلاحهم إلى كلام و إلى شعار عديم الفعالية و على نقيض ذلك نجد سلاح العدو فعالا يفتك فتكا و يفري فريا :

مَدَافِعُ الْقَوْمِ صَوْتٌ لاَ لَهِيبَ لَهُ ∴ وَ مِدْفَعُ الْكُفْرِ نَارُ الْمَوْتِ وَ الْعَطَبِ[4]

إن هذا الأسلوب البلاغي الذي يصف الشيء ونقيضه قد ساعد في تجلية صورة الشيء الموصوف أكثر مما لو جرد منه التعبير الشعري، ولعل الشاعر أكثر إدراكا لهذا من غيره، فحين عاتب صديقا له لحضوره حفلا ماجنا، لم يجد بدا من اللجوء إلى أسلوب المقابلة، وسينية "البحتري"(*) ربما لاعتقاده أن هذا الأسلوب مؤثر أكثر من غيره فقال :

لَمْ تَعُدْ لِلإِلَهِ عَبْدًا تَقِيًـــا ∴ صِرْتَ عَبْدًا لِكُلِ فِسْقٍ وَ بُـــؤْسِ
كَانَ ظَنِي بِأَنَ "سَعْدًا دَعَاكُمْ ∴ فَإِذَا بِالذِي دَعَا وَجْهُ نَحْـــسِ

---

(1) المصدر نفسه: ص 131.

(2) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 23.

(3) المصدر نفسه: ص 40.

(4) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 178 .

(*) ومطلعها : صُنْتُ نَفْسِي عَمَا يُدَنسُ نَفْسِي ∴ وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِ جِبْسِ.

وَ إِذَا "بِالْبَشِيرِ" ضَيَّعَ أَمَـــا ∴ لاَ وَ "فَرْحَاتُنَا" تَصِيرُ لِتَعْـــــــس
وَالسَّلِيمُ الذِي عَرَفْتُ عَلِيـــلٌ ∴ ضَاعَ صَحْبٌ وَ مَا دَرَى! وَيْحَ نَفْسِي[1]

ولإبراز التناقض بين "نجيب الكيلاني" و "نجيب محفوظ" يتبع النحوي نفس أسلوب المفارقة فيقول:

شَتَّانَ بَيْنَ "نَجِيبٍ" نَالَ أَوْسِمَةً ∴ مِنَ الْهُدَى "وَ نَجِيبٍ" مِنْ جَرَائِـــــــرِهِ[2]

فالأول وسامه التقوى والهدى، والثاني وسامه الآثام والبوائق ويا بعد ما بينهما.

4- القصة و الحـــــوار:

على الرغم من أن هذين العنصرين لا يشكلان نسبة عالية في شعر النحوي إلا أنهما يبرزان بشكل لافت للنظر و بخاصة في شعره الجديد، و لا شك أن توظيف الشكل القصصي باعتماد عنصر الحكاية يمتع وجدان المتلقي و يحقق الفاعلية المقصودة، كما أن الأسلوب الحواري الشيق قمين بأن يكشف عن الخواطر و الأحاسيس و المشاعر...

ولعل ما يلفت الانتباه حقا أن شاعرنا قد وظف عنصري القصة و الحوار في شعره الذاتي حين (استطاع أن يتخلص من أسر التقليد فأبدع في ذلك أيما إبداع...! ففي قصيدته المعنونة بـــ " بين شقيقتين إحداهما تحتضر و خطيبها غائب" نقرأ له "سمفونية" رائعة وهي عبارة عن حوار وجداني بين أختين إحداهما تحتضر في غياب خطيبها، وأختها تعللها بعودة الحبيب علها تخفف من لوعتها :

الأخت : مَاذَا أَقُولُ إِذَا عَادَ فِي وَلَـــــهٍ ∴ وَ طَافَ يَسْأَلُ أَهْلَ الْحَيِ حَيْرَانَا
تَكَادُ أَشْوَاقُهُ تُومِي بِلَهْفَتِـــــهِ ∴ وَ تَفْضَحُ الرَّيْبَ فِي عَيْنَيْهِ أَحْزَانَا
الخطيبة قُولِي لَهُ غِبْتُ عَنْ دَارٍ تَئِنُ بِهَا ∴ شَكْوَى وَ تَقْتُلُ عُشَاقًا وَ خِلاَنَا
الأخت : وَ إِنْ أَعَادَ حَمِيًّا مِنْ لَوَاعِجِـــهِ ∴ وَ حَرَّقَتْ جَفْنَهُ بَلْوَاهُ نِيرَانَـــــا
وَ مَاجَ فِي شَفَتَيْهِ الْوَجْدُ مُرْتَجِفًا ∴
الخطيبة فَحَدِّثِيهِ حَدِيثَ الأُخْتِ سُلْوَانَـــــا

---

[1] المصدر نفسه: ص 216.

[2] د. عدنان النحوي: ديوان عمر و عبرات، ص 135.

الأخت وَ إِنْ تَسَاءَلَ عَنْ دَارٍ رَحَلْتِ لَهَا ∴

الخطيبة فَقَدِمِي خَاتَمِي رَمْزًا وَ عُنْوَانَـــــا

وَ لاَ تَحِيْرِي جَوَابًا، رُبَّ صَامِتَةٍ ∴ أَضْفَتْ عَلَى صَمْتِهَا بِرًّا وَ إِحْسَانَـا[1]

أما في قصيدته "قصور وأكواخ"[2] وهي عبارة عن قصة شعرية أعتقد أن النحوي استلهمها من قصة "مؤمن آل فرعون" فالتأثر بأسلوب القرآن الكريم والتناص معه ملمح لا تخطئه عين القارئ لشعر النحوي كما أسلفنا.

وكثيرا ما يعتمد النحوي أسلوب "التشخيص" فيجري الحوار بين الجمادات، كالحوار الذي أجراه بين "الأقصى" – الجريح- " و"مكة" وفيه يقول :

وَ تَلَفَتَ الأَقْصَى لِمَكَةَ لَوْعَـــــةً ∴ أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الْغِرْبَـانُ

أُخْتَاهُ! أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَ حَشْدُهُـــمْ ∴ أَيْنَ الْمَلاَيِيْنُ الْغُثَاءُ! أَهَانُـــوا؟

أُخْتَاهُ وَ انْقَطَعَتْ حِبَـالُ نِدَائِـــهِ ∴ وَ اغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ[3]

أو كالرسالة التي وجهها "الأقصى" للمسلمين و كلها نجوى و شكوى و حنين :

أَنَا الْمَسْجِدُ الأَقْصَى! وَهَذِي الْمَرَابِعُ ∴ بَقَايَا! وذِكْرَى! والأَسَى والْفَوَاجِـعُ

لَقَدْ كُنْتُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَدِيْعَـــةً ∴ عَلَى الدَهْرِ مَا هَبُوا إِلَيَ وَ سَارَعُـوا

فَمَا بَالُ قَوْمِي الْيَوْمَ غَابُوا وَ غُيِّبُـوا ∴ ومَا عَادَ فِي الآفَاقِ مِنْهُمْ طَلاَئِـــعُ

أَيَذْبَحُنِي أَهْلِي وَ يَبْكُونَ بَعْـدَهَـا ∴ عَلَيَ؟! لَقَدْ سَاءَتْ بِذَاكَ الْصَنَـائِعُ

إِذَا لَمْ تَقُمْ فِي الأَرْضِ أُمَّةُ أَحْمَـدٍ ∴ فَكُلُّ الذِي يُرْجَى عَلَى السَاحِ ضَائِعُ[4]

وأحيانا يتخيل النحوي حوارا دار بينه وبين شخص آخر كالحوار الذي تصوره مع "فقير" وفيه يقول :

مَدَدْتُ يَدِي كَيْمَا أَجُودَ بِدِرْهَـــمٍ ∴ عَلَيْهِ فَحَيَانِي وَ بَشَ وَ أَقْبَـــــلاَ

فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جَهِلْتَـنِي ∴ وَ إِنِي أَنَا الإِنْسَانُ أَصْلاً وَ مَـنْزِلاَ

وَ لَكِنْ تُرَى مَنْ أَنْتَ؟ فِيمَ سَأَلْتَنِـي ∴ وَ أَنْكَرْتَنِي؟ هَلاَ عَرَفْتُـــكَ أَوَلاَ

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 183 .

(2) المصدر نفسه: ص 145.

(3) د. عدنان النحوي: ديوان الارض المباركة، ص 206.

(4) د. عدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 78.

فَحِرْتُ وَ لَمْ أَدْرِ الإِجَابَةَ عَلَـــــنِي ∴ سَمِعْتُ مَقَالاً مَا أَجَلَ وَ أَعْـــدَلاَ
وَ مَا كُنْتُ قَبْلَ الْيَومِ رَاجَعْتُ سِيْرَتِي ∴ وَ لاَ سَأَلَتْ نَفْسِي السُؤَالَ الْمُعَلَلاَ
ظَنَنْتُ بِهِ جَهْلاً فَلَمَا سَمِعْتُـــــــهُ ∴ عَلِمْتُ بِأَنِي كُنْتُ أَعْيَا وَ أَجْهَـــلاَ
فَعُدْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : جَهِلْتَنِي ∴ نَسِيتُمْ عُرًا شُدَتْ وَ عَهْدًا مُفَصَلاَ
أَخُوكَ أَنَا فِي اللهِ لَوْ كُنْتَ ذَاكِـــــرًا ∴ مِنَ الدِينِ حَقًا لاَ يَغِيْبُ مُنَـــزَلاَ[1]

وخلاصة القول فقد تميز المعجم اللغوي للشاعر النحوي بأصالته وكثرة استيحائه للتراث الشعري، وقد رفد تجربته بألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف فشرف بهما شعره، وزاده سموا ورفعة.

كما شاعت في شعره خصائص أسلوبية معينة كالتكرار والاستفهام وبعض المحسنات البديعية كالتجانس والتضاد وبعض الأدوات الفنية كالقصة والحوار وغيرها، وقد أضفى كل ذلك على شعره طابعا مميزا وأثرى معجمه الشعري أيما إثراء.

---

[1] المصدر نفسه: ص 94.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصـــل الثـــــاني

الصورة الشعرية لـــدى النحوي

أولا: مفهوم الصورة الشعرية.

1-المعـــــنى اللغـــــوي

2-الصورة في النقد القديم

3-الصورة في النقد الحديث

4-عناصر الصورة الشعرية ووظائفها.

ثانيـــا: مصادر الصورة الشعرية عند النحوي.

1- المصدر القرآني و الحديثي.

2- المصدر الشعري.

3- الصور البلاغية.

4- التصوير بالرمز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيـــد:

الشعر في حقيقته فن، يقوم على نقل المعاني والدلالات عن طريق التعبير بأسلوب جميل، وليس للشاعر من وسيلة ليعبر بها عن أحاسيسه وانفعالاته إلا الألفاظ الموحية، وحينئذ تصبح العبارات الشعرية مستمدة من معجم الواقع النفسي للشاعر، وليس من معجم اللغة، لأنه يكون وقتها قد أضفى عليها من ذاته وروحه، وسوى منها كائنا حيا...

ويكاد النقاد يجمعون على أن أقوى وأسمى أدوات التعبير التي يوظفها الشاعر في نقل تجربته هي الصورة الشعرية...

فما مفهوم الصورة الشعرية؟ و كيف تطور هذا المفهوم بين النقد القديم و النقد الحديث؟

أولا: مفهوم الصورة الشعرية

1-المعنى اللغوي:

«الصورة بالضم الشكل جمع صُوَر وصِوَر كعنب والصبر كالكيس أحسنها، وقد صوره فتصور. وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة، وبالفتح شبه الحكة في الرأس....وصار صوت وعصفور صوار و الشيء صَورا أماله... وصور كفرح مال و هو أصور »[1]

ومما جاء في "لسان العرب":« والصُّور بكسر الصاد لغة في الصّور جمع صورة وصوره الله صورة حسنة فتصور. وتصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي. والتصاوير: التماثيل، ورجل صير شير:أي حسن الصورة والشارة... »[2].

2-الصورة في النقد القديم :

هناك من الدارسين من ينفي عن النقاد القدامى معرفتهم للصورة الشعرية أو يشكك في ذلك على أقل تقدير،[*] وليس له من حجة في ذلك سوى أن هذا المصطلح غير وارد بلفظه في

---

[1] الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ج2 ، ص 73.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج4 ، ص 2523.

[*] من هؤلاء المشككين :

- د. مصطفى ناصف في كتابه: الصورة الأدبية.
- د. كمال ابو ديب في كتابه: جدلية الخفاء و التجلي.
- د. نصرت عبد الرحمان في كتابه : الصور الفنية في الشعر الجاهلي...

نقدهم على الرغم من أن جل اهتماماتهم كانت منصبة على الأنواع البلاغية المعروفة لديهم كالاستعارة والتشبيه والكناية والمجاز وغيرها والمعروف أن هذه من طرائق الصورة كما يقول "تشار لتون" في كتابه(فنون الأدب)[1].

لكن النقاد القدامى وإن فاتهم استعمال المصطلح بلفظه، لم يفتهم ما يثيره من قضايا، يقول الدكتور جابر عصفور:« وقد لا نجد المصطلح-الصورة الفنية- بهذه الصياغة الحديثة في الموروث البلاغي والنقدي عند العرب، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في الموروث »[2].

ومما يجدر ذكره أن بعض هؤلاء المشككين في معرفة التراث النقدي العربي للصورة الشعرية، كان انطلاقهم من مناهج غربية حديثة، محاولين -عبثا- إسقاطها على النصوص العربية دون استيعاب لخصوصية التراث العربي، وكان على هؤلاء المشككين أن يعلموا« أن للأدب العربي خصوصيته التعبيرية، وللعصور المختلفة ميزاتها الفنية، وهي قناعة تدفع الناقد إلى التعامل معه بمنطق نقدي مغاير للمنطق الذي تعالج به آداب أخرى تميزت بأساليب تعبيرية فنية مغايرة، وإن كان العدد الأكبر من نقادنا العرب في هذا العصر لم يدركوا بعد هذه الحقيقة فظلوا يطبقون على الأدب العربي نظريات ومبادئ غريبة عن طبيعته »[3].

ولعل "الجاحظ" (ت255 هـ)هو أول ناقد عربي يخطو باتجاه التحديد الدلالي لمصطلح الصورة الشعرية بقوله:« إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير))[4] وهذه العبارة يفسرها ما قبلها، حيث أوردها الجاحظ بعد عبارته المشهورة-في المعاني- وفيها يقول:«والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي، و إنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير الألفاظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء وفي صحة الطبع، وجودة السبك.. »[5]

أما علامة جرجان الحاذق، الإمام عبد القاهر (ت471هـ)،فقد خطا خطوات جبارة في اعتماد (الصورة) معيارا للنقد، ونحن لا نتجنى على الحقيقة إن قلنا أن نقدنا الحديث في مجال

---

(1) نقلا عن : د.السعيد الورقي: في الأدب و النقد الأدبي، ص 59.

(2) (1) د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ص7.

(3) د. ريتا عوض: بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، ص 40.

(4) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، ج3، ص 131-132.

(5) المصدر نفسه: ص 131.

الصورة الشعرية، لم يضف شيئا ذا بال إلى ما وصل إليه نقّادة جرجان الفذ منذ القرن الخامس الهجري... يقول الجرجاني منوها بمزية التصوير في الكلام:« إن من الكلام ما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصور، وتتعاقب عليه الصناعات، وجل المعول في شرفه على ذاته، و إن كان التصوير قد يزيد في قيمته ويرفع من قدره »[1].

يرى الإمام عبد القاهر أن المعاني ليست على حال واحدة من جهة حاجتها إلى التصوير، فبعضها شريف في ذاته وإن تعرى من الصور، في حين أن بعضها الآخر أشد احتياجا إلى التصوير، فإذا ما نزعت عنه صورته بدا في غاية القبح. ويلح الإمام على طريقة الصياغة التي يتفاضل بها الكلام، والصور التي تتشكل فيها المعاني فيقول:« وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصور و النقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهدى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخير والتدبر في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها و ترتيبه إياها إلى ما لم يتهد إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذلك حال الشاعر والشاعر في توخيهما معاني النحو، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم »[2].

3-الصورة في النقد الحديث:

اتجه النقد الحديث لدراسة (الصورة الفنية) بشكل لافت للنظر وبات اهتمام النقاد بمعالجة قضايا الصورة واضحا، ولو كان ذلك على حساب عناصر التجربة الشعرية الأخرى كاللغة والموسيقى، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الأهمية البالغة للصورة في الخطاب الشعري، يقول سيسل دي لويس:« إن "كلمة الصورة" قد تم استخدامها خلال الخمسين سنة الماضية، أو نحو ذلك كقوة غامضة ومع ذلك فإن الصورة ثابتة في كل القصائد وكل قصيدة هي بحد ذاتها صورة ، فالاتجاهات تأتي وتذهب والأسلوب يتغير كما يتغير نمط الوزن، حتى الموضوع الجوهري يمكن أن يتغير بدون إدراك ولكن المجاز(الصورة) باق كمبدأ للحياة في القصيدة، وكمقياس رئيسي لمجد الشاعر »[3].

---

(1) الجرجاني: أسرار البلاغة، تحقيق محمد الفاضلي، ص 24.

(2) الجرجاني: دلائل الاعجاز، ص99-100

(3) سيسل دي لويس: الصورة الشعرية، ترجمة د. احمد نصيف الجنابي مالك ميري، سلمان حسن ابراهيم، ص 20.

ولقد صار من الأصول الفنية التي يكاد النقاد يجمعون عليها أن الصورة الشعرية هي أفضل وسيلة فنية يمكن للشاعر أن يعبر بها عن تجربته ليؤثر في المتلقي فيشاركه في العواطف والأحاسيس ...

لكن ! ما علاقة الصورة الشعرية باللغة؟!. لعل الجواب الشافي عن هذا التساؤل نجده في تعريف الدكتور عبد القادر القط للصورة الشعرية بأنها:« الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب و الإيقاع و الحقيقة والمجاز و الترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني والألفاظ والعبارات هما مادة الشعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها الصورة الشعرية »[1].

ونخلص من ذلك إلى أن الصورة الشعرية ما هي إلا الاستخدام الفني للطاقات الحسية والعقلية والصوتية للألفاظ والعبارات، أو هي رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة كما يرى "دي لويس"، ولعله يصعب الفصل بين الصورة واللغة والموسيقى في الخطاب الشعري، ذلك أن الصورة بناء جمالي بنيته الأولى العبارة الموقعة...

وقد غالى بعض النقاد، فجعل القصيدة صورة فقط مهملا باقي العناصر الأخرى، كما فعل الدكتور "غنيمي هلال" في كتابة (المدخل) حين قصر وسيلة التجربة على الصورة الفنية، أو كما زعم الدكتور"ماهر حسن فهمي" في كتابه (المذاهب النقدية) أنه يستطيع أن يقدر الفن الشعري بما فيه من صور... وقد رد الناقد"السحرتي" على هذه المغالاة، وبين أن الصورة هي بنت التجربة والانفعال والفكرة، والحكم على القصيدة لا يكون بالصورة بل بالتجربة ومادتها وأدواتها، ومن أبرزها الصورة والإيقاعات الموسيقية[*]، فليست الصورة في العمل الشعري مقصودة لذاتها، وليست العاطفة مجرد انفجار صاخب للهوى وإنما العاطفة تجسيد للحظة شعورية معينة يسيطر عليها الشاعر، يقول "كولردج":« ليست الصور وحدها مهما بلغ جمالها، ومهما كانت مطابقتها للواقع ومهما عبر عنها الشاعر بدقة، هي الشيء الوحيد الذي يميز الشاعر الصادق، وإنما تصبح الصور معيارا للعبقرية الأصيلة حين تشكلها عاطفة سائدة، وحينما تتحول فيها الكثرة إلى

---

(1) د. عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ص 435.

(*) يُنظر د.محمد عبد المنعم خفاجي: مدارس النقد الأدبي الحديث، ص59 .

الوحدة، والتتالي إلى لحظة واحدة، وحينما يضفي عليها الشاعر من روحه حياة إنسانية وفكرية »[1].

4-عناصر الصورة الشعرية ووظائفها:

ليس من السهل تحديد عناصر الصورة الشعرية، ولا حتى وظائفها، لأن« الصورة معطى مركب معقد من عناصر كثيرة من الخيال والفكر والموسيقى واللغة »[2] ومع ذلك يمكن رصد العناصر الأساسية التالية للصورة :

أ- الخيـــــال :

يعد الخيال أهم عنصر في الصورة الشعرية، ودراسته تكتسي أهمية بالغة، كمدخل منهجي لدراسة الصورة الشعرية، يعرفه "كولردج" بقوله :« الخيال هو القوة التي بواسطتها تستطيع صورة بعينها، أو إحساس واحد أن يهيمن على عدة صور وأحاسيس فيحقق الوحدة فيما بينها بطريقة أشبه بالصهر»[3]. وذهب "محي الدين بن عربي" إلى أن الخيال هو أعظم قوة خلقها الله، فلولا الخيال لما أمر النبي ﷺ أحدا أن يعبد الله كأنه يراه[*].

فالخيال لا يمكن أن يستغني عنه شاعر أو أديب أو فنان، لأنه القوة التي بها يستطيع التوفيق بين المتناقضات بحيث يصهر الذات والموضوع أو الروح والمادة أو الطبيعة في بوتقة واحدة هي بوتقة الخيال، وهكذا يكون الفن أسمى صورة تظهر لنا فيها الحقيقة« فالخيال الشعري هو الذي يصهر الظواهر الخارجية فيحولها عن طبيعتها إلى صور نفسية تتفجر ظلالا نفسية تتفتق عنها عوالم رحبة»[4].

إن التخييل الشعري عملية إيهام موجهة تهدف إلى إثارة المتلقي عن قصد، فالصور المخيلة في القصيدة ذات العبارات الموحية تثير خياله فتستجيب نفسه بالإذعان، فإما تنبسط لأمر ما أو تنقبض عنه من غير روية وفكر، قال حازم القرطاجني :« لما كانت النفوس قد جبلت على التنبه

---

(1) د. محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الادبي المعاصر، ص 107.

(2) ابراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي، ص 254.

(3) د.محمد مصطفى بدوي: كولردج، ص 158-159.

(*) يُنظر : د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ص 60.

(4) ساسين عساف: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، ص 12.

لأنحاء المحاكاة واستعمالها والالتذاذ بها منذ الصبا... اشتد ولوع النفس بالتخيل وصارت شديدة الانفعال له، حتّى أنها ربما تركت التصديق للتخيل، فأطاعت تخيلها وألغت تصديقها»[1].

والآن! ما رأي الحداثيين في الخيال ؟!.

يرى بعض أنصار الحداثة أن الخيال هو الإغراب والتعمية، كما هو ديدنهم في الفن عموما، فتراهم يعرضون علينا شعرا مليئا بالصور الغريبة المزدحمة والتي لا تستطيع –مهما حاولت– أن تفهم منها شيئا، والنتيجة كما سبق وأن ذكرناها في الفصل السابق هي فقدان الشعر لأهم خصوصية فيه وهي التأثير، فانقطعت صلة الناس بالشعر، يقول الدكتور شوقي ضيف:« والحق أن الخيال الخالق البديع في الأدب: شعره ونثره يبطل تأثيره إن لم يعرض علينا صورا نفهمها في وضوح كتلك الصور السريالية والرمزية التي تشبه الزئبق، والتي لا تثبت لأفهامنا، ولا تثير فينا ما ينبغي أن يثيره الخيال من الخواطر الوجدانية»[2].

ب– الموسيقـــى :

إن الموسيقى هي توأم الخيال في إثارتها للعاطفة ولكن أثرها مؤقت لا يلبث أن يزول مع زوالها من صفحة الذهن، أما الخيال فأثره دائم دوام الصورة في ذاكرة المتلقي. فالصورة وسيلة لتثبيت الآثار العاطفية للشعر أو الأدب في نفوسنا، أما الموسيقى فيزول أثرها من النفس بسرعة:« وفي التوقيعة[*] يبرز أوضح لقاء بين الصورة والموسيقى، إذ تتلاحم العناصر المكانية في الصورة من مرئيات أو مجردات بالعناصر الزمانية فيها (الصوتيات) لتؤلف من هذا التلاحم الصورة الفنية »[3].

ج– العاطفـــــة :

إن ارتباط العاطفة بالصورة داخل العمل الفني هو ارتباط حي ناشئ عن معاناة الفنان لموقف نفسي معين فليست الصورة في العمل الفني مقصودة لذاتها وليست العاطفة الكاذبة بذات تأثير في الصورة الشعرية، إنما العاطفة الصادقة هي التي تمنح الصورة ذاتيتها وتفردها بل تجعل

---

(1) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ص 116.

(2) د.شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ص 174-175.

(*) تعريب لكلمة(SONE) الإنجليزية .

(3) د. بسام الساعي: الصورة بين البلاغة و النقد، ص 41.

الآخرين يشاركون الشاعر أحاسيسه ومشاعره، ويجب أن ترتبط الصورة« بتجربة الشاعر تجسد فكره أو عاطفته وذات صلة قوية بالمشاعر التي تسيطر على القصيدة وتصبح جزءا منها»[1]. ويرى "كروتشيه" أن العاطفة هي التي تهب الحدس تماسكه ووحدته ومن العاطفة وحدها يمكن أن يتفجر الحدس، وأن العاطفة –لا الفكرة– هي التي تضفي على الفن ما في الرمز من خفة هوائية... وأن العاطفة بدون صورة عمياء، و الصورة بدون عاطفة فارغة[*].

د– الوحدة العضوية :

ونعني بها وحدة الشعور أو الإحساس الذي ينتشر في سائر أجزاء العمل الفني، فيلون صورها وموسيقاها بلون واحد نابع من موقف نفسي يعانيه الشاعر لحظة انطلاقه بالعمل الفني. وعندها يلتقي الفن بالشعور. إن الصورة الجزئية في القصيدة يجب أن تكون« مسايرة للفكرة العامة أو الشعور العام في القصيدة، وأن تشارك في الحركة العامة للقصيدة حتى تبلغ الذروة في النماء ثم تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية التي تؤلف وحدتها العضوية العامة النامية»[2].

غير أن ما يدعو إلى الأسف حقيقة، أن الوحدة العضوية بهذا المعنى الذي تكمن فيه الثورة الحقيقية على البناء التقليدي للقصيدة العربية لم تشأ أن تجد لها صدى قويا في أذهان المعاصرين لهذه الحركة النقدية إلا في القليل النادر، بل لقد اختلطت عند أغلبهم بوحدة الموضوع.

هـ– موهبة الشاعر :

إن ارتباط مفهوم الصورة بالإبداع الشعري حقيقة لا جدال فيها، وقد فشلت كل المساعي التي حاولت تقنينه أو تحديده لخضوعه لطبيعة متغيرة تنتمي للفردية والذاتية وحدود الطاقة الإبداعية المعبر عنها بالموهبة. والصورة الشعرية هي المعادل الفني للفكرة، والشاعر المبدع هو الذي يحول المعادلات الفكرية إلى تجارب شعورية خلاقة« فطاقات الأديب و موهبته تعمل بطريقة ذاتية تحرك العناصر كلها و الأدوات كلها على نحو داخلي ذاتي ومن خلال شبكة ممتدة في كيانه ونفسه وفكره و فطرته وجسمه و أعصابه ممتدة في وجوده كله »[3].

---

(1) د. أحمد الطاهر مكي: الشعر العربي المعاصر، روائعه و مدخل لقراءاته، ص 83.

(*) يُنظر د. محمد زكي العشماوي: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص 291-294.

(2) د.غنيمي هلال: النقد الادبي الحديث، ص 446.

(3) د.عدنان النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته و عالميته، ص 115.

و- اللغـــــــة :

الصورة الشعرية هي الفن الذي يستخدم اللغة وسيلة للتعبير، والشاعر الفنان هو الذي يستطيع تحويل هذه اللغة إلى ريشة سحرية ترسم الشعور وتومئ بالفكرة وتوحي بالمعنى من خلال شحن الألفاظ بطاقات تعبيرية موحية بعد نسجها في علاقات جديدة يحددها السياق العام للقصيدة وتتحكم فيها روح الشاعر المبدعة بتحريك الخيال المتوثب عن طريق تجميع شحنات من العاطفة والفكر تنمو خلال التجارب حتّ تفجر الموهبة تلك الشحنات، وتطلقها تعبيرا لغويا يحمل عناصر الدهشة و الإثارة، «فمقدار جودة الصورة في النهاية هو قدرتها على الإشعاع وما تزخر به من طاقات إيحائية، فبمقدار ثراء الصورة الشعرية بالطاقات الإيحائية ترتفع قيمتها الشعرية »[1].

إن التعبير الفني المتميز هو التعبير الذي يمزج الكلمات المختارة مزجا يهبها النغمة المؤثرة والجرس الموحي والصورة المعبرة والحركة الدافعة لتبرز الفكرة بجمالها الفني المتكامل، يقول أحمد الشايب:« الصورة هي المادة التي تتركب من اللغة بدلالتها اللغوية والموسيقية ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل »[2].

كانت هذه أهم عناصر الصورة الشعرية. أما وظائفها فتكاد تنحصر في وظيفتين أساسيتين هما : الوظيفة الجمالية و الوظيفة الاجتماعية ... وإذا كان هدف الأولى هو إحداث المتعة الفنية في ذاتها، أي أن الجمال في الصورة يهدف إلى الإمتاع فقط« ولا يهدف إلى نفع مباشر، ولا يقصد به توجيه سلوك المتلقي و مواقفه، بقدر ما يقصد به تحقيق نوع من المتعة الشكلية هي غاية في ذاتها وليست وسيلة لأي شيء آخر »[3]. قلت إذا كان هدف الأولى هو ذلك، فإن هدف الثانية هو تحقيق المنفعة، أو بعبارة أخرى توجيه هذا الجمال وفق القيم السائدة، لأن العمل الأدبي ليس ترفا ولهوا ومتعة مجردة من الغاية، وإنما الجمال وسيلة حيوية مؤثرة لتحقيق أهداف أخرى لصالح الإنسان، وخلاصة الأمر فإن مسؤولية الأديب« تقتضي الوضوح، ولكنها لا تتعارض مع القيم الجمالية، وتقتضي الأثر الهادف البناء، كما لا تهدر المتعة، وإصرارنا على هذه النقطة بالذات

---

(1) د. علي عشري زايد: عن بناء القصيدة الحديثة، ص 91.

(2) أحمد الشايب : أصول النقد الأدبي، ص 248.

(3) د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ص 440 .

مرتبط بأهمية اعتبار الأدب ضرورة حياتية تخص الناس جميعا، وحق المنفعة و المتعة ميراث مشاع لمختلف المستويات »[1].

أما ما يزعمه دعاة المذهب "البرناسي" أو أصحاب شعار "الفن للفن" من كون "القيم" تعوق الإبداع الفني، وتنال من الشكل لحساب المضمون، وتتقيد بالالتزام وتهدر قيم الحرية –والتي هي أساس الإبداع– فمجرد خديعة يريدون من ورائها كسر القيم الفاضلة بحجة المحافظة على القيم الجمالية للفنون والآداب، فزعمهم هذا مردود عليهم، وادعاؤهم باطل لا تقره الحقيقة في شيء، «فالأديب الذي يراعي قيم مجتمعه العقدية والخلقية والاجتماعية فلا يجرحها أو يشوهها، ولا يصيبها بسوء، فإذا هو أبدع وأجاد دون المساس بهذه القيم وتشويهها كان هو الفنان والأديب المبدع »[2].

إن القيم قضية حضارية أهم من النقد، وأهم من الأدب نفسه فكان حريا بالأديب أن يعبر عن قيم اجتماعية، و عليه يكون حكم الناقد على العمل الأدبي إنْ بالجودة أو الرداءة، وإذا تخلى الناقد عن هذا الدور الخطير، مكتفيا في التقويم بالشكل أو الأسلوب، دون الغوص للبحث عن دلالة هذا الشكل أو الأسلوب على قيمة اجتماعية، فهذا يعني أنه يحاول المستحيل وهو أن يعيش الأديب دون قيم...

---

(1) د.نجيب الكيلاني: مدخل إلى الأدب الإسلامي، ص 30.

(2) صالح آدم بيلو: الفن قيد مجلة الأمة، ع49، س5، ص 17.

ثانيا : مصادر الصورة الشعرية عند النحوي

لقد قرر عدنان النحوي لنفسه خطا في تأليف شعره لا يحيد عنه، ألا وهو الخط العربي الأصيل على غرار "مدرسة المحافظين" الذين نهلوا من بيان القرآن الكريم والحديث الشريف، وعادوا إلى تراث الآباء والأجداد فارتووا من الأدب العربي بشقيه الشعري والنثري، ومن التاريخ الإسلامي المشرق بوقائعه و أمجاده، ثم صهروا كلّ ذلك في تجاربهم الشعورية والتعبيرية مشكلين منها صورا ورموزا يبنون بها لوحاتهم الفنية، ويوحون من خلالها بمواقفهم وأفكارهم ومشاعرهم...

1- المصدر القرآني والحديثي:

يشكل القرآن الكريم والحديث النبوي دعامتين أساسيتين للتصوير والاقتباس لدى الشاعر عدنان النحوي، ولا شك أن مرد ذلك –كما أسلفنا- هو الاتجاه الأدبي الذي ألزم به نفسه، وهو يعتز بهذا الاتجاه غاية الاعتزاز، ويدافع عنه دفاع المستميت كلما ثارت معركة من المعارك الأدبية بين القديم والجديد، ونجد ذلك مفصلا عبر مؤلفات الشاعر النقدية – وما أكثرها- وقد سبقت الإشارة إلى بعضها في الفصل السابق...

والنحوي يعلن عن تصوره لما يجب أن تكون عليه القصيدة الإسلامية وما يجب على الشاعر المسلم أن يتحلى به فينبذ قصائد الهوى والضياع ويجاهد بشعره دفاعا عن قضايا أمته ونصرة لدينه الحنيف، ناهلا من الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه :

كِبْرِيَاءُ الْقَصِيدِ يَشْمُسُ عَنْ ذُلْ ∴ لٍ وَيَنْأَى عَنِ الْهَوَى وَالْجُحُودِ
عِزَّةٌ فِيهِ إِنَّهُ أَدَبُ الإِسْ ∴ لاَمِ غَرْسُ الإِيْمَانِ رَيُّ الْعُهُودِ
لاَ يَسِفُّ الْهَوَى وَلاَ يَهْبِطُ الْحِسْ ∴ سُ وَلاَ يَنْحَنِي لِعَضِّ قُيُودِ
أَدَبٌ يَرْتَوِي الْبَيَانُ لَدَيْهِ ∴ مِنْ حَدِيثٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ[1]

فالشعر بالنسبة للنحوي رسالة حياة، وليس هو لمجرّد المتعة الفنية أي من قبيل "الفن للفن" كما تنادي به بعض المذاهب الأدبية الحديثة ...

---

(1) د. عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 65

ففي معرض قصيدة يرثي فيها والده، وفي جو مفعم بالحزن والأسى يتذكر شاعرنا يوم أزاحتهم قوى الطغيان عن ديارهم و أراضيهم، يتذكر ذلك اليوم المشؤوم فيقول متحسرا :

أَبَتَاهُ...! يَا يَوْمَ النُّزُوحِ كَأَنَّهُ ∴ يَوْمٌ تُرِيدُ بِهِ الْجِبَالُ زَوَالاَ ![1]

وهي صورة مستمدة من قوله تعالى : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[2].

إن الصورة الشعرية هنا استندت إلى الصورة القرآنية كخلفية للموقف الشعوري و النفسي الجديد للشاعر الحاس بالاغتراب، وقد وظفت الوعيد القرآني للذين "ظلموا أنفسهم" للإيحاء بمشاعر الغضب والثورة على اليهود الغاصبين الذين أخرجوا المستضعفين من أرضهم وديارهم بغير حق.

والصورة تشي بالحالة النفسية المضطربة للشاعر، وبحزنه العميق لفقد والده كما تشي بالحقد على الغزاة، هؤلاء الغزاة الذين أثاروا –بجريمتهم– حتّى الجبال فأرادت خلع نفسها تعبيرا عن سخطها.

وقد فعل المجاز بالصورة البيانية مفعول السحر في هذه الصورة الشعرية، يقول الأستاذ العقاد« المجاز هو الأداة الكبرى من أدوات التعبير الشعري لأنه تشبيهات وأخيلة وصور مستعارة، وإشارات ترمز إلى الحقيقة المجردة بالأشكال المحسوسة »[3] ولأن الشاعر في حالة جد منفعلة، خاصة وهو في موقف "مناجاة" لروح والده الفقيد، نرى عاطفته المتأججة تسيطر عليه، فيلجأ إلى الأساليب البلاغية التراثية، ويوظفها في تجربته الشعرية، ومن ذلك "التشبيه" الذي احتفل به القدامى وأولوه عناية خاصة، والاستعارة، والنداء التشخيصي وغيرها كما أن هذه العاطفة تمنح الصورة ذاتيتها وتفردها، وتجعلنا نحكم على التجربة الشعرية "بالصدق الفني".

أما الخيال في هذه الصورة فجد حيوي، فقد استعار النحوي الفعل "تريد" للجبال بصيغة المضارع حتى تفيد التجدد والاستمرار واستحضار الصورة مشاهدة رأي العين، لأن الخيال« هو

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص130.

(2) إبراهيم الآية 46

(3) العقاد: اللغة الشاعرة، ص 46.

الأداة اللازمة لإثارة العاطفة و إشعالها وهو الذي يملك به الشاعر والأديب نفس القارئ أو السامع ويجعلها تتعجب وتطرب من مشاهد الصور في القصيدة »[1].

وهناك إيحاء آخر أبعد غورا لهذه الصورة الشعرية يمكن إدراكه بتأمل أعمق، فإذا كان العرب وقفوا موقفا سلبيا من "اليهود" الغاصبين، فالشاعر يترجى مظاهر الطبيعة أن تتخذ موقفا إيجابيا، صحيح هو لم يصرح بهذا الرجاء، لكن مشاعره توحي بهذا الإحساس، ولعل الصورة التالية تشي به في صراحة حيث يقول فيها الشاعر :

مَالِي أَرَى الأَرْضَ ثَارَتْ مِنْ تَقَاعُسِنَا ∴ وَرَجَعَتْ بَيْنَنَا صَوْتًا يُنَادِينَا
كَأَنَّمَا اتَّقَدَتْ أَحْشَاؤُهَا جَزَعًا ∴ وَوَلْوَلَتْ رَهَبًا مِنْ وَاقِعٍ فِينَا
مَاذَا يُفِيدُ نُوَاحٌ فَوْقَ غَالِيَةٍ ∴ مِنَ الْتُرَاثِ تَدَاعَتْ مِنْ تَدَاعِينَا
أَنْتُمْ تَنُوحُونَ وَالأَعْدَاءُ قَدْ بَلَغَتْ ∴ مِنْكُمْ وَجَاسَتْ خِلاَلَ الْمُلْكِ تَطْوِينَا[2]

إن هذه الصورة الشعرية مقتبسة من قوله عز من قائل متوعدا "بني إسرائيل": ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولاً﴾[3]، وهي صورة مليئة بالتشخيص الذي يساهم في حيويتها وخلودها على رأي العقاد، لأنه أقوى ألوان الخيال في الصورة، وملكة التشخيص لا تقل عن ملكة التصوير جلالا، وروعة في آيات الفن الرفيع، فهي الملكة المصورة التي تستمد قدرها من سعة الشعور حينا، ومن دقة الشعور حينا آخر...[*].

وإنها لصورة عاصفة مدوية فالأرض "ثارت" تحتج من تقاعس المسلمين، وقد اشتعلت أحشاؤها فأصدرت أصواتا مرعبة، وكلّ هذا احتجاجا على الواقع المتردي للمسلمين وهم في غفلة ساهون...

ولا شك أن الشاعر لجأ إلى هذه الصورة المرعبة حتّى يؤثر في المتلقي، فيجعله يغير من موقفه فيتخلى عن تقاعسه ويغير ما بنفسه حتّى يتغير واقعه نحو الأحسن لأنه« عندما تصبح الصورة الفنية وسيلة للتحسين والتقبيح فإنها تؤدي إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور، وتتحقق

---

(1) د. عبد المنعم خفاجي: النقد العربي الحديث و مذاهبه، ص 44.

(2) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 69-71.

(3) الإسراء الآية 5.

(*) يُنظر العقاد: ابن الرومي حياته من شعره، ص 306

هذه الغاية عندما يربط البليغ المعاني الأصلية التي يعالجها بمعان أخرى مماثلة لها، لكنها أشد قبحا أو حسنا فتسري صفات الحسن، أو القبح من المعاني الثانوية إلى المعاني الأصلية، فيميل المتلقي إليها، أو ينفر منها »[1].

ومع وفاء النحوي التام لموروثه الثقافي و التاريخي، فهو شديد الحساسية تجاه المستلبين بالتراث –بلا وعي– المتقاعسين عن إحيائه بما يتلاءم وروح العصر، وكلّ همهم التباكي على الماضي، دون أن يحاولوا تغيير أوضاعهم المتردية، حتى وجد الأعداء الفرصة سانحة؟، فانقضوا على البلاد واسترقوا العباد...

ومما تجدر الإشارة إليه، أن النحوي استبدل بكلمة "الديار" الواردة في الآية الكريمة كلمة "الملك" حتى يستقيم الوزن من جهة، ولأن كلمة "الملك" توحي بأبعاد الجريمة وشمولها، وبأن الأعداء إجتاحوا كلّ الأماكن العزيزة، و اغتصبوا كل المقدسات، واستباحوا كل الحرمات...

ومثلما ينجح النحوي في رسم لوحات فنية أخاذة بتوظيف الصورة القرآنية في شعره، فهو ينجح بتوظيف الصورة الحديثية أيضا، لكن بكثافة أقل، و من ذلك مثلا حوار تشخيصي بين مكة والأقصى عقده النحوي ضمن لوحة فنية تقطر أسى وحسرة يقول فيها :

وَتَلَفَتَ الأَقْصَى لِمَكَةَ لَوْعَـــةً ∴ أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الْغِرْبَانُ
أُخْتَاهُ! أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ ∴ أَيْنَ الْمَلاَيِينُ الْغُثَاءُ! أَهَانُـــوا ؟
أُخْتَاهُ! وَانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِـــهِ ∴ وَاغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ
وَهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَدُقَ حِيَاضَهُ ∴ وَهَوَتْ عَلَى أَمْجَادِهِ الْجُدْرَانُ[2]

وهي صورة رمزية مقتبسة من حديث "الغثائية" الشهير :« يُوشَكُ أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلي قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : لا ولكنكم "غثاء" كغثاء السيل... »[3].

وقد زاوج النحوي في صورته هذه بين الوصف "غثاء" والرمز "غربان" وهما عماد الصورة الخيالية الناجحة لأن الشاعر« يستخدم التصوير لتحريك العاطفة، وليفعل هذا، فإنه يستخدم

---

[1] د. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي، ص 428.

[2] د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 206.

[3] رواه أبو داود و أحمد بن حنبل.

طريقتين مختلفتين: الوصف و الرمز »[1] والصورة كلية رائعة، يناجي فيها "الأقصى" –مستنجدا باكيا– "مكة" وهي كناية عن العالم الإسلامي وجموع المسلمين. ويبوح لها بهمومه وآلامه جراء ما يلاقيه من كيد "اليهود" الذين رمز لهم "بالغربان" إشارة إلى شؤمهم وسوء طالعهم، ثم يستفهم مستنكرا متعجبا –وحُق له العجب– عن سر تخلي المسلمين عن تخليصه من مغتصبيه رغم أنهم يُعدون بالملايين ؟!.

لكن إذا عُرف السبب زال العجب، فهم غثاء لا خير فيهم، ولهذا سقطوا من عين الله، فهانوا ﴿وَ مَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [2].

ثم يكرر الأقصى نداءه لمكة "أختاه" والنداء «من أعمق الصيحات الوجدانية»[3]. كما يرى بعض النقاد، وهذا يعني أن الطبيعة أصبحت معادلا موضوعيا للشاعر يخلع عليها من أحاسيسه ومشاعره، ويبوح لها بهمومه وأحزانه، وسرعان ما يبلغ به الانفعال العاطفي أوجه، فتنهمر دموعه، ويختنق صوته في حلقه، ويستسلم لواقع أمره حيث معاول اليهود تدك حصونه المنيعة بحثا عن "هيكلهم" المزعوم...

ومما يزيد من حيوية هذه الصورة الكلية، أن تشمل اللون في (الغربان –دمعه– معاول– الجدران) والصوت في (أختاه – ندائه – تدق – هوت) والحركة في (تلفت – تنهش – هوت – تدق).

وفي الأخير نلمح بعض المحسنات "كحسن التقسيم" في البيت الثاني، و تنويع الأساليب بين الأسلوب الإنشائي في البيت الثاني و في النداء، و الأسلوب الخبري في بقية الأبيات...

وإذا كان شاعرنا عدنان النحوي اليوم يقف في طليعة شعراء الأدب الإسلامي، يدافع عن مبادئه وقيمه عبر مراحل تجربته الشعرية الطويلة فهل حالفه التوفيق في كل مرة استمد فيها من التصوير البياني للقرآن الكريم أو الحديث النبوي ؟.

ونقول بكل موضوعية، إن شاعرنا على الرغم من أن أشعاره تعج بالصور الفنية الرائعة سواء المقتبس منها من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف، إلاّ أن الشاعرية تخونه أحيانا، لأنه لا يستغل هذين المصدرين استغلالا فنيا، بل يكونُ اقتباسه للحاجة، وقد أثر هذا الاقتباس المباشر على

---

(1) د.محمد حسن عبد الله: اللغة الفنية، ص 81.

(2) الحج الآية 18.

(3) إليا الحاوي: بدر شاكر السياب، ج5، ص 129.

جودة الصورة وايحائيتها لأن الصورة الجيدة هي الصورة الموحية وهي « التي لا تنص على المضمون صراحة، ولا تكشف عنه مباشرة، بل يُوحَى بها من غير تصريح، ويشع عنها من غير مباشرة »[1].

يقول النحوي في قصيدة "ربي الأقصى" :

وقَالُوا إنَ جبَّارينَ فيهَـــا ∴ وَإنَّا حَيْثُ تَنْظُرُ قَاعدُونَـــا
فَأنْتَ وَرَبُّكَ الْجَبَارُ قُومَا ∴ إلَيْهِمْ وَاقْحَمَا السَاحَ الْحَصِينَا
فَإمَا يَخْرُجُونَ عَلَى سَلاَمٍ ∴ فَنَدْخُلُ عِنْدَ ذَلِكَ آمِنِينَـــا[2]

إن هذه الصورة بدت باهتة فاقدة لإشعاعها وحيويتها، لأنها من الصور الجاهزة لا تعدو أن تكون مجرد إعجاب شخصي بالعبارة القرآنية تحولت إلى نسيج في الذاكرة يسيل صنعة مفتعلة لا تعبر عن حالة الاغتراب الروحي والفكري التي يعانيها الشاعر في ظل الواقع الجاهلي، كما عاناها نبي الله موسى عليه السلام مع قومه حين طلب منهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم فشرعوا في الجدال –كما هي عادتهم– فسجل الله جدالهم في قوله تعالى :﴿قَالُوا يَا مُوسَى إنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإنَّا دَاخِلُونَ... قَالُوا يَا مُوسَى إنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[3].

وقد كانت صورة كفيلة بالتعبير عن معاناة الشاعر الرافض للحياة اللاإسلامية لو خلع عليها من ذاته وروحه، وعبر عما يجيش بخاطره بصدق فني، ولم يكتف بحشد المفردات القرآنية بصورة تراكمية سردية مع اعتبار شئ من البراعة في التركيب حتى يستقيم الوزن، وأما القافية ففي نونية "ابن زيدون" الشهيرة كفاية و غناء .

ومن الصور القرآنية التي أخفق النحوي في الاستمداد منها صورة معجزة ببيانها الرائع، تجلت فيها براعة التصوير وحيوية التشخيص وبلاغة الإيجاز والحذف، وعاطفة الأبوة الحارة حين تفجع في فلذة كبدها، وقبل هذا و بعده حين اصطبغت بعظمة الربوبية المكنونة بين الكاف والنون، قال عز و جل : ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ۞ قَالَ سَآوِي إلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ

---

[1] د.علي صبح: الصورة الأدبية تاريخ ونقد، ص 171.

[2] د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص48.

[3] المائدة الآية 22-24 .

الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ۞ وقِيْلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اقْلِعِي وَغِيْضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِي وقِيْلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الْظَالِمِينَ ﴾[1].

إنها صورة كلية تحوي صورا عديدة متناسقة مثل : (و هي تجري بهم في موج كالجبال)، (نادى نوح ابنه وكان في معزل) (سئاوي إلى جبل)، (حال بينها الموج)، (يا أرض ابلعي ماءك)... فأنت إذا تأملت هذه الصور الجزئية أُخذت بطريقة التصوير التي تعبر عن« المشاعر والخلجات والحركات والتصرفات لإحياء الصورة وتجسيمها وخلع الحياة عليها حتى تصل إلى الوجدان حية متحركة عميقة التأثير »[2]، كما يمكنك أن تلمح وتعجب بالنغم المسترسل الجميل والجرس الفخم المتألق المعتمد على التصوير الإيقاعي المعجز من خلال الفاصلة القرآنية في لفظتي "ابلعي"، "اقلعي"، وما يبهرك أكثر هو استقرار الألفاظ في مواضعها حتى كأنها لم تخلق إلا لتلك المواضع.

أما الصورة الجزئية (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) ففيها نكتة نفسية جديرة بالذكر وهي أن نوح عليه السلام لم يرد لابنه النجاة من الغرق فحسب-و تلك عاطفة يشترك فيها جميع بني الإنسان وحتى بعض الفصائل من الحيوانات)-بل يريد له النجاة الحقيقية بالخروج من دائرة الكفر، ولا يصدر هذا إلا عن ذوي النفوس السامية كالأنبياء.

ولندعْ شيخ البلغاء يحدثنا عن التصوير الإعجازي في الآية الأخيرة« ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال "ابلعي الماء" [*]، ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها ، نداء السماء و أمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل و غيض الماء فجاء الفعل على صيغة "فُعل" الدالة على أنّه لم يغض إلاّ بأمر آمر، وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى:"وقضي الأمر" ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو "استوت على الجودي" ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة... »[3].

---

(1) هود 42-44.

(2) محمد قطب : منهج الفن الإسلامي، ص 141.

(*) كما قيل في الصورة الشعرية عند النحوي.

(3) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 59-60 .

كل هذا التصوير البياني المدهش، نظمه الشاعر في صورة عارية من أي إيقاع أو حركية مما أضر بالسياق الشعري فقال :

وَ إِذَا الْمَوْجُ كَالْجِبَـــالِ دَوِيٌّ ∴ زَاحِفٌ !يَا لِزَحْفِهِ الْرَعَـادِ
أَقْبِلَنْ يَا بُنَيَ وَ ارْكَبْ فَهَـــذَا ∴ مَرْكَبٌ لِلنَجَاةِ وَ الإِمْـدَادِ
لَيْسَ مِنْ عَاصِمٍ سِوَى اللهُ !هَذَا ∴ قَدَرٌ غَالِبٌ وَ حَقٌّ بَـــادِ
قِيْلَ يَا أَرْضُ فَابْلَعِي كُلَّ مَـــاءٍ ∴ أَقْلِعِي يَا سَمَاءُ عَنْ إِمْدَادِ [1]

لقد حاول الشاعر أن يلعب على وتر "التجنيس"، فردد الألفاظ المتقاربة مثل: (زاحف لزحفه)، (اركب مركب) ليشيع في الصورة نوعا من الإيقاع الموسيقي، لكن أسلوب التضمين البعيد عن الذاتية المتوهجة جعل الصورة نوعا من الإيقاع الموسيقي، لكن أسلوب التضمين البعيد من الذاتية المتوهجة جعل الصورة أقرب إلى روح النثر.

2- المصدر الشعري :

يعد الشعر العربي أحد المصادر الهامة للصورة الفنية في شعر عدنان النحوي، ولاسيما في بواكير أشعاره، وهي أثر لقراءاته السابقة لعيون الشعر العربي، وتأثره بفحول الشعراء سواء في العصر القديم أمثال أصحاب المعلقات والمتنبي والمعري وابن زيدون وحتى الإمام الشافعي والإمام ابن قيم الجوزية في "نونيته" الشهيرة... أو في العصر الحديث أمثال شوقي وحافظ ونزار قباني وغيرهم، غير أن المحاكاة في الفترة الباكرة من حياة الشاعر أمر طبيعي وهي« تكاد تكون محصورة في بعض طرق التعبير أو التصوير، ثم لا يلبث الشاعر أن تتجلى شخصيته في قصائده التي توهج بها وجدانه فأخذت صوره تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعناة الشعورية كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير »[2]. ونورد أمثلة عن الصور المستمدة من الشعر القديم وأخرى من الشعر الحديث لنرى أسلوب الشاعر في تشكيل صوره، ومدى استفادته من التجارب السابقة، وما هي العناصر التي غيرها لتناسب السياق الشعري الجديد...

قد يكتفي النحوي بالاقتباس من النموذج القديم، موظفا الصورة التراثية شكلا ومضمونا كقوله معاتبا :

---

[1] د.عدنان النحوي : ملحمة ارض الرسالات، ص 111-112.

[2] د. مصطفى هدارة : مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص 27.

رُوَيْدَكَ! قُمْ وَ قَاسِمْنَا الأَنِيْنَا ∴ هَلُمَ وَ دَعْ جَهَالَةَ جاهلِينَا [1]

فهذه الحالة لا تعدو أن تكون صياغة جديدة لقول"عمرو بن كلثوم" في معلقته الشهيرة :

أَلاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَـــا ∴ فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهلِينَا.[2]

كما استقى النحوي صوره من شاعر الحكمة "زهير بن أبي سلمى" و خاصة في "ميميته" الشهيرة والتي تشيع منها روح الحكمة كقوله:

وَ مَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ ∴ وَ إِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى الْنَاسِ تُعْلَمِ [3]

فقد أخذها النحوي جاهزة، دون أن يضفي عليها من ذاته وروحه بل إن طابع الحكمة بقي يرن بنفس الجرس، والألفاظ بقيت محتفظة بنفس القوة والجزالة وبنفس المعنى فقال مستهلا بنفس المطلع :

وَ مَهْمَا يَطُلْ مَكْرُ ابْنِ آدَمَ تَنْكَشِفْ ∴ خَفَايَاهُ مِنْ صَدْرٍ وَ مِنْ فُعُلاَتِ[4]

فإذا ما تجاوزنا العصر الجاهلي إلى ما بعده، نجد شعراء العصر الإسلامي والعصر الأموي وبخاصة العصر العباسي الذي يعتبر أرقى العصور الأدبية، نجد أثر شعرائه واضحا في صور النحوي وبخاصة الشعراء الكبار كالمتنبي وجرير والفرزدق والأخطل والمعري وأبي فراس الحمداني وغيرهم...

فمن ذلك مثلا أن شعره في الأربعينات كان يحمل آثار التقليد والمحاكاة لهؤلاء الشعراء الفحول كقصيدة "عزة الإيمان " التي تشيع فيها روح المتنبي بتشاؤمها وسوء ظنها بالناس، كما يتجلى فيها أسلوبه بكلّ ما فيه من جزالة وقوة وميل إلى التصوير وجنوح إلى الحكمة،[*] يقول النحوي في مستهل القصيدة :

أَرَى اللَيْلَ غَارَتْ فِي الْسَمَاءِ كَوَاكِبُهْ ∴ فَغَارَ فُؤَادِي وَ الْهُمُومُ نَوَادِبُهْ

أَنَا ابْنُ هُمُومِ الدَهْرِ حِينَ تَمَخَضَتْ ∴ مَصَائِبُهُ عَنْ عُسْرَةٍ وَ نَوَائِبُـــهْ

تَسَرْبَلْتُ جِلْبَابًا مِـــنَ الصَبْرِ ضَافِيًا ∴ وَ لِلْصَبْرِ جِلْبَابٌ تَطُولُ ذَوَائِبُهْ

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 39.

(2) تحقيق فوزي عطوي : شرح المعلقات العشر، ص 113.

(3) زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، ص 15.

(4) د. عدنان النحوي : ديوان جراح على الدرب، ص 166.

(*) يُنظر د. مصطفى هدارة : مقدمة ديوان الأرض المباركة، ص 26.

أَغَابَ زَمَانٌ كَانَ يَحْلُو دَوَامُـــهُ ∴ وجَاءَ زَمَانٌ لاَ تُعَدُّ مَعَايِبُـــهْ
تَوَارَتْ بِهِ الآسَادُ خَلْفَ حِيَاضِهَا! ∴ أَطَلَّتْ عَلَى الآجَامِ فِيْهِ أَرَانِبُهْ
فَذَاكَ صَدِيقٌ كُنْتَ تَرْجُو وَفَـاءَهُ ∴ تَنَمَّرَ وَامْتَدَّتْ إِلَيْكَ مَخَالِبُـــهْ
وَ ذَاكَ خَلِيْلٌ كُنْتَ تَأْمَنُ جَنْبَـــهُ ∴ تَقَلَّبَ أَفْعَى فَانْبَرَيْتَ تُجَانِبُهُ[1]

فمن الواضح جدا أن هذه الصورة المركبة مقتبسة من قول أبي الطيب :

أَدُمُ إِلَى هَذَا الزَمَانِ أُهَيْلَـــــهُ ∴ فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَ أَحْزَمُهُمْ وَ غْدُ
وَ أَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَ أَبْصَرُهُمْ عَمٍ ∴ وَ أَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَ أَشْجَعُهُمْ قِرْدُ[2]

وليس معنى هذا أن النحوي يعتمد دائما على الصور الموروثة الجاهزة، فأحيانا تتحرر شاعريته من أسر التقليد، وتتأجج عاطفته وينطلق خياله فيبدع لنا صورا غاية في الحيوية والتجديد وخاصة حين يطمس وجه الشبه بين الأشياء، ويوحد بين الصور والانفعالات النفسية، فتبدو الصورة كأن الشاعر كساها من روحه فدبت فيها الحياة دبيبا فإذا هي تنبض بالحركة والحيوية، كقوله في قصيدة بعنوان "شوق" :

إِذَا هَزَتِ الْذِكْرَى فُؤَادِيَ هَزَّةً ∴ فَلاَ الدَّمْعُ يُسْلِينِي وَ لاَ الأَمَلُ العَذْبُ[3]

وهذه القصيدة قالها الشاعر متغزلا في بواكير حياته الشعرية، وقد استعار صورته من التراث إلا أن روح التجديد كستها حلة قشيبة، وطبعتها شخصية النحوي بطابعها المميز، رغم أنها تضمين لبيت الشاعر العربي القديم الذي يقول فيه :

وإِنِي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ ∴ كَمَا اهْتَزَ عُصْفُورٌ بَلَلَهُ الْقَطْرُ

وهناك الكثير من الصور التي بدا فيها أثر التراث الشعري واضحا وبخاصة ما صيغ منه في قالب حكمي كأشعار زهير بن أبي سلمى وأشعار الإمام الشافعي وأبي العلاء المعري وأبي العتاهية

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 229-230.

(2) أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ج2، ص 92-93.

(3) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 233.

وغيرهم فنجد صورا لأمثال هؤلاء الشعراء مبثوثة في بعض قصائد النحوي وملاحمه الشعرية كملحمة التاريخ[1]، غربة ودمعة [2]، رسالة الأقصى إلى المسلمين [3]، التائهون[4] وغيرها .

أما شعراء العصر الحديث الذين اقتبس منهم شاعرنا صوره فنخص بالذكر منهم أمير الشعراء في القصيدة التي مطلعها :

يَا نَاعِمًا رَقَدَتْ جُفُونُـــهْ ∴ مُضْنَاكَ لاَ تَهْدَأْ شُجُونُهْ
حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّـــهُ ∴ إِنْ لَمْ تُعِنْهُ فَمَنْ يُعِينْهْ ؟ [5]

فقد تأثر شاعرنا بهذا الأسلوب الرقيق، وهو يكتب رسالة إلى صديق رحل في طلب العلم، ضمنها هذين البيتين :

مَنْ لِلْفـــؤَادِ إِذَا رَحَلْـــ ∴ ـــتَ وَ مَنْ يَحِنُ وَ مَنْ يُعِينُهْ
عَصَرَ الْجَوَى يَوْمَ الْوَدَا ∴ عِ حَنَانُهُ فَجَرَتْ شُؤُونُـــــهْ [6]

كما نجد كثيرا من آثار الشاعر التونسي الكبير "أبي القاسم الشابي" في الصور الشعرية للنحوي، مما يدل على شدة الإعجاب بتصويره الشعري على غرار الصورة التي يقول فيها الشابي :

إِذَا الشَعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ ∴ فَلاَبُدَ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ !!
وَ لاَبُدَ لِلَيْلِ أَنْ يَنْجَلِـــي ∴ وَ لاَبُدَ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِرْ!![7]

فقد ضمن النحوي قصيدته "تحية و كلمة وداع" الشطر الأول من البيت الثاني فقال :

فَلاَبُدَ لِلَيْلِ أَنْ يَنْجَلِي ∴ عَلَى وَضَحٍ مُشْرِقٍ أَوْ نَهَارِ [8]

وقد يستعير النحوي لصوره الشعرية-وهذا نادرا ما يقع-حتى من بعض الشعراء الذين يخالفونه في التصور (الإيديولوجي) طالما كان ذلك مقتصرا على الناحية الفنية، كما حدث مع الشاعر "نزار قباني" في شعره السياسي، وخاصة الشعر الذي قاله عقب هزيمة "1967م"، وما

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان جراح على الدرب، ص 136.
(2) د. عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 206.
(3) د. عدنان النحوي : ديوان عبر و عبرات، ص 78.
(4) د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 34.
(5) أحمد شوقي: ديوان الشوقيات، ج2، ص 141.
(6) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 265.
(7) أبو القاسم الشابي : الأعمال الكاملة، ج1، ص236.
(8) د. عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 145 .

تلاها من إحباط عام، وشعور بذل الهزيمة، ففي هذا الجو القاتم بالسواد يستنجد الشاعر"نزار قباني" بالبطل التاريخي "خالد بن الوليد" حتى يؤجره سيفه، لأن الأسلحة العربية أصبحت عديمة الفاعلية، قليلة الجدوى كأنما صنعت من خشب :

يَا ابْنَ الْوَلِيدِ أَلاَ سَيْفٌ تُؤَجِرُهُ ∴ فَكُلُ أَسْيَافِنَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَشَبًا[1]

فقد أخذ شاعرنا هذه الصورة التعريضية و ضمنها أحد أبيات قصيدة "النواعير" و فيها يقول مخاطبا أمته في تعجب :

كَيْفَ تَمْضِينَ لِلْقِتَالِ وَ أَيْنَ السَـــ ∴ ـــيْفُ هَذِي السُّيُوفُ مِنْ أَخْشَابِ[2]

ثم نجده يقتبس المعنى نفسه، وهو عدم فاعلية الأسلحة العربية رغم الأموال الطائلة التي صرفت في اقتنائها من الشرق والغرب، وفي مقابل ذلك نجد أسلحة نفس الدول التي اقتنينا منها أسلحتنا ذات فاعلية عالية :

مَدَافِعُ الْقَوْمِ صَوْتٌ لاَ لَهِيبَ لَهُ ∴ وَمِدْفَعُ الْكُفْرِ نَارُ الْمَوْتِ وَالْعَطَبِ[3]

ونكتفي بما سقناه من نماذج تأثر فيها النحوي بأعلام الشعر العربي قديمه وحديثه، وخلاصة القول أن شاعرنا قد استفاد من عيون الشعر في كثير من قصائده، وبخاصة في بواكيره الأولى من عطائه الشعري، وقد كان يتعثر في بعض المواطن إلى درجة السرد النثري، ولكنه يجيد في مواطن أخرى إلى درجة الإبداع، وقد استفاد حتى من الشعراء الذين كانوا يختلفون معه في الرؤية والتصور، فرسخ بذلك مبدأ الإطلاع الواسع، والاستفادة مما عند الغير فيما يخص الناحية الفنية خاصة، حتى يتسنى للكلمة الرسالية أن تصمد في معترك الصراع الفكري والأدبي ...

3- الصور البلاغية :

لعل وفاء النحوي المطلق لتراثه، وإيمانه العميق بالتواصل الحضاري بين الأجيال، جعله يحاول دائما أن يبقى باستمرار على صلة بموروثه القديم، يستقي منه صوره عموما، وبخاصة الصور القائمة على العلاقات البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وبعض المحسنات البديعية كالجناس والطباق والمقابلة وغيرها ...

---

(1) نزار قباني: الاعمال السياسية الكاملة،ج3، ط5، ص 421.

(2) د. عدنان النحوي : ديوان جراح على الدرب، ص 102.

(3) د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 178.

وأكثر هذه الأساليب على الإطلاق هو "التشبيه" فقد أولاه القدماء أكثر عنايتهم يقول أبو هلال العسكري :« والتشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا، ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه، وقد جاء عن القدماء وأهل الجاهلية، ومن كل جيل ما يستدل به على شرفه وفضله وموقعه من البلاغة بكل لسان »[1].

وقد استعمل النحوي التشبيه في بناء صوره، يقول في مدح فاتح "القسطنطينية" العظيم الأمير العثماني"محمد الفاتح" :

كَأَنَ وَثْبَتَهُ للهِ دَفْقُ هُـــدًى ∴ يُفَجِرُ النُورَ فِي وَادٍ وَ فِي هِضَـــــــب

كَأَنَمَا أَنْبَتَتْ أَسْيَافُهُ وَ رَوَتْ ∴ وَرْدًا وَ عَضَتْ عَلَى الأَشْوَاكِ وَ الْعَرَبِ[2]

ومما لا شك فيه أن الصورة مقتبسة من التراث الشعري القديم، فالبيت الثاني يذكرنا بقول الشاعر القديم متغزلا :

وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَ سَقَتْ ∴ وَرْدًا وَ عَضَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ

ومن الواضح أن النحوي حريص على إبراز تلك الصور التقليدية القائمة على علاقات حسية...

ومن الصور التشبيهية الرائعة والتي أبدع فيها شاعرنا أيما إبداع، صورة في مناجاة الطبيعة، وقد شبه فيها ظلام الليل ونجومه بموج علقت به مصابيح مضيئة :

كَأَنَ الْدُجَى مَوْجٌ تَعَلَقْنَ فَوْقَـــــهُ ∴ قَنَادِيْلَ كَمْ هَيَجْنَ نَجْمًا وَفَرْقَدَا [3]

ولعل الشاعر هنا متأثر بصورة "بشار بن برد" في بيته المشهور:

كَأَنَ مَثَارَ النَقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَـــــا ∴ وَ أَسْيَافَنَا لَيلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُـــهْ [4]

ومن ألطف أنواع التشبيه وأدقها –كما يقول البلاغيون– التمثيل ويعللون ذلك بكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، ونحن إذا عدنا إلى أشعار النحوي نجدها تطفح بهذا النوع من التشبيه، يقول في رثاء "سيد قطب" رحمه الله :

لاَنَ فِي كَفِكَ الْحَدِيدُ كَمَا لِنْـــ ∴ ـــتَ عَلَى آيَةٍ مِنَ الْقُـــــرْآنِ

---

[1] أبو هلال العسكري : الصناعتين، ص 61.

[2] د. عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 162.

[3] د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 114.

[4] أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي، ص 195.

وَ حَنَا الْسَوْطُ: خَفْقَهُ لَمَسَاتٍ ∴ مِنْ نَسِيْمٍ يَحْنُو عَلَى الأَغْصَانِ
وَ أَقَمْتَ الصَلاَةَ وَارِفَةَ الظِلْـ ∴ ـلِ رِيَاضًا تَهْزُ مِنْ رَيْحَانِ
وَ الْخُشُوعُ النَدِيُ آفَاقُ رُوحٍ ∴ حَانِيَاتٌ حَبِيْبَةُ الْخَفَقَانِ[1]

ومن فروع التشبيه الاستعارة وهي« نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض »[2] وليس معنى بناء الاستعارة على التشبيه أنه خير منها، ولكنها أفضل منه على الرغم من تفضيل القدماء للتشبيه كما سبقت الإشارة إليه، فالاستعارة هي« قمة الفن البياني، وجوهر الصورة الرائعة، والعنصر الأصيل في الإعجاز والوسيلة الأولى التي يحلق بها الشعراء، وأولوا الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما بعدها أروع، ولا أجمل، ولا أحلى، بالاستعارة ينقلب المعقول محسوسا تكاد تلمسه اليد، وتبصره العين، و يشمه الأنف، وبالاستعارة تتكلم الجمادات، وتتنفس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة »[3].

وقد وظف النحوي الاستعارة بكثافة في تشكيل صوره الشعرية، وبخاصة حين يذكر ضياع بلاده الحبيبة "فلسطين"، مما يضاعف عنده مشاعر الاغتراب، ويثير إحساسه وعاطفته، فتنثال منه الصور الإستعارية الحية التي تنبض بالحركة وتطفح بالحياة ومن ذلك قوله :

وَطَنِي ذَكَرْتُكَ وَ الْمَصَائِبُ كَشَرَتْ ∴ عَنْ نَابِهَا وَ احْمَرَ مِنْهَا الْمِحْلَبُ[4]

إنها لصورة رائعة، لعب فيها الخيال دورا حيويا، فالمصائب تجسدت في صورة حيوان مفترس مكشر عن أنيابه، يريد الانقضاض على فريسته، بل لقد انقض عليها وافترسها وهذه مخالبه الحمراء بدمائها شاهدة على ذلك ... فتسارع الأحداث ساعد على حيوية الصورة وحركيتها...

ومن صور الاستعارة التي جمع فيها النحوي بين التشخيص و التجسيد قوله :

وَقَفْتُ أَسْتَنْطِقُ الأَحْجَارَ أَسَالُهَا ∴ وَ الصَخْرُ يَتْلُو حَدِيثًا كُلُهُ حِكَمُ
سَأَلْتُهَا عَنْ بِلاَدِي وَ هِيَ نَازِفَةٌ ∴ عَنِ الْدِمَاءِ وَ عَنْ صِيْدٍ وَ مَا رَسَمُوا

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان الارض المباركة، ص 191-192.

(2) أبو هلال العسكري : الصناعتين، ص 268.

(3) د.بكري شيخ أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد(علم البيان)، ص 111.

(4) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 101.

قَالَتْ: وَرَدَدَتِ الأَصْدَاءَ أَوْدِيَةٌ ∴ وَ السَهْلُ وَ الرَوْضُ وَ السَاحَاتُ وَ القِمَمُ
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ أَرْضِنَا عَلَمٌ ∴ بَاقٍ عَلَى صُعُدِ الأَيَامِ يُسْتَلَـــــــــمُ[1]

فنلاحظ أسلوب "التشخيص" في العبارات : "أستنطق الأحجار" "الصخر يتلو حديثا" "سألتها"، "قالت"، "رددت".

أما أسلوب "التجسيد" ففي عبارة :"وهي نازفة".

كما يشيع في شعر عدنان النحوي لون من الصور الإسعارية يسميه البلاغيون "بالاستعارة التمثيلية وهي« تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي »[2]

يقول عدنان النحوي :

وَ النَارُ أَوَلُهَا شَرَارٌ خَاطِفٌ ∴ وَ الْحَرْبُ أَوَلُهَا عِجَاجُ نِفَارِ[3]

فهذا البيت من قصيدة يرثي فيها النحوي "لبنان" بعد أن عصفت بها الحروب الأهلية، و هجمات اليهود المتكررة عليها فهي تدخل ضمن غرض "رثاء المدن و الممالك" ثم عقب الشاعر على ذلك بصورته التمثيلية السابقة، فمعنى البيت ليس مقصودا لذاته، بل المقصود "مضرب المثل"، لذا يجوز نقله و الاستشهاد به في أي مناسبة مشابهة... و في نفس القصيدة يقول :

الْجَاهِلِيَةُ أَفْلَتَتْ ...! وَ زِمَامُهَا ∴ بِيَدٍ مُضَرَجَةٍ وَ كَفِ شِـــــرَارِ[4]

لاشك أن هذه الصورة الإستعارية استعارها النحوي من قول لبيد :

وغَدَاةَ رِيْحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَ قِرَّةٍ ∴ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الْشِمَالِ زِمَامُهَا[5]

أما في قصيدة "دعاء و ابتهال"، فإن النحوي يحط الرحال عند "مجنون ليلى"، و يستعير منه صورته الغزلية الرقيقة في قوله :

وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الْشَتِيْتَيْنِ بَعْدَمَا ∴ يَظُنَانِ كُلَّ الظَنِ أَلاَ تَلاَقِيَا

فقد نسج النحوي على منواله صورة تمثيلية ذهبت مضرب المثل :

---

[1]. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 75.

[2] علي الجارم و مصطفى أمين : البلاغة الواضحة ، ص 105.

[3] د. عدنان النحوي : ديوان جراح على الدرب، ص 67.

[4] المصدر نفسه: ص 73

[5] أبو زيد القرشي : جمهرة أشعار العرب، ص135.

وَ أَلِفْ قُلُوبًا فَرَقَ الْحِقْدُ بَيْنَهَا ∴ وَ قَدْ يَجْمَعُ الأَضْدَادَ يَوْمًا تَآلُفُ[1]

ومن الأساليب البلاغية التي وظفها النحوي بكثافة في تصويره الشعري أسلوب "الكناية" والتي تحمل معنى الخفاء وشيئا من الغموض الشفاف الذي لا يؤدي إلى الإلغاز والتعمية« وحينئذ يكون الإخفاء والستر حسنة من حسنات الكلام، أو حسنة من حسنات الأديب ... ومن المركوز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له، أو الاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى وبالميزة أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف »[2].

يقول النحوي و هو يصف شجاعة الأبطال الشيشانيين في حربهم مع الشيوعيين الروس:

وَ أَطْبَقُوا وَ لَيَالِي الْمَوْتِ فَاغِرَةٌ ∴ فَاهَا عَلَى وَمَضَاتِ الْبَرْقِ وَ الشُعَلِ

لله دَرُ رِجَالٍ يَنْسُجُونَ دَمًـــا ∴ أَكْفَانَهُمْ بِحَنِينِ الْبِشْرِ وَ الْجَـــذَلِ[3]

ولعلنا متخيلون للصورة التي رسمها الشاعر لهؤلاء الأبطال فهم -لشجاعتهم- يستهزئون بالموت، و لذا رأيناهم ينسجون أكفانهم من دمائهم، و هم فرحون مستبشرون بالشهادة.

وقد تزداد الصورة الكنائية انحرافا حتى تغدو "تعريضا"« وهو ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق سواء كان المعنى حقيقة أو مجازا أو كناية »[4].

ففي التعريض ببني الإسلام، وكيف أصبحت حالهم من الغثائية بعد أن تخلوا عن فريضة الجهاد، ويف سامهم عدوهم سوء العذاب، وأنزلهم منازل الخسف والهوان يقول النحوي :

وَاهًا عَلَى أُمَةِ الإِسْلاَمِ صَيَرَهَـــا ∴ حُبُ الْحَيَاةِ غُثَاءَ السَيْلِ وَالْنَهَـــرِ

مَالُوا إِلَى عَرَضِ الْدُنْيَا وَ خُضْرَتِهَـــا ∴ وَ أَدْبَرُوا عَنْ جِهَادٍ مُورِقٍ خَضِـــرِ

وَ أَسْلَمُوا لِلْعِدَى أَعْنَاقَهُـــمْ ذُلُـــلاً ∴ عَلَى شِفَارٍ تُدَمِي رَعْشَةَ الْخَـــوَرِ

مَاتَتْ بِهِمْ هِمَمُ الأَبْطَالِ وَ انْطَلَقَتْ ∴ عَلَى السُرَى هِمَمُ الأَشْبَاهِ وَ الصُوَرِ

رَمَتْ بِهِمْ عَنْ سُرُوجِ الْعِزِ أَحْصِنَةٌ ∴ وَ مَرَغَتْهُمْ عَلَى الأَوْحَالِ وَ الْعَفَـــرِ[5]

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان مهرجان القصيد، ص 56.

(2) د. بدوي طبانة : علم البيان، ص 221.

(3) د. عدنان النحوي : ديوان عبر و عبرات، ص 55.

(4) د. بدوي طبانة : المرجع السابق، ص 251.

(5) د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 22-23.

ولما خارت هم المسلمين، ونضب علمهم وفقههم، فتعلقوا بالمظهر وأضاعوا الجوهر، ثم ادعوا أنهم حملة لواء الإسلام، وأنهم الذائدون عن حياضه، وما هم في الحقيقة إلا أدعياء لأن الإسلام يحملهم وهم عبء ثقيل عليه، هؤلاء الأدعياء يعرض بهم النحوي في قصيدة "ضياع" قائلا:

أَرْخَوْا هَوَاهُمْ وَ مَدُّوا مِنْ"مَسَابِحِهِمْ" ∴ وَ زَيَّنُوا مِنْ مُسُوحِ الْكِبْرِ وَ الْبَطَرِ
وَ تَمْتَمُوا حَلَقَاتِ الذِّكْرِ لاَهِيَةً ∴ نُفُوسُهُمْ وَ غَفَوْا فِي نَاعِمِ السُّرُرِ
وَفَلْسَفُوا كُلَّ تَقْصِيرٍ وَ مَعْصِيَةٍ ∴ بِمَنْطِقٍ عَاجِزِ التِّبْيَانِ مُحْتَقَرِ
لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ بَيِّنَةً ∴ إِلاَّ رَمَوْهَا عَلَى تِيهٍ مِنَ الْفِكَرِ
ثُمَّ ادَّعَوْا نَسَبًا لِلدِّينِ وَيْحَهُمُ ∴ وَشَائِجُ الدِّينِ تَقْوَى الْقَلْبِ وَالْفِطَرِ [1]

4- التصوير بالرمز :

الرمز لغة يعني« الإشارة و الإيماء بالشفتين أو الحاجب »[2] أو غيرها أما في المعنى الاصطلاحي فهو« أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها، أو بلمحة دالة »[3]. و قد يكون الرمز إشارة حرفية، وقد يكون في المعنى أو في العاطفة على أن يجيء ذلك كله خفيا غير معلن، غير أن« الرمز الشعري لا ينفصل عن التجربة الشعرية، إنه مرتبط بها أشد الارتباط بين الرمز الشعري و المرموز إليه علاقة تداخل وامتزاج، والتجربة الشعورية إما أن تفرغ شحنتها في رمز قديم فتستدعيها وتستحضرها، وإما أن تركز الشحنة العاطفية أو الفكرية في ألفاظ تضفي عليها طابعا رمزيا، فيكون الرمز المستخدم جديدا ... »[4].

إن الصورة الرمزية جزء من الصورة الكلية ملتحمة بها نابعة منها ولابد من وجود علاقة بين الرمز والمرموز إليه، هذه العلاقة قد تختلف درجات وضوحها من صورة لأخرى إلا أنه ينبغي أن تكون مصدر هداية وإرشاد، وليس مصدر إلغاز وتعمية...؟! .

---

(1) د. عدنان النحوي : ديوان موكب النور، ص 181.
(2) الجوهري : الصحاح، ج 3 ، ص 880.
(3) قدامة بن جعفر : نقد النثر، ص 61.
(4) د. ساسين سيمون عساف : الصورة الشعرية و نماذج إبداعها عند أبي نواس، ص 40.

والرمز تركيب لفظي أساسه الإيحاء« يزيد من روعة التصوير، لا التصريح، وتزيد الإشارة من سحره، لا المكاشفة، لأن الحيوية في الصورة الأدبية لا تتحقق إلا بالإيحاء فيها بمعان متعددة تسمح للقارئ بالتجول و المغالبة، و تدفعه لتنشيط عقله و خياله »[1].

إن الكلمة أو الصورة لا تكون رمزا إلا إذا أوحت بشيء أكثر من معناها الواضح، وبذلك يكون لها جانب أو مظهر من الغموض الشفاف يصعب تحديده أو تفسيره بدقة وجلاء ..

و هناك وجه أكثر تعقيدا للرموز، هو الشيء الملموس الذي يوحي عن طريق تداعي المعاني إلى ملموس أو مجرد كغروب الشمس مثلا الذي قد يدعو إلى التفكير في حالات الضعف والشيخوخة... كما أن الرمز يشمل كل أنواع المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة بما فيها من علاقات دلالية معقدة بين الأشياء... [*].

وقد كان لاعتماد النحوي على رموز التاريخ الإسلامي المشرق أثر عظيم في تشكيل صوره الرامزة، ولعله وجد في أعلام ووقائع عصور المد الحضاري الإسلامي مادة خصبة في تجربته الشعرية فحاول أن يجعل لها امتدادا في العصر الحاضر، باستنهاض همم المعاصرين لتحقيق أمجاد تحاكي أمجاد السلف، يقول الشاعر وهو يرثي حواضر العالم الإسلامي :

رُدِي رَوَابِي الصِينِ أَيْنَ قُتَيْبَـــةُ ∴ وَ السُورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الْفُرْسَـــانُ
رُدِي رَوَابِي الْهِنْدِ أَيْنَ شَرِيْعَةُ الْرَ ∴ حْمَانِ مِنْ سُلْطَانِهَا السُلْطَـــانُ
دَارَ السَلاَمِ وأَيُ لَحْنٍ لَمْ يَكُـــنْ ∴ شَكْوَى بِدَارِك إِنْ شَدَتْ بَغْدَانُ
وَ دِمَشْقُ تَطْوِيهَا الضُلُوعُ صَبَابَةً ∴ وَ تَغِيبُ بَيْنَ جُفُونِيَ الْسُـــودَانُ
الْمَغْرِبُ الزَاهِي أَرُدُ لِسَاحِـــهِ ∴ طَرْفِي فَيَهْفُو لِلقَا إِخْـــــوَانُ
مَا بَالُ أَنْدَلُسٍ تَجِفُ وُرُودُهَـــا ∴ شَجَنًا! أَصَوَحَ عِنْدَهَا الْبُسْتَـــانُ
مَحْلُوَةً اوَ لِطَارِقٍ مِنْكِ الْهَـــوَى ∴ تَهْوِي وَ تُصْرَعُ دُونَكِ الأَقْـــرَانُ
يَا لَوْعَةَ الأَقْصَى وَ بَيْنَ ضُلُوعِـــهِ ∴ نَارٌ وَ فَوْقَ قِبَابِهِ عُـــــدْوَانُ ... [2]

---

(1) د . علي صبح : البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي، ص 212.

(*) يُنظر : د. أحمد أبو زيد: الرمز و الأسطورة و البناء الاجتماعي، مجلة عالم الفكر، ع3 ،ج 16، 1985، ص 585.

(2) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 200 و ما بعدها .

وهكذا يواصل النحوي تنقله بين الأقطار الإسلامية مصورا أيام عزها ووحدها وأمجادها الغابرة مزاوجا بين الحاضر المؤلم والماضي المشرف عارضا صور الماضي المشرقة وصورة الحاضر المؤلمة...

وتبرز صورة القائد المسلم عند شاعرنا مزدانة بالفضائل الإسلامية المحببة، وبالمواقف الإيجابية الفعالة، على عكس ما هو عليه موقف بعض الشعراء العرب من الرموز الإسلامية حين صار معظمها –في نظرهم– وبخاصة الشخصيات الإسلامية رموزا للتأخر الفكري والسياسي والحضاري، وللتقاليد البالية والعقلية العربية القديمة، حيث يسقطون كل ما يشكو العرب منه في العصر الحاضر من تأخر وانحطاط على تلك الشخصيات، غافلين عن أنها كانت في زمنها أقوى شخصيات عصرها ...(*)

ومن هذه الشخصيات، القائد الفذ "صلاح الدين الأيوبي" الذي أعاد "القدس" إلى حضيرة العالم الإسلامي، بفضل عبقريته وجهاده و تقواه:

عَبْقَرِيُّ الْجِهَادِ أَنْتَ!صَلاَحُ الْـ ∴ ـدِينِ!سَيْفٌ مِنَ الْهُدَى مَمْدُودُ
زَهَدَتْ نَفْسُكَ التَقِيَةُ بِالْـدُنْـ ∴ ـيَا، مَتَاعٌ مِنَ الْغُرُورِ زَهِيدُ (1)

وينوه الشاعر بالسلطان "عبد الحميد الثاني" كرمز من رموز الخلافة الإسلامية الذين انتهكت سمعتهم، وديست شخصيتهم لا لشيء سوى لأنه رفض مساومة "اليهود" حول بيع "فلسطين" :

سَلاَمٌ عَلَى "عَبْدِ الْحَمِيدِ" وَ قَدْ مَضَى ∴ عَلَى الطِيبِ مِنْ أَمْجَادِهِ الْعَطِـرَاتِ
فَيَا أَيُّهَا السُلْطَانُ ذِكْرُكَ عَاطِـرٌ ∴ عَلَى صِدْقِ مَا جَاهَدْتَ فِي حَلَبَـاتِ
يُسَاوِمُكَ الْكُفَارُ مَـالاً وَزِينَـةً ∴ وَزَهْرَةَ دُنْيَا أَوْ مَتَـاعَ حَيَـاةِ
لِتُعْطِيهِمْ دَارًا وَرَوْضًا وَ مَا حَـوَتْ ∴ "فِلَسْطِينُ" مِنْ قُدْسٍ وَمِـنْ حُرُمَـاتِ
فَقُلْتَ لَهُمْ: أَمْضَيْتُ عَهْدِي وَ بَيْعَـتِي ∴ مَعَ اللهِ فِي سَعْيِي وَ فِي رَكَعَـاتِ (2)

وحينما يتأمل الشاعر واقع المسجد الأقصى وما آل إليه من الوحشة والغربة، ويصور المآثر الروحية والمقدسات وهي تنتهك، يعود إلى الماضي المشرق يستمد من الرموز مثل (الإسراء،

(*) يُنظر : د. أحمد بسام الساعي : حركة الشعر الحديث في سوريا، ص 338.

(1) د. عدنان النحوي : ملحمة الأقصى، ص 135.

(2) د. عدنان النحوي : ديوان جراح على الدرب. ص 166-167.

المعراج، البراق الملائكة ...) أملا روحيا لتثبيت الأحداث الإسلامية في واقع مهزوم، يريد "اليهود" استغلال الظرف العصيب و جعل القدس بما فيها المسجد الأقصى عاصمة أبدية لهم !.

يَا جَلاَلَ الإسْرَاءِ: يَحْمِلُهُ الشَّـــــ ∴ ـــوْقُ وَ جِبْرِيلُ وَ الْبُرَاقُ الشَّدِيدُ
إِنَّـــهُ الْمُصْطَفَـــى! أَطَـــلَّ فَهَبَتْ ∴ لِلِقَاهُ نُبُـــوَّةٌ وَ جُـــــــدُودُ
يَا رَسُولَ الْهُدَى!عَدَلْتَ وَ سَاوَيْـــ ∴ ـــتَ فَمَا جَـــارَ سَيِّدٌ وَ مَسُـــودُ
غَيْرَ أَنَّ الزَّمَانَ حَالَ فَعَـــــادَتْ ∴ "لِلْشَيَاطِينِ" دَوْلَـــةٌ وَ جُنُـــودُ
أَشْعَلُوا الأَرْضَ فَجَرُوهَا بَرَاكِـــيـ ∴ ـــنَ فَمَادَتْ ذُرًا وَ مَادَ عَمُـــودُ[1]

وهناك رموز إسلامية كثيرة وردت في شعر عدنان النحوي لم يتسع المجال لذكرها: كعمر الفاروق، خالد بن الوليد، الزبير بن العوام، المقداد بن الأسود وعمرو بن العاص ... ومن الرموز المكانية يذكر : بدرا، حطين، القادسية والأوراس ... وغيرها.

يَا"لِحِطِينَ"زَلْزَلَتْ مِلَةَ الْكُفْـــ ∴ ـــرِ فَأَهْوَى رُكْنٌ لَهُمْ وَعَمُودُ[2]

وكما وظف النحوي رموز الخير والصلاح، فقد وظف رموز الشر والفساد أيضا ففي الأبيات السابقة رأيناه يرمز "لليهود" "بالشياطين" إشارة لسوء فعالهم وعقيدهم وعتوهم عن أمر ربهم .. كما يرمز لحكام العرب "بالفراعنة" لجورهم في الحكم و ظلمهم للرعية :

عُصْبَةَ الْحُكَامِ جُورِي رُبَمَـــا ∴ لَمْ يُطُلْ عَهْدُكِ!جُورِي وَ اظْلِمِي
لَسْتِ فِي تَارِيْخِنَا الْصَاعِدِ إِلَـــ ∴ ـــلاَّ بَقَايَا حُلُـــمٍ لَمْ يَـــدُمِ
مَا لِمِصْرَ أَيْقَضَتْ "فِرْعَوْنَهَـــا" ∴ فِي لَيَالٍ حَالِكَـــاتِ الْظُلَـــمِ
هَبَ مِنْ رَقْدَتِهِ طَـــيَ الْبِـــلاَ ∴ وَ انْثَنَى حَيًا كَـــأَنْ لَمْ يَنَـــمِ
لَمْ تَزَلْ عَادَتُـــهُ أَنْ يَفْتَـــدِي ∴ بِضَحَايَا الْنِيْـــلِ فَيْضَ الْنِعَـــمِ[3]

ونخلص إلى أن عدنان النحوي من الشعراء الذين استخدموا الرمز في تصويرهم الشعري، وبخاصة التاريخي منه، وقد عمل على أن يعيد للرموز التاريخية وخاصة الشخصيات الإسلامية منها إيجابيتها وفاعليتها في وقت تعرضت فيه هذه الرموز والشخصيات للتشويه والمسخ لدى كثير من الشعراء .

---

(1) د. عدنان النحوي: ملحمة الأقصى، ص 118-122 .

(2) د. عدنان النحوي: ملحمة الأقصى، ص 135.

(3) د. عدنان النحوي : ديوان الأرض المباركة، ص 175-176.

الفصـــل الثـــالـــث

الموسيقـــــى الشعـــريـــة

1- أهمية الموسيقى الشعرية

2- الموسيقـــى الخارجيـــة

أ- الـــــــــوزن

ب-القـــــافيـــــة

3- الموسيقى الداخلية

أ-التكـــــــــــرار

ب-المحسنات البديعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- أهمية الموسيقى الشعرية :

تعد الموسيقى عنصرا جوهريا من عناصر الشعر حيث أنها تصبغه بذلك الرونق الجميل المتمثل في النغم المتزن، وتمنح القصيدة وحدة نغمية ساحرة تميز الشعر عن النثر بما تحدثه من توازن وانسجام وإيقاع «فلا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره وجوه الزاخم بالنغم، موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر، قوى تنشر في نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معها، وكأنما تعيد فيهم نسقا كان قد اضطرب، واختل نظامه »[1].

ومن هنا كانت أهمية الموسيقى للشعر كوسيلة للوصول إلى أبعد زاوية مظلة في النفس وإنارتها، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: « تأثير السماع في القلوب محسوس، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص، مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، بل على جميع البهائم، فإنها جميعا تتأثر بالنغمات الموزونة »[2].

فليس الشعر في حقيقته إلا كلاما موسقا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب، ولعل هذا ما حدا ببعض الدارسين إلى أن عرف الموسيقى بأنها «حد الشعر وسمته الفارقة يستخدمها الشاعر ليناسب بينها وبين المواقف المصورة، ويلائم بين الإيقاع وحالاته الفنية الخاصة ».[3]

ويرى بعض النقاد أن البناء بالموسيقى يتقدم على البناء بالصورة لأن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي "أي الوزن" خرجت من دائرة الشعر إلى دائرة الفن النثري، ولعل هذا ما حدا بهم إلى تعريف الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى .

وإذا كان كلّ من الوزن والقافية يؤلفان الموسيقى الخارجية المحسوسة فهناك موسيقى داخلية ناشئة من طبيعة توالي الحروف ومخارجها أو عند ورود الألفاظ في أشكال معينة وأبرز هذه الأشكال على الإطلاق هي المحسنات البديعية والتكرار الموسيقى... وقد لجأ جل أصحاب الشعر الحديث إلى هذه الموسيقى الداخلية ليعوضوا بها ما فقدته قصائدهم من قافية أو وزن أو هما معا.

---

(1) د.شوقي ضيف: فصول في الشعر و نقده، ص 28.

(2) ابو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ج6 ، ص 147.

(3) د.علي ابراهيم أبو زيد: الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، ص 371.

2- الموسيقى الخارجية :

أ- الـــــوزن :

جاء في تعريف ابن خلدون للشعر قوله :« هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي »[1].

أما صاحب العمدة فيعتبر الوزن« أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية .. »[2].

والمعروف أن أوزان الشعر العربي تجري على خمسة عشر بحرا وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ) وزاد "الأخفش" (ت 225هـ) بحر " المتدارك"، وهذا النظام الخليلي نظام متكامل لا يعتوره النقص المشين، أو الخلل الفادح، إنما هي هزات خفيفة مطربة وقد« ظل هذا النظام يراعى مراعاة تامة حتى عصرنا هذا، ولا يزال شعراؤنا المحافظون على التراث والخاضعون له ينسجون على منواله، وينهجون نهجه وهم به راضون قانعون.. »[3].

غير أننا اليوم نجد هجوما شرسا على الأوزان الشعرية وعلى "العروض" الخليلي بالذات، بزعمها قيودا تحد من حرية المبدع، وتحول دون تشكيل صورة موسيقية مرنة تناسب أذواق العصر الحاضر، يقول الدكتور "محمد النويهي" : ((فالبحر العربي المأثور ذو موسيقى حادة بارزة، شديدة الجهر، عنيفة الوقع على طبلة الأذن، عظيمة الدرجة من التكرر والرتوب، وهذه طبيعة ينفر منها ذوقنا الحديث، ولم تعد آذاننا تحتملها، وأصبحنا نراها شيئا بدائيا لا يعجب به إلا ذوو الأذواق الفجة التي لم تنضج. وصرنا أميل إلى إيقاع أخف وقعا على الأذن ، وموسيقية أخفى أثرا وأقل بروزا وحدة، وأحوج إلى الذكاء و إرهاف السمع لالتقاطها وتتبعها »[4].

ويستمر الدكتور في تحامله على الأوزان الخليلية قائلا :« فالتفاعيل بجرسها الحاد البارز وتكررها المنتظم الرتيب، وعددها الذي لا يزيد ولا ينقص بيتا بعد بيت، وانقسامها السيمتري إلى شطرين متناظرين، تظل أغلالا ثقيلة مرهقة »[5].

---

(1) ابن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون، مج2، ص 1104.

(2) ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 134 .

(3) ربيعي محمد علي عبد الخالق: أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر، ص 63.

(4) محمد النويهي: قضية الشعر الجديد، نقلا عن د. رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 316-317.

(5) المرجع نفسه: ص 317.

أما الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه "التفسير النفسي للأدب" فقد تطاول على الخليل وعروضه، وحاسبه حساباً عسيرا-كأنه ابن عصره- على منهج غربي بحت، حيث يقول :« ..ومعنى هذا أن عملية الاستقراء التي يمكن أن يكون الخليل قد قام بها ناقصة ، على أن منهج الاستقراء نفسه غير صالح لشرح مثل هذه القضية، وكان على الخليل كيما يثبت صحة فكرته أن يحلل لنا الأوزان ذاتها في صورتها المجردة وأن يربط بينها في هذه الصورة وبين حالات النفس المختلفة »[1] فقد أدانه عن طريق الافتراض، ثم حكم عليه، كما هي عادة أسياده الغربيين في دراسة كل ماله علاقة بالتراث العربي الإسلامي !.

وبنفس المحاكمة التي حاكم بها الدكتور النويهي الموسيقى الخليلية نجد الدكتور عز الدين إسماعيل يصدر عليها نفس الحكم، وكأنما هذا الحكم اقتبساه من مشكاة واحدة، فهو يقول :« على أن القصيدة التقليدية وطريقة بنائها من وحدات متكررة مقفلة على ذاتها تتمثل في الأبيات المنتهية بنفس القافية قد حال دون تشكيل صورة موسيقية مرنة تتمثل في القصيدة من حيث هي كل، مما أفقد القصيدة وحدتها الموسيقية وكل ذلك راجع إلى المبدأ العام الذي يمثل هذا الاتجاه، وهو تشكيل ما في النفس وفقا للنظام الطبيعي، لا تشكيل الطبيعة وفقا لما في النفس. ومن ثم كانت موسيقى القصيدة التقليدية جامدة وصاخبة ورتيبة »[2].

وإذا كانت الأوزان قيودا -كما يزعمون- فإنها لا تذل إلا الضعيف الخائر، أما الشاعر الفحل فهو قمين بإذلال القيود، وليس صحيحا أن الوزن الخليلي يقف عقبة أمام الانطلاق الحر نحو ارتياد آفاق الإبداع، فإذا كان الشاعر أصيلا ويتمتع بموهبة حقيقية، أذعنت له الأوزان والقوافي وهي صاغرة ذليلة كما هو الشأن مع شاعر العربية الأكبر أبي الطيب المتنبي الذي طوع القوافي لأغراضه الشعرية حتى غدت كالعجين في يد الطباخة الماهرة، وفي ذلك يقول :

أَنَا الذي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ∴ وَ أَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِه صَمَمُ

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ∴ وَ يَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَ يَخْتَصِمُ[3]

أما المحسوبون على الأدب من أنصاف الشعراء، فحين أعوزهم الوسيلة، وفاتتهم الحيلة أخذوا يعيبون على الخليل عروضه وموسيقاه وينعتوهما بالرتابة والجمود لكن هذه المزاعم وجدت

---

(1) د.عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص 82 .

(2) المرجع نفسه: ص 82.

(3) أبو الطيب المتنبي: ديوان المتنبي، ج4، ص 83-84.

من تصدى لها من أدباء و نقاد لهم وزنهم على الساحة الأدبية، يقول الدكتور عبد الفتاح صالح نافع« ...فقطع الصلة بالعروض العربي بعدم القدرة على الوزن أمر لا يقره منطق أو عقل، والجري وراء الجديد لكونه جديدا هو قهور غير مقبول .. »[1].

وفي نفس السياق يقول مؤكدا مرونة الشعر العمودي، واستجابته لمختلف التيارات شريطة أن يتناوله شاعر موهوب:« الشعر العمودي لا تأبى طبائعه الخصائص التعبيرية والمعنوية الجديدة، بل هو قادر على العيش والعطاء ، وملاءمة شتى التيارات الفكرية والحضارية، إذا مارسه متمكن موهوب »[2].

أما الناقد الكبير الدكتور شوقي ضيف فيرد على زعمهم وادعائهم من كون وحدة الوزن في القصيدة الخليلية قد أفقد الموسيقى مرونتها وجعلها تتصف بالرتابة والجمود فيقول :« إن أي بيتين يتطابقان في الوزن العروضي يختلفان في رنينهما اختلافا واضحا، وهو اختلاف يرد إلى ما بين كلمات كل منهما من توافقات صوتية في الحروف، وتماثل وتشاكل في الحركات و السكنات، وما من ريب في أن الشاعر المجيد إذا أتقن هذه الجوانب ليستطيع أن يمثل لنا معانيه في أصوات كلماته رناتها »[3].

على أننا نحسب أن أصحاب الدعوة إلى هدم العروض الخليلي وتقويض أركانه في الغالب هم من أصحاب النوايا غير الحسنة لأن دعوتهم هذه «رافقت دعوات مكشوفة الإيذاء والجريمة : كالدعوة إلى العامية والدعوة إلى تغيير الحروف العربية باللاتينية والدعوة إلى تغيير القواعد.. وغيرها من الدعوات... والتقى هؤلاء مع أعداء الأمة الصريحين المكشوفين في أكثر من لقاء، وفي أكثر من مناسبة وفي أكثر من مكان، حتّى صرت تسأل نفسك أهم من أمتنا، أم من الأعداء؟! »[4].

ثم يقرر النحوي أن أصحاب هذه الدعوات إنما هم عملاء للشيطان لأنهم يحاربون كل ماله علاقة بالإسلام :« إن الذين يهجرون الوزن والقافية يفعلون ذلك لأنهم حرموا من الموهبة القادرة على استخدام الوزن والقافية في تعبير كريم موح، لأنهم حرموا من هذه الموهبة وطمحت نفوسهم

---

(1) د. عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ص 93 .

(2) المرجع نفسه: ص 91.

(3) د. شوقي ضيف: فصول في الشعر والنقد نقلا عن د. رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 314 .

(4) د.عدنان النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته و عالميته، ص 235-236.

إلى ما ليس لهم فحاولوا فرض إنتاجهم على الأدب العربي يغذيهم ألف شيطان في معركة مكشوفة ضد الإسلام »[1].

ومن هنا نجد أن الشكل الفني الذي آثره شاعرنا كإطار لقصائده -دون استثناء- هو الشكل العمودي ، لأنه يرى أن الخروج عليه يخرج بالعمل الأدبي من دائرة الشعر إلى دائرة النثر وفي ذلك يقول :« لقد كان الوزن والقافية شرفا لهذا النوع من القول وسيبقى مشرفا له ما بقيت اللغة العربية، ولا يمكن اعتبار الشعر الحديث المنثور وصاحب التفعيلة شعرا أبدا إنه إذا استطاع أن ينهض لمستوى الأدب فهو نثر لا علاقة له بالشعر »[2].

إن شاعرنا يحسم موقفه من قضية الشكل، على أننا ينبغي أن نشير إلى أن موقفه من هذه القضية -التي كثر حولها الأخذ والرد -ليس مرده المنهج الإسلامي -كما قد يتبادر إلى الأذهان- بمعنى أن إسلامية الأدب لا تحتم شكلا بعينه، ذلك أن منظور الإسلام للإبداع الأدبي إنما هو منظور موضوعي بالأساس، فهو يهتم بالمضمون دون الشكل، وعلى ذلك يقرر الناقد الكبير الدكتور "عماد الدين خليل" قائلا :« ولا تبقى بعد هذا، ثمة قيمة أو أهمية للتصنيف التقليدي للشعر العروضي القائل بأن هناك شعرا عموديا وآخر حرا، لأن كليهما ينبعثان من ذات الموسيقى ويعتمدان ذات التفعيلة والبحر، ولكن الخلاف ينحصر بعدد التفعيلات وشكل الإيقاعات و"القوافي"... »[3]. وعليه يكون موقف النحوي من قضية الشكل، إنما هو موقف ذوقي لا غير، وإن كنا لا نوافقه في نظرته الحادة لشعر "التفعيلة" لأننا نعتبره وريثا شرعيا للقصيدة العمودية الأصيلة، وقد نظم النحوي حوارا جرى بنه وبين أحد المدافعين عن"الشعر الحر" يقول فيه:

يَقُولُ: تَرْتَجِلُ الأَشْعَارَ تُنْشِدُهَـــا ∴ وَزْنًا وَقَافِيَةً قَيْدًا وَ إِعْسَـــارَا
دَعِ الْقَوَافِيَ وَ الأَوْزَانَ إِنَ بِهَـــا ∴ رَجْعَ التُرَاثِ وأَغْلاَلاً وأَوْضَـــارَا
وَاغْسِلْ كَلاَمَكَ أَوْ طَهِرْهُ إِنَ بِـــهِ ∴ مِنَ السِنِينَ،مِنَ التَارِيخِ!إِغْبَـــارَا(*)
وَ مَزِقِ الْشَكْلَ لَيْسَ الشَكْلُ ذَا صِلَةٍ ∴ بِالدِينِ!أَنْشِبْ بِهِ نَابًا وَ أَظْفَـــارَا(**)

(1) د.عدنان النحوي. الأدب الإسلامي إنسانيته و عالميته. ص 238

(2) د.عدنان النحوي. مقدمة ديوان مهرجان القصيد. ص 44

(3) د.عماد الدين خليل. مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي. ص 139-140

(*) إشارة الى قول الحداثيين بضرورة "غسل" الكلمة مما علق بها من "غبار السنين"

(**) إشارة إلى قول بعضهم : لسنا متعبدين بالشكل.

الْشِعْرُ حُرٌّ بِأَوْزَانٍ وَ قَافِيَـــةٍ ∴ مِلْءَ الْمَيَادِينِ دَفَاقًا وَزَخَـــــارَا
الْشِعْرُ فَنٌّ وَآلاَفُ السنِينَ بَنَتْ ∴ لَآلِئَ الْوَزْنِ أَوْ صَاغَتْ لَهُ الْغَـــارَا
وَعَبْقَرِيُّ عَطَاءِ الْشِعْرِ قَافِيَـــةٌ ∴ تَجْرِي مَعَ "الْبَحْرِ" إِنْشَادًا وَإِبْحَـــارَا
الْشِعْرُ فَنٌّ إِذَا مَا قُلْتَهُ انْتَفَضَتْ ∴ مِنْكَ الْجَوَارِحُ تَحْنَانًا وَ تَذْكَـــارَا [1]

وخلاصة القول أن الوزن في الشعر شئ أصيل لا يمكن التخلي عنه أبدا، ويبقى الخلاف محصورا في عدد التفعيلات وشكل الإيقاعات والقوافي ...ولكن ! هل لبعض الأوزان الشعرية صلة بمزاج الشاعر وحالاته النفسية وما ينتابه من أعراض كالغربة والحنين والفرح والحزن وغيرها ؟ لقد حاول النقاد قديما وحديثا أن يصلوا بين الأوزان الشعرية والحالات النفسية التي تنتاب الشعراء لحظة الإبداع، يقول حازم القرطاجني :« ومن تتبع كلام الشعراء في جميع الأعاريض وجد الكلام الواقع فيها تختلف أنماطه بحسب اختلاف مجاريها من الأوزان، ووجد الافتتان في بعضها أعم من بعض، فأعلاها درجة في ذلك الطويل والبسيط ويتلوهما الوافر والكامل، مجال الشعر في الكامل أفسح منه في غيره ويتلو الوافر والكامل عند بعض الناس الخفيف .. »[2].

أما الدكتور إبراهيم أنيس فيقر بوجود علاقة وطيدة بين حزن الشاعر وجزعه، واختياره الأوزان الطويلة فيقول:« على أننا نستطيع –ونحن مطمئنون– أن نقرر أن الشاعر في حالة اليأس والجزع يتخير –عادة– وزنا طويلا كثير المقاطع يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه حزنه وجزعه، فإذا قيل الشعر وقت المصيبة والهلع تأثر بالانفعال النفسي، وتطلب بحرا قصيرا يتلاءم وسرعة التنفس، وازدياد النبضات القلبية... »[3].

ولعل ميل بعض النقاد[*] إلى التقليل من شأن مثل هذه الدراسات راجع إلى كون الشعراء القدامى لم يتخيروا وزنا خاصا بموضوع ما، بل كانوا يمدحون ويفخرون ويرثون في كل بحور

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان عمر و عبرات، ص 119.

(2) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء، ص 269

(3) د.إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 177-178 .

(*) منهم :

* د.عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص 51.

* د.عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ص 74 .

* د.رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 17.

الشعر التي شاعت عندهم، وخير مثال على ذلك «المعلقات التي قيلت كلها في موضوع واحد تقريبا... فإنها نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل ».[1]

وإن شاعرنا عدنان النحوي غالبا ما تبرز شخصيته من خلال اختيار أوزانه ففي موضوع الغربة والذي يكون عادة مقرونا بالحزن على فقد الأحبة أو العقيدة أو الوطن، والذي يستوجب بحرا طويلا كثير المقاطع كما قرر ذلك إبراهيم أنيس، نجد النحوي ينوع بحوره للتعبير عن ذات الغرض، ففي إطار التعبير عن اغترابه وحنينه لذكرى وطنه "فلسطين" وقد أُبعد عنها يقول :

وَطَنِي ذَكَرْتُكَ وَ الْمَصَائِبُ كَشَرَتْ ∴ عَنْ نَابِهَا وَ احْمَرَ مِنْهَا الْمِخْلَبُ
وَوَقَعْتَ تَدْمِي فِي عِرَاكِكَ بَعْدَمَـا ∴ ذَهَبَ النَّصِيْرُ وَ سَاءَكَ الْمُتَقَلَّبُ
فَصَرَخْتَ مَكْلُومًا أَمَا مِنْ مُنْجِـدٍ ∴ يَحْنُو عَلَيَّ وَ مُسْعِفٍ لاَ يَرْهَبُ[2]

فتقطيع البيت الأول هو :

0//0///0//0///0//0/// 0//0/0/0//0/0/0//0/0/

مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ مُتْفَاعِلُنْ

وهي تفعيلات بحر "الكامل"، وقد استعملها النحوي صحيحة في الشطر الأول من البيت "الصدر"، و"أضمرها" في الشطر الثاني"العجز".وعلى نفس البحر أي "الكامل" وهو أكثر البحور الصافية تداولا عند شاعرنا يقول النحوي (وهو يرثي والدته) :

يَا أُمُّ تَبْكِيكِ الرِجَالُ كَأَنَمَا ∴ هُمْ نِسْوَةٌ بَكَتْ عَلَى شُبَّـــانِ
يَا أُمُّ أَيْنَ مَرَابِعٌ بَسَمَتْ لَنَـــا ∴ وَ مَنَازِلٌ سَعِدَتْ وَ طِيْبَ مَكَانِ
يَا أُمُّ فَكَّ الْمَوْتُ قَيْدًا قَاسِيًا ∴ وَ طَرَحْتِ عَنْكِ غَلاَئِلَ الإِنْسَانِ[3]

فإذا تركنا بحر "الكامل" إلى بحر "الخفيف" الذي يمثل نسبة (26 %) من دواوين النحوي -وهي أعلى نسبة – هذا البحر الذي قال عنه الخليل:« سمي هذا البحر خفيفا لأنه أخف السباعيات أي لتوالي لفظ ثلاثة أسباب خفيفة فيه، لأن أول وثاني الوتد المفروق فيه لفظ سبب خفيف عقب سببين خفيفين، والأسباب أخف من الأوتاد »[4].

---

(1) د.ابراهيم انيس: موسيقى الشعر، ص 177

(2) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص101.

(3) المصدر نفسه: ص 65-66.

(4) د.أمين علي السيد: في علمي العروض و القافية، ص139.

هذا البحر " المزدوج" والمبني على تفعيلتين متشابهتين وأجزاؤه هي :

فَاعِلاَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلاَتُنْ.

قلت إن بحر "الخفيف" هذا وجده النحوي مرقى سهلا فنظم عليه جل أشعاره، و لم يكن في ذلك مبتدعا لأن هذا البحر كما يقول النقاد« نال أكثر عناية الشعراء »[1].

يقرر شاعرنا أن سبب النكبة التي حلت بالأمة الإسلامية، إنما هو زلزلة العقيدة لدى كثير من أبنائها، وهو ما انتهى بضياع البلاد والعباد، لقد أعد لهم أعداؤها خططا محكمة لإفساد عقائد أبنائها على مراحل وعندما نجحوا-للأسف- في غزوهم فكريا، استطاعوا إخراجهم من ديارهم، وتشريدهم في كل أصقاع الأرض، وجعلهم يعيشون حالة مزرية من الاغتراب فيقول: على بحر "الخفيف":

لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهَا وَمُرُوجًا ∴ نَضِبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَّـــاءَ

إِنَمَا أَنْدُبُ الْعَقِيدَةَ تَـــذْوِي ∴ فِي نُفُوسٍ تَعِيْسَةٍ وَ الإِبَـــاءَ

مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّـــا ∴ قَدْ هَجَرْنَا الْعَقِيدَةَ السَمْحَاءَ

لَفَظَتْنَا الْدِيَارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظًا ∴ وَ أَحَالَتْ كِرَامَنَا غُرَبَـــاءَ[2]

فتقطيع البيت الأول كما يلي :

0/0///0//0//0/0//0/ 0/0/0/0//0//0/0///

فَاعِلاَتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعِلاَتُنْ فَعِلاَتُنْ مُتَفْعِلُنْ فَالاَتُنْ.

فالنحوي يستغل ما تبيحه الزحافات و العلل، قصد إغناء الصورة الموسيقية و توقيعها، ففي صدر البيت ذكر التفعيلة الأولى صحيحة، ثم "خبن" التفعيلة الثانية والعروض، أما في " العجز" فنجده "يخبن" حشوه و "يشعث" التفعيلة الأخيرة أي " الضرب".

ومن البحور المزدوجة التفعيلة و التي أخذ منها النحوي بحظ وافر نجد بحر " البسيط"، فقد تناوله الشاعر وعبر من خلاله عما يجده من اغتراب أحسن تعبير، فيقول في "ملحمة الغرباء":

أَنَا الْغَرِيبُ إِذَا فَارَقْتُ حَانِيَـــةً ∴ مِنَ الْكِتَابِ وَ آيَاتٍ مِنَ الْحِكَـــمِ

وَسُنَةً مِنْ رَسُولِ اللهِ مُشْرِقَـــةً ∴ وَصُحْبَةً مِنْ صَفِي الْعَهْدِ وَ الْذِمَـــمِ

---

[1] محمد منال عبد اللطيف: الصورة الفنية في شعر عمر أبي ريشة، ص 328.

[2] د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص125.

أَنَا الْغَرِيْبُ إِذَا جَاوَزْتُ مُعْـتَقَدِي ∴ وَرُحْتُ أَضْرِبُ فِي وَهْمٍ وَ فِي رُجُمِ
أَنَا الْغَرِيبُ إِذَا اسْتَسْلَمْتُ عَبْدَ هَوًى ∴ وَ عَرْبَدَتْ شَهَوَاتُ الْعُمْرِ مِلْءَ دَمِي
سَيَجْمَعُ الْغُرَبَـاءَ الْسَاحُ فِي لَهَبٍ ∴ وَ تَهْتَدِي فِطْنَةُ الأَلْبَابِ بِالْحِـكَمِ[1]

فتقطيع البيت الأول من هذه المقطوعة هو الآتي :

0///0//0/0/0///0//0// 0///0//0/0/0///0//0//

مُتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَعِلُنْ.

ففي الشطرين معا، نجد سوى التفعيلة الثالثة صحيحة، أما باقي التفعيلات فقد أصابها "الخبن".

وعلى نفس البحر يرثي النحوي الدكتور"نجيب الكيلاني"(رحمه الله) منوها بخصاله،مقارنا بينه وبين"نجيب محفوظ" فيقول :

للهِ دَرُ رِجَالٍ إِنْ قَضَوْا تَرَكُـوا ∴ عُمْرًا تَجَدَدَ فِي أَزْهَى نَوَاضِـرِهِ
وَ اسْتَقْبَلُوا مِنْ غُيُوبِ اللهِ زَاهِرَةً ∴ مِنَ الْحَيَاةِ وَ عُمْرًا فِي بَوَاكِـرِهِ
هُنَاكَ دَارُ خُلُودٍ عَزَ سَاكِنُهَـا ∴ وَطَابَ كُلُّ شَهِيٍ مِنْ خَوَاطِـرِهِ
شَتَانَ بَيْنَ" نَجِيبٍ" نَالَ أَوْسِمَـةً ∴ مِنَ الْهُدَى وَ"نَجِيبٍ" مِنْ جَرَائِرِهِ[2]

أما بحر" الطويل"، والذي جاء على وزنه ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم[*]، فيعد ثالث البحور المزدوجة، والتي تمثل وحدها نسبة (70%) من دواوين النحوي، مما يدل على أن شاعرنا قد حافظ على الموسيقى العربية الأصيلة بكل مقوماتها، كما يدل على تمكنه من بحور الشعر العربي فهو لا يعتمد على البحور السهلة إلا لماما... وعلى هذا البحر الذي وزنه الأصلي :

فَعُولُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيْلُنْ [3]

نظم شاعرنا درة من أغلى درره، وهي رسالة مفتوحة إلى كل مسلم أغرته الدنيا ببهرجها، فانساق وراءها، فاتحا ثغرة من الثغور أمام الأعداء المتربصين... وقد اختار لها قافية تسيل ليونة

---

(1) د.عدنان النحوي: مهرجان القصيد، ص 159-160.

(2) دعدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 134-135.

(*) ينظر د.إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 59.

(3) د.عمر الأسعد و زميله: علم العروض التطبيقي، ص 62

"الياء الممدودة بعد كسر" فكانت بحق نداء صادقا لمن كان له قلب، وقد زادها موسيقى"التصريع" طلاوة و موقعا من النفس، يقول فيها :

رُوَيْدَكَ!كَمْ هَيَجْتَ مِنِي أَمَانِيَـــا ∴ وَرَجَعْتَ مِنْ ذِكْرَى اللَيَالِي لَيَالِيَـا
فَنَاشَدْتُ مِنْ عَهْدِ الْوِدَادِ وَ صَفْوِهِ ∴ لَعَلَكَ تُصْغِي لِي فَمَا أَنْتَ بِصَاغِيَـا
لَهَوْتَ مَعَ الْدُنْيَا وَ غَرَكَ حَالُهَـا ∴ فَتَسْكُبُ أَحْلاَمًا وَ تَنْهَـلُ سَالِيَـا
إِذَا زِدْتُ فِي نُصْحِي تَزِيدُ ضَلاَلَةً ∴ وَ تُمْعِنُ فِي لَهْوٍ وَ تُدْبِرُ جَافِيَـا

أُخَيَ!أَلاَ تَصْحُو أَتَبْقَـى مُمَزَقًـا ∴ شَتِيتًا عَلَى الأَهْوَاءِ تَلْهَثُ جَارِيَـا
تَقَدَمْ! فَمَازَالَتْ لَدَيْنَـا بَقِيَـةٌ ∴ مِنَ الْعَزْمِ تَسْتَنْهِضْ عُصُورًا خَوَالِيَـا
هَلُمَ !فَمَازَالَتْ بَقِيَـةُ نَخْـوَةٍ ∴ إِذَا عَصَفَتْ هَزَتْ جِبَـالاً رَوَاسِيَـا
فَوَاعَجَبًا يَا دَارُ كَمْ هَزَكِ الْهَوَى ∴ وَكَمْ لَجَ فِي سَاحَاتِكِ الْشَوْقُ دَاعِيَا![1]

وتقطيع البيت الأول هو :

0//0//0/0//0/0/0//0/0// 0//0//0/0//0/0/0///0//

فَعُوْلُ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ

نلاحظ أن الشاعر"قبض" كلاّ من التفعيلة الأولى و العروض و الضرب أما باقي تفعيلات البيت فجاءت صحيحة.

كما يستخدم النحوي مجزوءات البحور بنفس الدقة لغرض تنويع موسيقاه الشعرية، ومن أقواله« على مجزوء الرمل » :

أَهُجُـــــودٌ وَ تَوَانِـــي ∴ أَمْ صِرَاعُ الْحَدَثَـــانِ
أَشْغَلَتْ عَزْمَكَ عَنْ نَيْـ ∴ ـلِ الْعُلاَ بِنْتُ الْزَمَـانِ
أَيْنَ مَا أَمَلْتَ مِـنْ حُلْـ ∴ ـمٍ وَ مَعْسُولِ الأَمَـانِي
أَيْنَ صَرْحٌ شِدْتَهُ فِي الْـ ∴ ـوَهْمِ خَفَاقَ الْجَنَـانِ[2]

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 87 و ما بعدها.

(2) د.عدنان النحوي: المصدر نفسه، ص 139.

فتقطيع البيت الأخير :

0/0//0/0/0//0/ 0/0//0/0/0//0/

فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُـــنْ فَاعِلاَتُنْ فَاعِلاَتُـــنْ

ويقول (على مجزوء الكامل) متأثرا بأحمد شوقي : (في الغزل):

مَـــنْ لِلْفُـــؤَادِ إِذَا رَحَلْـــ ∴ ـــتَ وَ مَنْ يَحِنُ وَ مَنْ يُعِينُهْ

عَصَرَ الْجَوَى يَـــوْمَ الْـــوَدَا ∴ عِ حَنَانُهُ فَجَـــرَتْ شُؤُونُـــهْ

عَيْنَاهُ تَنْطِـــقُ بِالْوَفَـــــا ∴ شَرَحَتْ مَعَانِيـــهُ جُفُونُـــــهْ

وَ شِفَاهُهُ كَـــادَتْ تَبَسْـــ ∴ ـــسَمُ وَ الْرِضَى كَادَتْ تُبِيْنُهْ [1]

وتقطيع البيت الأول هو :

0/0//0///0//0/// 0//0///0//0/0/

مُتْفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلُـــنْ مُتَفَاعِلُنْ مُتَفَاعِلاَتُـــنْ

فقد جاءت التفعيلة الأولى "مضمرة"، و الأخيرة "مرفلة".

ويعتبر بحر "المتدارك" أقل البحور تداولا لدى شاعرنا و وزنه الأصلي هو :

فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ

حيث لم ينظم على هذا الوزن سوى قصيدتين وردتا في ديوان "مهرجان القصيد" تشتركان في قافية "الهاء" يقول في الأولى :

رُبَ سَاعٍ مَضَى جَدَ فِي سَعْيِـــــهِ ∴ يَقْتَنِي زَادَهُ مِنْ جَنَى عُمْـــرِهِ

فَهْوَ للهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ سَعَـــــى ∴ وَهْوَ للهِ فِي الْسِرِ أَوْ جَهْـــرِهِ

لَمْ يَزَلْ يَجْمَعُ الْزَادَ فِي دَرْبِـــــهِ ∴ كَيْ يَرَى رَحْمَةَ اللهِ فِي قَبْرِهِ

حَبَذَا الْزَادُ زَادًا رَأَى خَيْـــــرَهُ ∴ فِي رِضَا نِعْمَةٍ أَوْ أَسَى فَقْرِهِ [2]

و يقول في الثانية و هي بعنوان "أرج الميدان" :

اللَّيْلُ! حَنَانُـــكَ يَجْمَعُـــهُ ∴ وَ يَزِيدُ الْشَوْقَ وَ يُوسِعُهُ

تَهْبُ إِلَيْكَ بَـــوَادِرُهُ ∴ وعَصِيُ الْدَمْعِ وَ طَيِعُـــهُ

---

[1] د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 265.

[2] د.عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 80.

وَ قِيَامُ الْلَيْلِ وَهُجْعَتُــهُ ∴ وَ نِدَاءٌ فِيْهِ يُرَجِعُــــــهُ

يَطْوِيْهِ الْلَيْلُ وَ يَنْشُــرُهُ ∴ عَزْمًا فِي الْسَاحَةِ يَدْفَعُــهُ[1]

فتقطيع البيت الأول هو :

0/// 0///0///0/0/ 0///0///0/0/0///

فعْلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ فَعِلُنْ

مشعثة مخبــونـــــة مخبونة مشعثة مخبون

وقد قمنا بإحصاء البحور المتداولة لدى النحوي في دواوينه الخمسة وهي تشمل حوالي (7000) بيت شعري موزعة على البحور حسب النسب المئوية التالية :

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) المصدر السابق: ص 106 .

الديوان	عدد الأبيات	البحور الصافية								البحور المزدوجة		
		المتدارك	السريع	الرجز	الرمل	المديد	الوافر	المتقارب	الكامل	الطويل	البسيط	الخفيف
الأرض المباركة	1118	-	%3.22	-	%4.92	%4.11	-	%7.50	%21.10	%4.11	%25.58	%29.42
موكب النور	1452	-	-	-	%2.41	-	%6.68	%2.90	%13.29	%9.22	%14.66	%50.82
مهرجان القصيد	2031	%2.80	%3.64	%3.74	%2.90	%5.75	%5.66	%11.61	%3.94	%18.02	%23.28	%18.66
جراح على الدرب	1117	-	%0.62	%0.36	-	-	%5.57	-	%25	%40.16	%09.61	%18.59
عبر و عبرات	1282	-	-	%4.44	-	-	%8.34	%3.82	%4.44	%21.45	%45.63	%11.85
المجموع	7000	%0.56	%1.5	%1.7	%2	%2	%5	%5	%13.5	%18.5	%23.8	%26

من خلال فحص الجدول السابق نخلص لما يلي :

1-ما يمثل نسبة (70%) تقريبا جاءت على أوزان البحور المزدوجة التفعيلة، مما يعني أن شاعرنا متمكن من علم العروض، فقد تمكن من ترويض البحور المزدوجة لتسلس له قيادها كالبحور الصافية تماما.

2-كل البحور التي تناولها الشاعر من النوع الطويل-دون استثناء-مما يدل على أن النحوي شاعر ذو نفَس طويل، وذو غنائية لأنّ« الموضوعات الغنائية تتطلب بحورا طويلة، ذات مقاطع منسابة تتوالى فيها المقاطع تواليا منسابا »[1]، غير أنّه في بعض الأحيان يتناول مجزوءات البحور وبخاصة "مجزوء الكامل" لغرض تنويع موسيقاه.

3-يمثل بحر"الكامل" أعلى نسبة في البحور الصافية، وقد استخدمه الشاعر في كل الدواوين بنسب مختلفة ، وهو أكثر البحور حركات (30 حركة)[*] ويصلح لجميع أغراض الشعر، كما يمتاز بحر الكامل« بإيقاع موسيقي هادئ رصين...ويتناسب والموضوعات الجادة التي تحتاج إلى نفَس طويل »[2].

ونخلص إلى أن الشاعر النحوي قد استفاد من الأوزان الشعرية غاية الاستفادة، وطوعها لأغراضه الشعرية حتى أذعنت له قيادها وبرهن على أن الشاعر الفحل لا يقف أمامه الوزن عائقا، بل يمنحه الرحابة ويعطيه نشوة تجعله يتدفق بالصور الموسيقية الحارة، وقد مزج الشاعر موسيقاه بعاطفته، فأعطى بذلك صورا موسيقية خالدة .

ب- القـــافيـــــة :

إن القافية ركن أساسي في موسيقى الشعر العربي،و قد عرفها الدكتور إبراهيم أنيس بقوله:« ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر، أو الأبيات في القصيدة »[3].

---

[1] د.محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 251.

[*] يُنظر د.عمر الأسعد: علم العروض، ص 91.

[2] د.محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، ص 249.

[3] د.إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 246.

أما الدكتور رجاء عيد فيعرفها بأنها« الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، فيكون أساسها "حرف الروي" وهو: الوحدة الصوتية التي تتكرر في آخر كل بيت من القصيدة، وإليه تنسب القصيدة كلها »[1].

وتعد القافية أشهر ما في البيت الشعري لما لها من علاقة وثيقة بالإيقاع الموسيقي وما له من أثر نفسي، فقد تنبه النقاد منذ القدم إلى أن القافية لتكرار رويها ووقوعها في آخر البيت تتيح القارئ فسحة من صمت تتجاوب فيه القافية في ذاكرته... فتتردد أصداؤها في الذهن، فإذا دلت على أمر كريه أورثت النفس ضيقا و تبرما، و إن دلت على أمر طيب أورثتها رضى...[*].

فهناك إذن وظيفة نفسية هامة تؤديها القافية و هي تعزيز الإيقاع و تقوية مفعوله السحري بالمعاودة و التكرار،لأن النفس الإنسانية تستجيب للإيقاع بفطرتها دون شعور منها، يقول الدكتور رجاء عيد مقررا هذه الحقيقة :« هناك تمازج بين الشعر وموسيقاه يحدد العلاقة بين الإيقاع الموسيقي وحركة نمو القصيدة وتدفقها في إطارها الفني لأن الإيقاع باعتباره حركة أحوال النفس في تدفقها الوجودي إنما هو نمط من الحركة... »[2].

وعلى الرغم من هذه الأهمية القصوى و الضرورة الملحة للقافية بالنسبة للشعر العربي ، كما يؤكد ذلك أغلب النقاد والأدباء[**]. إلا أننا واجدون –وكما هي العادة- من الحداثيين من يرفع عقيرته مناديا بالاستغناء عن القوافي جملة و تفصيلا، وماله من حجة في ذلك سوى أنها تقيد المعنى، وتحد من قدرة الشاعر على الإنثيال والتدفق في لحظة الإبداع، يقول عنها الشاعر نزار قباني :« ...فهي برغم سحرها وإثارتها نهاية يقف عندها الشاعر لاهثا، إنها اللافتة الحمراء التي

---

[1] د. رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 138.

[*] يُنظر حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 275 .

[2] د.رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 12.

[**] منهم :

* الأستاذ أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، ص 325.
* د.عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ص 79.
* د. صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري و القافية، ص 224.
* د.عدنان النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، ص 232.
* د. شكري عياد: موسيقى الشعر العربي، ص 104.

تصرخ بالشاعر"قف" حين يكون في ذروة اندفاعه وانسيابه فتقطع أنفاسه، وتسكب الثلج على وقوده المشتعل وتضطره على بدأ الشوط من جديد »[1].

غير أن الدكتور شوقي ضيف يدحض هذه الحجة بقوله :« وقد يقال إن القافية عبء ثقيل، وهو قول إن صدق على بعض اللغات لا يصدق على لغتنا لما تحمل من ثروة لفظية ضخمة تعين أكبر العون على تكرار قافية واحدة، وترادها على الأسماع، لا في عشرات السطور، بل في المئات، وإذا أحس الشاعر بمشقة في استخدام القافية الموحدة فأمامه القافية المنوعة »[2].

فحجة نزار ساقطة أصلا... وهناك زعم آخر للدكتور أحمد أمين يدعي فيه أن وحدة القافية كانت سببا في حرمان الأدب العربي من الملاحم الشعرية الطويلة ويدعو إلى التحرر من قيودها فيقول :« ... أما أن نخضع آذاننا للأوزان الجاهلية والقافية الجاهلية فحسب، فنوع من السجن لا يليق بأمة راقية تتحرر من القيود الثقيلة، وقد جنى هذا التقليد علينا جنايات كبرى تتصل بالموضوع، فالتقيد بالقافية حرمنا من الملاحم الطويلة التي كانت عند الأمم الأخرى ...لأن اللغة مهما غنيت بالمترادفات، لا تستطيع أن تقدم للشاعر مئات الكلمات على روي واحد وعلى حرف واحد »[3].

من أين للدكتور إثبات أن التزام القافية كان سببا في حرمان الأدب العربي من الملاحم والقصص الطويلة التي كانت عند الأمم الأخرى؟!.

أو بمعنى آخر، هل كان ترك القافية كفيلا بوجود ملاحم طويلة –كما يتصورها أحمد أمين– في الأدب العربي ؟! ثم من اشترط في ملاحم الأدب العربي أن يكون لها نفس طول ملاحم الأمم الأخرى؟! ثم من تكون هذه الأمم الأخرى غير "الإغريقيين" وما هي ملاحمهم إن لم تكن سوى ملحمتي "هوميروس" الشهيرتان وهما "الإلياذة" و"الأوديسا"...؟!.

إن آداب الأمم والشعوب تختلف في خصائصها ومكوناتها، وكان على الدكتور أحمد أمين وأمثاله أن يدركوا« أن للأدب العربي خصوصيته التعبيرية... وهي قناعة تدفع الناقد إلى التعامل معه بمنطق نقدي مغاير للمنطق الذي تعالج به آداب أخرى تميزت بأساليب تعبيرية فنية مغايرة،

---

(1) نزار قباني: الشعر قنديل أخضر، نقلا عن د. زكي العشماوي، دراسات في النقد الأدبي المعاصر، ص 128.

(2) د.شوقي ضيف: فصول في الشعر ونقده، ص 54 .

(3) د.أحمد أمين: فيض الخاطر، نقلا عن د. رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 317.

وإن كان العدد الأكبر من نقادنا العرب في هذا العصر لم يدركوا بعد هذه الحقيقة، فظلوا يطبقون على الأدب العربي نظريات و مبادئ غريبة عن طبيعته »[1].

ولعل أغرب النقاد المتحاملين على العزوض الخليلي وعلى القافية بالذات هو الدكتور عبد الله الغذامي في كتابه "الصوت القديم الجديد" فهو يحاول –عبثا– أن ينتزع من القدامى عدم احتفائهم بالقافية و أنها لا تعد من عناصر الشعر المهمة لأنهم –في زعمه– لم ينوهوا بها، فأخذ يحلل أقوالهم و تعريفاتهم على طريقة "السوفسطائيين" لتحقيق حاجة في نفسه، فهو يقول مثلا :« والذي يعنينا من تعريف قدامة للشعر بأنه (قول موزون مقفى يدل على معنى) قوله (مقفى) وهي كلمة شرحها قدامة قائلا : (وقولنا مقفى: فصل بين ما له من الكلام الموزون قواف، وبين مالا قوافي له ولا مقاطع) وهذا معناه أنه قد يأتي من الكلام الموزون ما هو غير مقفى، أي شعر يعتمد على الوزن دون القافية »[2].

وهذه مغالطة فجة لأن الكلام الموزون غير المقفى لا يعد شعرا حسب نفس التعريف، ولكن الدكتور يتجنى على العلماء ويقوّلهم مالم يقولوه في محاولة –يائسة– لتحقيق مآربه الشخصية... والحقيقة أن النقاد والأدباء لم يدخروا جهدا في دراسة موضوع القافية لما لها من أدوار أساسية في بناء الموسيقى الشعرية يقول أحد الباحثين «ومعرفة القافية و بحثها لا يقل في أهميته عن معرفة أجزاء البيت من الشعر ووزنه، وما قد يحدث في أجزائه من تغيير، لأن من جهل أصول القافية، تعرض لمخالفة النسق الذي رسم للشعر العربي عند ذوي الذوق السليم ».[3]

أما شاعرنا عدنان النحوي فيذهب أبعد من ذلك حين يقرر أن الوزن والقافية هما معيار التفرقة بين الشعر و النثر حيث يقول :« ...فالوزن و القافية أمران ثابتان أصلا وهما معيار التفرقة بين النثر و الشعر... »[4] وهو يحتفي بالقافية احتفاءه بالوزن الشعري فيقول :« ... أما القافية

---

[1] د. ريتا عوض: بنية الشعر الجاهلي، ص 40.

[2] د.عبد الله الغذامي: الصوت القديم الجديد، نقلا عن د. صابر عبد الدايم موسيقى الشعر العربي بين الثبات و التطور، ص 157.

[3] د.أمين علي السيد: في علمي العروض و القافية، ص 171.

[4] د.عدنان النحوي: الأدب الإسلامي إنسانيته و عالميته، ص 232

نفسها فشأنها شأن الوزن لا تدخل هي ذاتها في عمود الشعر، وإنما يدخل "اقتضاء اللفظ والمعنى للقافية" فالقافية أساس في طبيعة الشعر »[1].

يقول شاعرنا معبرا عن "غربته" حين ذوت جذوة "العقيدة" في قلوب الناس، فأصبحوا تعساء بعد أن كانوا أعزاء، قد استخدم قافية "الهمزة المسبوقة بمد" حتى يعبر عن مشاعره الجريحة فؤاده المكلوم، لأن من وظائف القافية« الأداء الشعوري، فهي لا تبلغ تأثيرها القوي إلا إذا ربطت بين الصوت والمشاعر ».[2]

لَسْتُ أَبْكِي تُرَابَهَا وَ مُرُوجًـــا ∴ نَضِبَتْ أَوْ حِجَارَةً صَمَّـــاءْ
إِنَّمَا أَنْدُبُ الْعَقِيدَةَ تَـــذْوِي ∴ فِي نُفُوسٍ تَعِيسَةٍ وَ الإِبَـــاءْ
مَا هَجَرْنَا دِيَارَنَا غَيْرَ أَنَّـــا ∴ قَدْ هَجَرْنَا الْعَقِيدَةَ الْسَمْحَـــاءْ
لَفَظَتْنَا الْدِيَـــارُ إِذْ ذَاكَ لَفْظًـــا ∴ وَ أَحَالَتْ كِرَامَنَا غُرَبَـــاءْ [3]

ومن النماذج التي برزت فيها قدرة النحوي على انتقاء قوافيه، وأنها نابعة من صميم فؤاده، قصيدة بعنوان "رسالة المسجد الأقصى إلى المسلمين" وفيها استخدم أسلوب "التشخيص" حتى يعطي الموسيقى جرسا خفيا تزداد به ثراء وحركة، ولأن غرض القصيدة "حماسي" —حتى يلهب مشاعر المسلمين– فقد اختار لها "العين" كحرف روي، والعين حرف مجهور يتناسب و غرض الحماسة. أما الوزن فجاءت القصيدة على بحر "الطويل"، ولعل كثرة مقاطع هذا البحر هو السر في اختياره حتى يصب فيه من أشجانه ما ينفس عنه كروبه وأحزانه... وفيها يقول:

أَنَا الْمَسْجِدُ الأَقْصَى! وَ هَذِي الْمَرَابِعُ ∴ بَقَايَا وَ ذِكْرَى !وَ الأَسَى وَ الْفَوَاجِعُ
لَقَدْ كُنْتُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَدِيْعَـــةً ∴ عَلَى الْدَهْرِ مَا هَبُّوا إِلَـــيَّ وسَارَعُـــوا
فَمَا بَالُ قَوْمِي اليَوْمَ غَابُوا وَ غُيِّبُـــوا ∴ وَ مَا عَادَ فِي الآفَاقِ مِنْهُـــمْ طَلاَئِـــعُ
وَ كَانَ يُدَوِي فِي الْمَيَادِينِ جَوْلَـــةٌ ∴ فَصَارَ يُدَوِي بِالْشِعَـــارَاتِ ذَائِـــعُ
يَقُولُونَ "تَحْرِيرٌ" وَيُجْرُونَ صَفْقَـــةً ∴ عَلَيْهَا شُهُودٌ ضَامِنُـــونَ وَ بَائِـــعُ
فَيَا أَيُّهَا الأَقْصَى أَنِينُكَ مُوْجِـــعٌ ∴ تَهِيْجُ بِهِ بَيْنَ الْضُلُـــوعِ الْفَوَاجِـــعُ

---

[1] د.عدنان النحوي. الحداثة في منظور إيماني. ص 216-217

[2] د.عبد الفتاح صالح نافع. عضوية الموسيقى في النص الشعري. ص 79

[3] د.عدنان النحوي. ديوان الأرض المباركة. ص 125

حَنِينُكَ أَصْدَاءُ الْعُصُورِ وَ لَهَفَـــةٌ ∴ فَصَبْرًا وَ مَا يُدْرِيكَ مَا اللهُ صَانِعُ
فِلَسْطِينُ حَقُّ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِـــمْ ∴ وَ هَذَا كِتَابُ اللهِ بِالْحَقِّ سَاطِـــعُ[1]

أما حين هَدأ ثورة النحوي - و قيلا ما هَدأ- فهو يتأنق في الوصف فيجيد. فحين يصف "صفد" مسقط رأسه، وقد شده الحنين إليها، واستبدت به الذكرى، فاختار لها قافية "الدال المكسورة" حتى تعبر بصدق عن انكسار عاطفة الشاعر فيقول :

صَفَدٌ عَرُوسُ الدَّهْرِ دُونَكِ فَانظُرِي ∴ هَذِي وُفُودُ حَوَاضِرٍ وَ بَوَادِي
تَسْعَى إِلَيْكِ مِنَ الشَّامِ شَوَامِـــخٌ ∴ وَ جِبَالُ لُبْنَانَ عَلَى مِيعَـــادِ
وَالسَّهْلُ وَ النَّهْرُ الْبَدِيعُ وَخُضْـــرَةٌ ∴ أَلْقَتْ كَأَسْوِرَةٍ لَهَا بِزِنَـــادِ
وَالْجَرْمَقُ الْخَفَاقُ لُؤْلُؤَةٌ عَلَـــى ∴ تَاجٍ وَدُرَّةُ قَدِكِ الْمَيَـــادِ
يَا خَفْقَةَ الأَبْنَاءِ ! يَا دَمْعَ الْحَـيَا ∴ يَا مُهْجَةَ الآبَاءِ وَ الأَحْفَـادِ
صَفَدٌ وَأَنْتِ مَعَ الْعُلاَ فِي مَوْعِـدٍ ∴ مَوْصُولَةَ الأَمْجَادِ بِالأَمْجَـادِ[2]

وعلى الرغم من قلة ورود حرف "الهاء" في أواخر الكلمات العربية كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس[*] إلا أن النحوي يستخدم قافية الهاء لتمكنه من ناصية اللغة، فقد كانت تواتيه في كل حين، وهاهو يعبر عن اغترابه في هذا الزمن العصيب، بعد أن تنكر له الصحب والخلان، يقول على بحر "الطويل" الذي يجد فيه متنفسه :

أَغَابَ زَمَانٌ كَانَ يَحْلُو دَوَامُـــهُ ∴ وَ جَاءَ زَمَانٌ لاَ تُعَدُّ مَعَايِبُـــهْ
تَوَارَتْ بِهِ الآسَادُ خَلْفَ حِيَاضِهَا ∴ أَطَلَّتْ عَلَى الآجَامِ فِيهِ أَرَانِبُهْ
فَذَاكَ صَدِيقٌ كُنْتَ تَرْجُو وَفَاءَهُ ∴ تَنَمَّرَ وامْتَدَّتْ إِلَيْكَ مَخَالِبُـــهُ
وذَاكَ خَلِيلٌ كُنْتَ تَأْمَنُ جَنْبَـــهُ ∴ تَقَلَّبَ أَفْعَى فَانْبَرَيْتَ تُجَانِبُـــهْ
وذَاكَ عَزِيزٌ كُنْتَ تَشْهَدُ عِـــزَّهُ ∴ فَصَارَتْ عَلَى ذُلٍ تَنَامُ جَوَانِبُهْ
وذَاكَ خَلِيٌّ قَدْ أَمِنْتَ صِلاَتَـــهُ ∴ تَكَشَّفَ مِنْهُ خُبْثُهُ وَ غَيَاهِبُـــهْ
فَهَذِي حَيَاةٌ قَدْ بَلَوْتَ غِمَارَهَا ∴ وَهَذَا زَمَانٌ قَدْ أَتَتْكَ عَجَائِبُـــهْ

---

[1] د.عدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 78.

[2] د.عدنان النحوي: ديوان الارض المباركة، ص 158-159.

[*] يُنظر د.ابراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 253.

هُوَ اللهُ رَبُّ الْكَوْنِ دَبَرَ أَمْـــرَهُ ∴ وَ كُلُّ الذي تَلْقَى سَتَبْدُو عَوَاقِبُهُ[1]

وكما يلتزم شاعرنا بالشكل العمودي في أوزانه الشعرية، فهو يلتزم بوحدة القافية في قصائده، وهذا على الرغم من طولها النسبي، الذي قد يصل إلى المئات من الأبيات كقصيدة "دوي التاريخ"[2] على بحر "الطويل" والتي اختار لها قافية "التاء المكسورة بعد مد".

وقصيدة "النواعير"[3] على بحر "الخفيف"، وقصيدة "وردة ودماء"[4] على بحر "الكامل"، وقيصدة "هي النجاة أدركيها"[5] على بحر "المديد" و رائعة "لم يبق في عرفات إلا دمعة"[6] على بحر "الكامل"، والتي وقف فيها واستوقف، وبكى واستبكى، وتألم لغربة المسلمين في حاضرهم العجيب، فهو يسأل الأقطار الإسلامية عن عزها الغابر فيسأل الصين عن "قتيبة بن مسلم الباهلي"، ويسأل كل قطر عن فاتحه ويذكره به، وقد نجح الشاعر إلى حد بعيد في إثراء قصيدته بما تستدعيه الموسيقى الداخلية من أساليب كالتشخيص والتصريع والنداء والتكرار وكل المحسنات البديعية التي تزيد الموسيقى رونقا وحركة...

أما القافية فقد اختار "النون" رويا "لها"، "والنون لأمر ما تسمى بالحرف النواح"[7] وتذكرنا نونية النحوي هذه بنونية "ابن قيم الجوزية" الشهيرة والتي يقول في مطلعها :

يَا خَاطِبَ الْحُـورِ الْحِسَـانِ وطَالِبًـا ∴ لِوِصَالِهِنَ بِجَنَّـــةِ الْحَيَـــوَانِ

لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْـ ∴ ـــتَ بَذَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الأَثْمَانِ[8]

يقول النحوي في رائعته :

يَا دَارُ مَا بِكِ! هَزَّكِ الْحِرْمَـــانُ ∴ وَ عَرَاكِ مِنْ ذِكْرَى الشَهِيدِ حَنَانُ

فَكَأَنَ أَرْضَكِ لَمْ تَعُدْ تَلْقَى الفَتَى ∴ يَمْضِي يُبَارِكُ شِلْوَهُ الرَحْمَـــانُ

عَجَبًا وَ حَوْلَكِ عُصْبَةٌ عَطَافَـةٌ ∴ وَ عَلَى رُبَاكِ مَصَارِعٌ وَسِنَـــانُ

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان الارض المباركة، ص 230-231.

(2) د.عدنان النحوي: ديوان جراح على الدرب، ص 136 و ما بعدها.

(3) المصدر نفسه: ص 90.

(4) المصدر نفسه: ص 67

(5) د.عدنان النحوي: ديوان مهرجان القصيد، ص 109.

(6) المصدر نفسه: ص 197 .

(7) د.رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص 10.

(8) د.حسيني علي رضوان إبراهيم: من معالم الأدب الإسلامي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع5 ص345.

أَحْنَتْ مَنَائِرَهَا الْهِضَابُ تَفَجُّعًـا ∴ وبَكَى عَلَى فُرْسَانِهِ الْمَيْـــدَانُ

رُدِي رَوَابِي الصِينِ أَيْنَ قُتَيبَـــةُ ∴ وَالسُورُ تَنْهَدُ حَوْلَهُ الفُرْسَـــانُ
رُدِي رَوَابِي الْهِنْدِ أَيْنَ شَرِيْعَةُ الرْ ∴ رَحْمَانُ مِنْ سُلْطَانِهَا الْسُلْطَـانُ
دَارُ السَلاَمِ وَ أَيُ لَحْنٍ لَمْ يَكُـنْ ∴ شَكْوَى بِدَارِكِ إِنْ شَدَتْ بَغْدَانُ
يَا تُونَسُ الْخَضْرَاءُ عَهْدِي بِالْهَوَى ∴ صَافٍ وَ عَهْدِي فِي الرُبَى رَيْحَانُ
مَـا بَالُ أَنْدَلُسٍ تَجِفُ وُرُودُهَـا ∴ شَجَنًا ! أَصَوَحَ عِنْدَهَا الْبُسْتَـانُ

وَتَلَفَتَ الأَقْصَى لِمَكَةَ لَوْعَـــةً ∴ أُخْتَاهُ! تَنْهَشُ أَضْلُعِي الغِرْبَـانُ
أُخْتَاهُ !أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ وَحَشْدُهُمْ ∴ أَيْنَ الْمَلاَيِينُ الْغُثَاءُ !أَهَانُـــوا ؟
أُخْتَاهُ !وانْقَطَعَتْ حِبَالُ نِدَائِـــهِ ∴ وَ اغْرَوْرَقَتْ مِنْ دَمْعِهِ الأَجْفَانُ
وهَوَتْ مَعَاوِلُ كَيْ تَدُقَ حِيَاضَهُ ∴ وَ هَوَتْ عَلَى أَمْجَادِهِ الْجُدْرَانُ[1]

غير أنه في قصائد قليلة جدا، نجد النحوي ينوع قافيته كما في قصيدته "قصور وأكواخ" وهي نموذج من الشعر القصصي المشطور وقد بلغت (392) شطرا، وهي من النوع "المربع" وقد نظمها الشاعر على بحر "الخفيف"، وهي في عمومها قصة شبيهة بقصة "مؤمن آل فرعون" وهذه بعض مقاطعها :

فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ أَمْضِي وَ أُرْسِي
حَيْثُمَا كُنْتُ... عِبْرَةً وَتَأَســـي
مَوْكِبٌ سَارَ فِي مَطَافٍ وَقُـدْسِ
حَمَلَ الْوَرْدَ مِنْ أَزَاهِيرِ عُـــرْسِ

قَامَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَ أَوْمَضَ عَزْمَـــا
مُؤْمِنٌ هَبَ لِلَـذِي هُوَ أَسْمَـى
حُبُهُ اللهُ شَقَ دَرْبًا وَ أَدْمَـــى

---

(1) د. عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 197 و ما بعدها.

وَ رَأى جَنَةً وَ أَبْصَرَ نُعْمَـــــــى

المؤمن :

سَيِدَ الْقَصْرِ... !خَيَمَ الْجَهْلُ فِينَا
هَلْ لَنَا مِنْ مَعَاهِدَ تُؤْوِينَـــــــا
نَعْرِفُ اللهَ عِنْدَهَا والْيَقِينَـــــــا
نَعْرِفُ الْحَقَ..والْهُدَى ..والْدِينَا

الزعيم :

وَمَضَى سَائِلاً، تُرَى مَنْ يَكُونُ ؟
مَنْ وَرَاءَ الْفَتَى... وأَيْنَ الْعُيُونُ ؟
أَيُ شَيْءٍ يَقُولُهُ الْمَأْفُـــــونُ ؟
اقْتُلُوهُ... فَإِنَهُ مَجْنُـــــــونُ
اذْبَحُوهُ... وهَذِهِ السِكِـــــينُ

الزوجة :

قَتَلُوهُ ...! فَمَنْ هُمُ... ؟ قَتَلُـــوهُ!
الأَعَادِي هُنَاكَ... هَلْ صَرَعُـــوهُ؟
الْيَهُودُ الغُزَاةُ... هَلْ طَعَنُـــــوهُ؟
أَيُ مُسْتَعْمِرٍ ...؟ وأَيْـــــنَ ذَوُوهُ؟

الفتى :

هَوِنِي... أَحْسِنِي بِرَبِكِ ظَنَـــــا
مَا قَضَى مَنْ مَضَى وأَوْرَثَ يُمْنَا
ورَوَى الْحَقَ مِنْ دِمَاهُ وأَغْنَـــى
ومَضَى لِلْجِنَانِ يَطْلُبُ حُسْنَـــى[1]

ومن القصائد النادرة التي ينوع فيها شاعرنا قوافيه قصيدة "غياب"[2] وقصيدة "أخي"[3]،

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 145 وما بعدها.

(2) المصدر نفسه: ص 105.

(3) د.عدنان النحوي: الأرض المباركة، ص 165.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثم قصيدة "مخمسة" "سقوط صفد"[1] وغيرها.

والحاصل أن النحوي قد أحسن انتقاء القوافي فجاءت متوافقة مع الجو النفسي للشاعر، وأخص بالذكر حالة الاغتراب التي يعانيها، و لم يكن ينوع قوافيه –إلا قليلا- على طول قصائده، وهذا دليل على ثراء معجمه اللغوي، وعلى تمكنه من شوارد اللغة ينفق منها كيف يشاء هذا وقد خلت قوافيه من عيوب "الروي" و"الإيطاء" و"التضمين".

3- الموسيقى الداخلية :

وهي تعني الإيقاع الخفي، الناتج عن طريقة التعبير، كمد الحروف وتكرارها، أو عن استعمال حروف مهموسة أو مجهورة تتجاوب مع الإطار الموسيقي العام للقصيدة، وقد عرفها الدكتور رجاء عيد بقوله :« ونعني بها قدرة الفنان الشاعر على إقامة بناء موسيقي يتكون من إيحاءات نفسية تعلو أو تهبط تقسو أو ترق تنفصل أو تتحد لتكون في مجموعها لحنا متسقا أقرب إلى الإطار السمفوني ».[2]

أما الدكتور شوقي ضيف، فيعطي للموسيقى الداخلية من الأهمية ما يجعلها ميزة يتمايز بها الشعراء فيقول عنها :« ووراء هذه الموسيقى الظاهرة (يعني الموسيقى الخارجية) موسيقى خفية تنبع من اختيار الشاعر لكلماته، وما بينها من تلاؤم في الحروف والحركات، وكأن للشاعر أذنا داخلية وراء أذنه الظاهرة تسمع كلّ شكلة وكلّ حرف، وكلّ حركة بوضوح تام، وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء» [3].

والموسيقى الداخلية تراعي العلاقة بين وقع الكلام والحالة النفسية للشاعر يؤكدها سيد قطب في قوله «ليس المقصود هو رونق اللفظ أو جزالته ولا قوة الإيقاع أو حلاوته، إنما المقصود هو التناسق بين طبيعة التجربة الشعورية و طبيعة الإشعاع الإيقاعي والتصويري للفظ، بحيث يتسق الجو الشعوري و الجو التعبيري» [4].

ونجد في الآونة الأخيرة زيادة في اهتمام الدارسين بالموسيقى الداخلية ولعل السر في ذلك يرجع إلى كون الشعر الجديد بدأ يزهد في الموسيقى الخارجية المعتمدة على الأوزان الخليلية ووحدة

---

(1) المصدر نفسه: ص 105

(2) د.رجاء عيد: التجديد الموسيقي في الشعر العربي،ص 10.

(3) د.شوقي ضيف: في النقد الأدبي، ص 97.

(4) سيد قطب: النقد الأدبي أصوله و مناهجه، ص 71 .

القافية، ويعول كثيرا على الموسيقى الداخلية. وقد حاول هؤلاء الدارسون تحديد بعض العناصر التي تبرز صورة الموسيقى الداخلية، وتوضح خفاياها – رغم صعوبة المهمة- ومن هذه العناصر نذكر :

أ-التكرار :

هناك خطأ شائع مفاده أن التكرار ظاهرة خاصة بالشعر الجديد ويعللون ذلك بكون شعر التفعيلة المتحرر من نظام الشطرين، يجعل إمكانية التكرار متيسرة دون الإخلال بالوزن أو بموسيقى الشعر...[*].

وللتكرار آثار نفسية وشعورية كبيرة، فهو يعكس مدى متعة الشعور بالعبارة المكررة «تلك المتعة التي تحسها حين تسمع مرتين صوتا واحدا أي جرسا بعينه » [1]. وللشعراء ولوع غريب بالتكرار لتحقيق الإيقاع الموسيقي المنشود، حتى يتم التأثير في الملتقي، وقد بلغ بهم الولوع به حدا جعلهم يكررون الحرف، والكلمة ، والجملة، والنداء، والاستفهام، والتمني، والاستغاثة، والندبة... وتكرارهم لهذه الأساليب الإنشائية إنما يعود إلى الانفعال العاطفي أو مدى سيطرة العبارة المكررة على نفسية الشاعر وعاطفته...

والنحوي من الشعراء الذين يحسنون استخدام هذا العنصر في موضعه اللائق، فلا نحس نشازا في العبارة المكررة ولا اضطرابا، ففي أحد الأعياد، تحركت شجون شاعرنا نحو بلده "المفقود" وأحس بالغربة والحنين نحوه، فقال على بحر "الخفيف" قصيدة حزينة بعنوان "عيد في فلسطين" مكررا حرف الاستفهام "هل" ست مرات :

هَلْ هَفَا القَلْبُ حِينَ مَرَتْ به الذِكْـ ∴ ـرَى وعَادَ التَحْنَانُ والتَغْرِيـدُ
هَلْ شَجَاهُ خَفْقُ البُنُودِ إذَا مَـا ∴ رَجَعَتْ خَفْقَهَا هُنَالِكَ بِيْـدُ
هَلْ شَجَاهُ أَعْطَافُ مُلْكٍ تَنَـاءَتْ ∴ حِينَ كَانَ الإسْلاَمَ مِنْهَا العَمُـودُ
هَلْ رَأَى الْمُلْكَ حِيْنَمَـا ثَبَتَ الْمُلْـ ∴ ـكَ جِهَادٌ مِنْ أَهْلِهِ مَحْمُـودُ
هَلْ بَكَى الرَوْضَ حِيْنَمَا اقْتُطِفَ الزَهْـ ∴ ـرُ وَلَمَا قَدْ جَفَ مِنْهُ العُـودُ

(*) يُنظر مجلة الأزهر. ج6 مج 25 ص 735 و ما بعدها.

(1) د.محمد فتوح أحمد الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر ص 404

هَلْ بَكَى الصَرْحَ حِينَ أَوْدَى بِهِ الدَهْـ ∴ ـرُ وَ أَوْدَتْ بِسَاكِنِيهِ الْجُدُودُ[1]

وحينما يكتب إليه صديق من "الأردن" تتحرك الذكرى ويحس بألم النزوح يعصر فؤاده، فيرد عليه بهذه القصيدة على بحر"السريع" وقد جاء فيها:

جُرْحَانِ: نَحْمِلُ مِنْ نَزِيفِهِمَـا ∴ أَلَمًا يَجُذُ الرُوحَ والْجَسَـدَا
جُرْحَانِ: يَعْتَصِرُ الأَسَى بِهِمَـا ∴ عُمْرَ الفَتَى والشَيْخَ والوَلَـدَا
جُرْحَانِ: جُرْحٌ غَارَ فِي جَسَدٍ ∴ رَوَتْ دِمَاهُ مَرَاقِدَ الشُهَـدَا
وَكَذَاكَ جُرْحٌ غَارَ فِي شَرَفٍ ∴ وَيَدُ النُزُوحِ تَدُورُ فِيهِ مُدَى[2]

لقد كان لتكرار عبارة "جرحان" موسيقى حزينة حولت القطعة إلى بركة من الدماء، وأثرت المعنى أيما إثراء، فالتكرار« يستطيع أن يغني المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إن استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة، ويستخدمه في موضعه »[3].

ويتبرم الشاعر من الحضارة المادية، التي سرقت من الإنسان أغلى ما فيه، سرقت منه فطرته وروحه وإيمانه،وأوهمته بأنه كتلة من طين:

كَمْ مِنَ النَاسِ لَمْ يَرَوْا فِيكَ إِلاَ ∴ صَخْرَةً أَظْلَمَتْ وكُتْلَـةَ طِيْنِ
سَرَقُوا مِنْكَ نُورَكَ الْمُتَلاَلِـي ∴ سَرَقُوا رَعْشَةً وَخَفْـقَ حَنِينِ
سَرَقُوا دَعْوَةً وَ هَمْسَ صَـلاَةٍ ∴ سَرَقُوا مِنْكَ كُلَّ شَـيْءٍ ثَمِينِ
سَرَقُوا نَبْضَةَ الْحَيَاةِ،أَمَاتُـو ∴ هَا عَلَى ظُلْمَةٍ ومَـوْجِ فُتُـونِ
سَرَقُوهَا مِنَ النُفُوسِ مِنَ القَلْـ ∴ ـبِ وَمِنْ فِطْرَةٍ وَنُورِ عُيُـونِ
سَرَقُوهَا مِنَ الضِيَاءِ وَرَاحُـوا ∴ دَفَنُوهَا فِي ظُلْمَةٍ مِنْ سُجُـونِ
أَيُ تِيهٍ يَلُفُهُمْ وَ ضَـلاَلٌ ∴ أَيُ كِبْرٍ مِنَ الْهَوَى مَجْنُـونِ
أَيُ كِبْرٍ أَذَلَ مِنْ كِبْرِ كَفَـا ∴ رٍ وأَشْقَى مِنْ مَكْرِهِ الْمَفْتُـونِ[4]

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 82.

(2) د. عدنان النحوي: المرجع نفسه، ص 114.

(3) نازك الملائكة: قضايا الشعر العربي المعاصر، ص 263-264.

(4) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 58-59.

ب-المحسنات البديعية :

وهي من أهم عناصر الموسيقى الداخلية، لعنايتها بجرس الحروف، ووقع الألفاظ في الأسماع، ويعتبر البديع ضرورة من ضرورات الموسيقى الشعرية شريطة ألا يتحول إلى غاية مقصودة لذاتها، يقول عنه أحد الدارسين:« البديع وثيق الصلة بموسيقى الألفاظ، فهو تفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم و موسيقى وحتى يسترعي الآذان بألفاظه كما يسترعي القلوب والعقول بمعانيه »[1].

ومن ألوان المحسنات البديعية، ما اصطلح عليه في البلاغة العربية بـــ :"التصريع"، وقد عرفه صاحب "العمدة" بقوله :« التصريع مبادرة الشاعر القافية، ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، لذلك وقع في أول الشعر »[2].

وقد عد النقاد التصريع قافية داخلية تعزز القافية العامة للقصيدة، أو هو لون من ألوان التكرار الموسيقي، و قد أشرنا إلى ما يضفيه التكرار من متعة على النفس، يقول صاحب"المنهاج" « ...فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة و موقعا من النفس لاستدلا لها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج صيغتي العروض والضرب وتماثل مقطعيها لا تحصل دون ذلك »[3].

ويعد النحوي من الشعراء الذين يحرصون على تحسين أشعارهم، وتلوينها بمختلف ألوان البديع فهو يصرع بداية قصائده حتى يعطيها دفعة موسيقية قوية منذ البداية، فمثلا يقول في قصيدة "دم الجزائر فوار بساحتها":

أُصْمُتْ !فَمَا عَادَ يُجْدِي عِنْدَهُ الكَلِمُ ∴ ولَسْتُ أَدْرِي: عَمًى أَعْيَاهُ أَمْ صَمَمُ[4]

وقد يستعمل النحوي التصريع في أكثر من بيت، كما في قصيدة "أرج الميدان" وهي من بحر "المتدارك" يقول في مطلعها :

اللَّيْلُ!حَنَانُكَ يَجْمَعُهُ ∴ وَ يَزِيدُ الشَوْقَ وُيُوسِعُهُ

وَتَهُبُّ إِلَيْكَ بَوَادِرُهُ ∴ وَ عَصِيُ الدَمْعِ وَ طَيِعُهُ

---

(1) د.عبد الفتاح صالح نافع: عضوية الموسيقى في النص الشعري، ص 29.

(2) ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر و نقده، ج1، ص 174.

(3) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص 283.

(4) د.عدنان النحوي: ديوان عبر و عبرات، ص 60.

وَ قِيَامُ اللَّيْلِ وَ هُجْعَتُهُ ∴ وَ نِدَاءٌ فِيهِ يُرَجِعُـــهُ[1]

وفي قصيدة"عرائس وجواهر" على بحر "البسيط" يقول النحوي:

عَرَائِسَ الشِعْرِ..!صُوغِي مِنْ جَواهِرِهِ ∴ وَ رَجِعِي اللَحْنَ مِنْ أَحْلَى مَزَامِرِهِ
وَفَوحِي بِالشَذَى فِي زَهْوِ مَوْكِبِـــهِ ∴ مُضَمَخًا بِنَدِي مِنْ مَجَامِـــــرِهِ
هُنَا الأُخُوَةُ صَفْوٌ مِنْ مَنَابِعِـــــهِ ∴ تَرْوِي وَ تَسْكُبُ رَيًا مِنْ مَزَاهِرِهِ[2]

ومن المحسنات البديعية التي تناولها شاعرنا "الطباق" ولعل لجوءه إلى هذا المحسن البديعي- بالإضافة إلى العامل الموسيقي-راجع إلى انقلاب الموازين في هذا العصر النكد، حيث أصبح "الاستسلام" "سلاما"، والهزيمة"نصرا"،والذود عن الحمى "إرهابا"...يقول النحوي:

مَدَافِعُ القَوْمِ صَوْتٌ لاَ لَهِيبَ لَـــهُ ∴ ومِدْفَعُ الكُفْرِ نَارُ الْمَوْتِ والعَطَـــب
رُدِي رُبَى "النِيْلِ"هَلْ فِي الدَارِ نَائِحَةٌ ∴ أَمْ أَنَّ هَذِي لَيَالِي الأُنْسِ والطَرَبِ؟![3]

فمن العجب العجاب، أن كل معركة خسرت فيها الجيوش العربية مع إسرائيل إلا وأهتها بالغناء و الطرب لتوهم شعوبها بأنها هي المنتصرة !!.

ومن أروع مقابلات النحوي "سينيته" التي يعارض فيها "سينية البحتري"[*] وهي عتاب لصديق حضر حفلا ماجنا، فقال النحوي يعاتبه:

لَمْ تَعُدْ لِلإِلَهِ "عَبْدًا"تَقِيًـــــا ∴ صِرْتَ عَبْدًا لِكُلِّ فِسْقٍ وَبُـــــؤْسِ
كَانَ ظَنِي بِأَنَ "سَعْدًا"دَعَاكُمْ ∴ فَإِذَا بِالذِي دَعَا وَجْهُ نَـحْـــــسِ
وإِذَا "بِالْبَشِيرِ"ضَيَـــعَ آمَـــــا ∴ لاً وَ"فَرْحَاتُنَـــا" تَصِيرُ لِتَعْـــــسِ
وَ"السَلِيمُ" الذِي عَرَفْتَ عَلِيلٌ ∴ ضَاعَ"صَحْبٌ" وَ مَا دَرَى..!وَيْحَ نَفْسِي[4]

ومنها " الجناس"وهو« تردد الأصوات في الكلام وما يتبع هذا من إيقاع موسيقي تطرب له الآذان و تستمتع به الأسماع »[5] ومنه "التام" كقول النحوي :

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان مهرجان.القصيد، ص 106.

(2) د.عدنان النحوي: ديوان جراح على الدرب، ص 39.

(3) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 178.

(*) البحتري: ديوان البحتري، مج1، ص 190.

(4) د.عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 216

(5) د.إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر، ص 45.

وَ سَقَوْكَ مِنْ مَاءِ الْحَيَاةِ حَيَاتَهُمْ ∴ لَمَا ظَمِئْتَ وَ قَدْ يَعِزُ الْمَشْرَبُ[1]

وقوله أيضا :

هُنَالِكَ مُزِقُوا مِزَقًا وَتَاهُـــــوا ∴ عَلَى عِصْيَانِهِمْ ذُلاً مُهِينَـــا[2]

وهناك "الجناس الناقص" كقول النحوي (في وصف مسقط رأسه):

يَا زَهْرَةَ اللَوْزِ الشَهِي وَطَلْعَةَ النْـــ ∴ ـــنَوْرِ البَهِي وَ غَرْسَةَ الأَجْـــدَادِ[3]

وقوله أيضا:

يَا قَصِيَ الْمَزَارِ يَا نَائِيَ الـــــــدَا ∴ رِ وَيَا لاَجِئًا إِلَى رَحْمَانِـــــهِ[4].

ومنها " الترصيع" وهو" تسجيع الحشو في البيت"[5] فيتولد عن ذلك نغم خاص يساهم في هز وجدان المتلقي وإثارة عاطفته، يقول الدكتور ابراهيم أنيس :« ومجئ هذا النوع في الشعر يزيد من موسيقاه وذلك لأن الأصوات التي تتكرر في حشو البيت مضافة إلى ما يتكرر في القافية أشبه بفاصلة موسيقية متعددة النغم مختلفة الألوان يستمتع بها من له دراية بهذا الفن ويرى فيها المهارة والمقدرة الفنية »[6].

وقد استخدم النحوي هذا المحسن البديعي لتنويع موسيقاه، يقول في قصيدة "ربى الأقصى" وهي على بحر "الوافر".

رُوَيْدَكَ...!قُمْ وَ قَاسِمْنَا الأَنِينَـــــا ∴ هَلُمَ وَدَعْ جَهَالَةَ جَاهِلِينَـــا

رُوَيْدَكَ...! دَعْ هَوَى دَعْدٍ وهِنْـــدٍ ∴ وَهُبَ وَ أَنْجِدِ الطَلَلَ الْحَزِينَا[7]

ويقول في مقطوعة بعنوان "ضياع" وهي على بحر "البسيط" يبين فيها ضياع كثير من المسلمين في المظهر حين أضاعوا الجوهر:

---

(1) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 99.

(2) د.عدنان النحوي: موكب النور، ص 48.

(3) د.عدنان النحوي: ديوان الأرض المباركة، ص 155.

(4) المصدر نفسه: ص 219.

(5) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص 350.

(6) د.ابراهيم انيس: موسيقى الشعر، ص 45 .

(7) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 39.

أَرْخَوْا هَوَاهُمْ وَ مَدُوا مِنْ "مَسَابِحِهِمْ" ∴ وَ زَيَّنُوا مِنْ مُسُوحِ الكِبْرِ والبَطَرِ
وتَمْتَمُوا حَلَقَاتِ الذِكْرِ لاَهِيَةً ∴ نُفُوسُهُمْ وغَفَوْا فِي نَاعِمِ السُرُرِ
وفَلْسَفُوا كُلَّ تَقْصِيرٍ ومَعْصِيَةٍ ∴ بِمَنْطِقٍ عَاجِزِ التِبْيَانِ مُحْتَقَرِ (*)
لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ أُمُورِ الدِينِ بَيِنَةً ∴ إلاَ رَمَوْهَا عَلَى تِيْهٍ مِنَ الْفِكَرِ
ثُمَ ادَعَوْا نَسَبًا لِلْدِينِ ويْحَهُمُ ∴ وَشَائِجُ الدِينِ تَقْوَى القَلْبِ والفِطَرِ
وهِمَةٍ نَهَضَتْ للهِ صَادِقَةً ∴ ولَمْ تُوَلِ الْعِدَى فِي الرَوْعِ مِنْ دُبُرِ
تَمَسَكَتْ بِكِتَابِ اللهِ وَ اعْتَصَمَتْ ∴ بِسُنَةٍ ومَضَتْ مَتْبُوعَةَ الأَثَرِ (1)

ومن ألوان "الترصيع" المشهورة في الأدب العربي هذه المقطوعة المنسوبة للإمام الشافعي (رحمه الله) و هي في عزة النفس :

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وضَرْبُ حَبْسٍ ∴ وَ نَزْعُ نَفْسٍ وَ رَدُ أَمْسِ
وَقَرُ بَرْدٍ وَقَوْدُ فَرْدٍ ∴ ودَبْغُ جِلْدٍ بِغَيْرِ شَمْسِ
وأَكْلُ ضَبٍ وَصَيْدُ دُبٍ ∴ وصَرْفُ حُبٍ بِأَرْضِ خَرْسِ
وَ نَفْخُ نَارٍ وَ حَمْلُ عَارٍ ∴ وبَيْعُ دَارٍ بِرُبْعِ فِلْسِ
وَبَيْعُ خُفٍ وعَدْمُ إِلْفٍ ∴ وَضَرْبُ إِلْفٍ بِحَبْلِ قَلْسِ (**)
أَهْوَنُ مِنْ وَقْفَةِ الْحُرِ ∴ يَرْجُو نَوَالاً بِبَابِ نَحْسِ (2)

وخلاصة القول أن الشاعر عدنان النحوي أولى اهتماما خاصا بموسيقاه الشعرية، بدءا بالموسيقى الخارجية والمتمثلة في الوزن والقافية، وقد حافظ الشاعر على الأوزان الخليلية واستفاد مما تبيحه من زحافات وعلل، كما حافظ على وحدة القافية رغم طول قصائده عموما ، و لم ينوع قوافيه إلا قليلا...

أما الموسيقى الداخلية فقد تمكن النحوي –بفضل ثراء معجمه اللغوي– أن يحسن بها صوره الشعرية، وينوع في إيقاعها ويؤلف منها روائع خالدة.

(*) يظهر تسجيع الكلمات (تقصير، معصية، منطق) بعد تقطيعها.

(1) د. عدنان النحوي: ديوان موكب النور، ص 181-182.

(**) قلس، ج قلوس: وهو حبل ثخين تربط فيه السفن.

(2) محمد بن ادريس الشافعي: ديوان الشافعي، جمع وتعليق محمد عفيف الزعبي، ص 52.

الخاتـــــمة:

والآن، وبعد الفراغ من الغوص في عالم عدنان النحوي الشعري، يمكن الخلوص إلى بعض النتائج التي أسفر عنها في جانبيه المتعلقين بالأداة والمضمون، والتي عساها أن تكون دليلا لبحوث ستتلو.. ففيما يتعلق بالمضمون يمكن تسجيل ما يأتي:

1- إن الاغتراب لدى الأديب الإسلامي غدا اليوم مشكلة حضارية في وقت باتت فيه هويته تتعرض للمسخ والتشويه، فأصبحت عرى الإسلام تنفلت عروة عروة، وأضحى المتمسك بدينه كالقابض على الجمر، وأمست الحياة الإسلامية تغرب عن المجتمع يوما بعد يوم.

ولعل من أهم ما يؤثر في نفسية الأديب الإسلامي، ويزيد من شعوره الحاد بالاغتراب، أن يجد صدودا وإعراضا عن دعوته المجتمعات الإسلامية لاستعادة ممارسة شعائرها التعبدية وقيمها المفقودة، وصبغتها الإيمانية بعد أن شوهتها رياح التغريب.

2- لم يكتب عدنان النحوي الشعر من باب الترف، وإنما كتبه للتعبير عن معاناة الأمة الإسلامية وما تكابده من القهر والجور، ولقد أمدته قوة العقيدة الإسلامية بزاد معنوي عصمه من الانهيار أمام تيار الأحداث، وحوله إلى نبع متدفق العطاء، وهو لم يتقوقع ضمن حيز إقليمي محدود، بل تفاعل مع قضايا المسلمين في عموم بلدان العالم الإسلامي، فما أن ينفتح جرح من الجراح في جسم العالم الإسلامي حتى يهرع النحوي مواسيا داعما، يرفع الهمم، ويذكر بالأمجاد السالفين، وكيف عزوا بعد ذل، وانتصروا بعد هزيمة.

3- واكب التصور الإسلامي المتجلي في الطرح الشعري لعدنان النحوي فكر أدبي تنظيري، طرحه في كثير من العناوين يحدد فيه مفهومه للأدب الإسلامي عموما، والشعر منه علـــى وجـــه

الخصوص، ويفند النظريات الأدبية التي تتعارض مع إسلامية الأدب، ويبين تهافتها وما تنطوي عليه من خبث فكري يتسلل إلى النفس المستجيبة لتأثيرها، فيؤدي بكل القيم النبيلة فيها، ويدفع بها في دركات الهوى والضياع.

4- إن تراثي اليأس في بعض أشعار النحوي أحيانا، لا يعني أن الشاعر قد حاد عن الرؤية الإسلامية، لأن التصور الإسلامي في شعره إنما يرتكز على أسس فكرية وعقائدية راسخة في فؤاده، مردها إيمانه العميق أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها... ويبقى أن ما بتلك الأشعار من تمرد على الواقع، واغتراب عنه، ورفض له، ليس إلا وجها من وجوه العمل على إصلاحه.

5- الشاعر عدنان النحوي يربأ بالأدب الإسلامي أن يكون عالة على غيره في فن أصيل كفن الملاحم، كما يربأ بقداسته أن يرتكس في أرجاس الوثنية "الإغريقية" و"الرومانية"، ويرى ضرورة بناء الملحمة الإسلامية بعيدا عن كل أشكال التبعية، وتعتبر دراسته للموضوع محاولة جادة وجريئة للتأصيل لفن ملحمي إسلامي، حيث نجد في كل الملاحم التي أنشأها الشاعر النحوي دراسة نظرية حول أسس بناء ملحمة إسلامية مرفوقا بالملحمة الشعرية.

أما فيما يتعلق بالأداة الفنية، يتعين الإشارة إلى ما يأتي:

1- لغة الشاعر النحوي بعيدة كل البعد عن الإسفاف والابتذال والركاكة، والتي أصبحت من سمات لغة هذا العصر، فجميع مؤلفاته الشعرية والنثرية تطفح بالقيم الروحية والجمالية والإنسانية، وقد امتاح الشاعر لغته هذه من عدة مصادر منها: المصدر القرآني والحديثي والمصدر التراثي الشعري وغيرها... على أن ما يؤاخذ عليه الشاعر بهذا الصدد هو توظيفه المباشر لتلك المصادر في بعض الأحيان.

2- عندما تتحرر شاعرية النحوي من أسر التقليد، وتتأجج عاطفته وينطلق خياله، يبدع لنا صورا في غاية الحيوية والتجديد، وبخاصة حين يطمس وجه الشبه بين الأشياء ويوحد بين الصور والانفعالات النفسية، فتبدو الصورة وكأن الشاعر كساها من روحه، فدبت فيها الحياة دبيبا، فإذا هي تنبض بالحيوية والحركة.

3- لقد كان لاعتماد النحوي على رموز التاريخ الإسلامي المشرق أثر عظيم في تشكيل صوره الرامزة، ولعله وجد في أعلام ووقائع عصور المد الحضاري الإسلامي مادة خصبة في تجربته الشعرية فحاول أن يجعل لها امتدادا في العصر الحاضر، وذلك باستنهاض همم المعاصرين لتحقيق أمجاد تحاكي أمجاد السلف الماضي.

ومع وفاء النحوي الكامل لموروثه الثقافي والتاريخي، إلا أنه شديد الحساسية إزاء سلوكات بعض المستلبين بالتراث، الذين يتقاعسون عن إحيائه حتّى يلائم روح العصر، ومالهم من هم سوى التباكي على أطلاله، فأضروا بالتراث من حيث أرادوا نفعه.

4- فيما يخص الشكل : فقد آثر النحوي الشكل العمودي كإطار وحيد لقصائده، بحيث يرى أن الخروج عليه يعد خروجا بالعمل الشعري إلى دائرة النثر، وهو يرفض ما يسميه الحداثيون "بقصيدة النثر"، ويرد على زعمهم بأن الأوزان والقوافي قيود تقف عقبة في وجه الانطلاق الحر نحو ارتياد آفاق الإبداع، فإذا كان الشاعر أصيلا وموهوبا حقا، أذعنت له الأوزان والقوافي وهي صاغرة.

أما المحسوبون على الأدب من أنصاف الشعراء، فحين أعوزتهم الوسيلة، وفاتتهم الحيلة، أخذوا يعيبون على الخليل عروضه وموسيقاه، وينعتونهما بالرتابة والجمود.

5- حوالي 70 % من دواوين النحوي الشعرية المدروسة جاءت على (البحور المزدوجة) وهذا دليل على أن شاعرنا قد حافظ على الموسيقى العربية الأصيلة بكل مقوماتها، كما يدل على تمكنه من بحور الشعر العربي.

وقد أحسن الشاعر انتقاء القوافي، فجاءت متوافقة مع الجو النفسي، ومع حالة الاغتراب التي يعانيها...

ومع طول نفسه الشعري، لم ينوع النحوي قوافيه –إلا نادرا– وهو دليل على ثراء معجمه اللغوي، وعلى تمكنه من شوارد اللغة ينفق منها كيف يشاء، مع خلو قوافيه من عيوب"الروي" و"الإيطاء" و"التضمين".

والله الموفق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــــارس العـــامـــــة

1- فهرس آيات القرآن الحكيم.

2- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار.

3- فهـــرس الأعـــلام.

4- فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع .

5- فهرس المذاهب والشعوب والملاحم والأيام.

6- فهـــرس الأشعـــــار.

7- فهرس المصادر والمراجع.

8- فهـــرس الموضـــوعـــات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: فهرس آيات القرآن الحكيم

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	نص الآية	الصفحة
02	البقرة	65	﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.	83
02	البقرة	81	﴿وَأَحَاطَتْ به خَطِيْئَاتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَارِ﴾.	82
03	آل عمران	110	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَاسِ﴾.	83
05	المائدة	22	﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾.	83
05	المائدة	71	﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.	83
06	الأنعام	32	﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.	87
07	الأعراف	156	﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.	83
07	الأعراف	170	﴿وَالذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَلاَةَ﴾.	84
08	الأنفال	16	﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾.	84
09	التوبة	40	﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.	84
09	التوبة	52	﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.	82
11	هود	42	﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾.	122
11	هود	105	﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.	82
11	هود	116	﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ القُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ...﴾.	10-09
14	إبراهيم	46	﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾.	83،118
16	النحل	48	﴿سُجَّدًا لله وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.	83
17	الإسراء	05	﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا...﴾.	119
18	الكهف	104	﴿الذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.	50
19	مريم	68	﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جُثِيًّا﴾.	83
21	الأنبياء	03	﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَجْوَى﴾.	84

22	الحج	18	﴿وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾.	121
22	الحج	45	﴿وَبِيرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.	82
30	الروم	31	﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.	42
31	لقمان	02	﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.	84
33	الأحزاب	23	﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾.	84
41	فصلت	33	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.	01
47	محمد	22	﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.	83
54	القمر	25	﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.	82
57	الحديد	01	﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.	83
63	المنافقون	08	﴿وَللهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.	83
67	الملك	04	﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.	82
67	الملك	19	﴿أَوَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾.	84
81	التكوير	18	﴿وَالصُبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.	82
86	الطارق	09،10	﴿يَوْمَ تُبْلَى السَرَائِرُ ۞فَمَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاَ نَاصِرٍ﴾.	87
95	التين	01	﴿وَالتِينِ وَالزَيْتُونِ﴾.	83
112	الإخلاص	02،01	﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ۞اللهُ الصَمَدُ﴾.	84

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

	النـــص	الـــراوي	الصفحـــة
	حـــرف البـــاء		
01	﴿ بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ غريبا، فطوبى للغرباء ﴾	مسلم	08
	حـــرف الفـــاء		
02	﴿... فعندئذ تغدر الروم وتجمع للملحمة﴾	أبو داود	27
03	﴿... فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة﴾	البخاري	27
04	**حـــرف الكـــاف**		
	﴿كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل﴾	البخاري	10
	حـــرف اليـــاء		
05	﴿يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: إنكم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل...﴾	أبو داود	87

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثالثا: فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
حـــرف الألف	
- آدم عليه السلام	67
- آربري (مستشرق)	34
- إبراهيم عليه السلام	70،71
- إبراهيم أنيس	143،144،146،151،165
- إبراهيم رماني	112
- ابن خلدون	139
- ابن رجب الحنبلي	09
- ابن رشيق	139،163
- ابن الرومي	22،89
- ابن زيدون	89،122،124
- ابن عبد ربه	36
- ابن عقب الليثي	28
- ابن القيم	09،38،124
- ابن منظور	07،27،108
- أبو حرة سلطاني	99
- أبو حامد الغزالي	138
- أبو حيان التوحيدي	10
- أبو داود السجستاني	27،87،120
- أبو ريشة (عمر)	36،38
- أبو زيد القرشي	131

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أبو سليمان الداراني	09
- أبو العتاهية	126
- أبو فراس الحمداني	125
- أبو الفرج الأصفهاني	09
- أبو القاسم الشابي	127،91
- أبو نواس	28
- أبو هريرة	08
- أبو هلال العسكري	130،129،165
- أبو يس	28
- أحمد أبو حاقة	66،29
- أحمد أبو زيد	ب،134،34
- أحمد أمين	153،35
- أحمد بسام الساعي	135،113،91
- أحمد بن حنبل	28
- أحمد بن عاصم الأنطاكي	09
- أحمد بن فارس	27،07
- أحمد شوقي	127،124،91،89،38،22
- أحمد الشايب	152،115
- أحمد حسن الزيات	129،34
- أحمد كمال زكي	ب، 88،81
- أحمد محرم	38،35،31
- أحمد محمود مبارك	ب
- الأخطل	125
- الأخفش	139

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- أدونيس (الشاعر)	81،80
- أغاممنون	69
- إسماعيل عليه السلام	70
- إليا الحاوي	121
- امرؤ القيس	88
- أمين علي السيد	154
حـرف البـــاء	
- البابري	37
- البارودي	38،14
- با يزيد	33
- البحتري	164،103
- البخاري	27
- بدر شاكر السياب	17
- بدوي طبانة	132
- بشار بن برد	129
- بشارة الخوري	89
- بكري شيخ أمين	130
- بلال بن رباح رضي الله عنه	12
- بلحيا الطاهر	29
- بلقيس (الملكة)	72
- البوصيري	90
حـرف التـــاء	
- تشارلتون	109
- توماس إيليوت	188

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الـــجيم	
- جابر عصفور	109،112،115،120
- جابر قميحة	19،28،34
- الجاحظ	13،28،109
- جرير	90،125
- جواد الطاهر	28
- جورج غريب	33،35
- الجوهري	133
حـــرف الحـــاء	
- الحارث بن حلزة	36
- الحارث بن عباد	34
- حازم القرطاجني	112،143،154،163
- حافظ إبراهيم	38،91
- حسن الأمراني	17
- الحسن البصري	09
- حسن كاتب	د
- الحسين بن علي	14
- حسيني علي رضوان	157
حـــرف الخـــاء	
- خالد بن الوليد	128،136
- خالد البيطار	22،23
- الخليل بن أحمد	139،144
- خليل مطران	36،38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الـــدال	
- دانتي	37
- دريد بن الصمة	34
حـــرف الـــراء	
- رجاء عيد	143،139
- رشيد رضا	39
- الرقاشي	28
- رونسار بيار	37
- الرندي	22
- ريتا عوض	154،109
حـــرف الـــزاي	
- الزبير بن العوام ﷺ	136
- زكي المحاسني	34
- زكي نجيب محمود	80
- الزهاوي	38
- زهير بن أبي سلمى	126،125
حـــرف السين	
- ساسين سيمون عساف	133،112
- السحرتي	111
- سعد أبو الرضا	ب
- سعد الدين الجيزاوي	ج،36،34
- سعيد عقل	80
- السعيد الورقي	109
- سفيان الثوري	09
- سليمان عليه السلام	72

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- سليمان البستاني	35،33
- سيد قطب	129،96،32
- سيسل دي لويس	111،110
حـــرف الشين	
- الشافعي	166،124،89
- الشريف الرضي	14
- شكري عياد	152
- شكيب أرسلان	21
- شوقي ضيف	113،35،31
حـــرف الصـــاد	
- صالح عليه السلام	13
- صالح آدم بيلو	116
- صالح محمد جرار	23
- صديق حسن خان	27
- صفاء خلوصي	152
- صلاح الدين الأيوبي	54،135،94
حـــرف الضـــاد	
- ضب (صهر عثمان رضي الله عنه)	12
حـــرف الطـــاء	
- الطبري	28
- الطاهر مكي	114
- طرفة بن العبد	12
حـــــرف العين	
- عبد الباسط بدر	16
- عبد الحليم المصري	38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عبد الحميد الثاني	135
- عبد الرحمن بارود	24
- عبد الفتاح صالح نافع	163،155،152،143،141
- عبد القادر القط	111
- عبد القدوس أبو صالح	21
- عبد القاهر الجرجاني	123،109
- عبد الله بن أحمد بن حمدي	20
- عبد الله بن عمر	10
- عبد الله ركيبي	86
- عبد الله الغذامي	154،81
- عبد المنعم خفاجي	119
- عبد النور جبور	08
- عبده بدوي	ب، 09
- عثمان ﷺ	12
- عز الدين إسماعيل	143،140،32
- عزيز السيد جاسم	14
- عطاء الخراساني	88،48
- العقاد	119،118
- علي أبو زيد	138
- علي بوملحم	67،31
- علي الجارم	131
- علي صبح	122،134
- علي عباس علوان	89
- علي عشري زايد	115
- عماد الدين خليل	142،97،23

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عمر الأسعد	151،146
- عمر بوقرورة	87،46،12
- عمر بهاء الأميري	52،24،21
- عمر الفاروق ﷺ	136
- عمرو بن العاص	136
- عمرو بن كلثوم	125،36
- عنترة (العبسي)	36،34
- عيسى عليه السلام	72
- عيسى بن علي حرابا	19
حـــرف الغـــين	
- غنيمي هلال	114،111،72،31،30،28
حـــرف الفـــاء	
- فتح الله خليف	ب، 09،08
- فرجيلوس	37،30
- الفردوسي	37،33
- الفرزدق	125
- فرعون	74،72
- الفيروز بادي	108،27،07
حـــرف القـــاف	
- القاسمي	37
- قالميكي	37
- قتيبة بن مسلم	157،55
- القشيري	11
- قصاب باشي	25

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الكـــاف	
- كامل أمين	38
- كمال أبو ديب	108،81
- كروتشيه	114
- كولردج	112،111
حـــــرف اللام	
- لبيد	131
حـــــرف الميم	
- مالك بن نبي	20،17
- ماهر حسن فهمي	111،53
- المتنبي	140،126،124،89،13
- محمد ﷺ	71
- محمد إقبال	21
- محمد إقبال عروي	57،44،22
- محمد الأمين بن مزيد	20
- محمد البدري	38
- محمد زكي العشماوي	114،112،80
- محمد شوقي أمين	ب، 28
- محمد الصباغ	ب ، 22
- محمد الغزالي	25
- محمد الفاتح	129
- محمد فتوح أحمد	161
- محمد فريد وجدي	27،07
- محمد قطب	123،95
- محمد مصطفى بدوي	112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- محمد مصطفى هدارة	ب، 24،124
- محمد ناصر	82،151
- محمد النويهي	139،140
- محمود حسن إسماعيل	38
- محمود السيد الدغيم	ب
- محي الدين بن عربي	112
- مسلم	08
- مصطفى أمين	131
- مصطفى كمال أتاتورك	21
- مصطفى محمد الغماري	20
- مصطفى ناصف	108
- مفدي زكرياء	29،38
- المقداد بن الأسود	136
- ملتن	37
- مهلهل بن ربيعة	34
- موسى عليه السلام	72،74
- ميشال عاصي	32
حـــرف النـــون	
- نائلة بنت القرافصة	12
- نجيب الكيلاني	81،116،146
- نجيب محفوظ	104،146
- نازك الملائكة	162
- نزار قباني	18،124،127،128،152،153
- نصرت عبد الرحمن	108

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- نمرود	70
- نوح عليه السلام	70،71
حـــرف الهـــاء	
- الهروي الأنصاري	09
- هكطور	69
- هوميروس	69،37،30
- هيكل	29
حـــرف الـــواو	
- وديع البستاني	37
حـــرف اليـــاء	35،29
- يحي الشيخ صالح	
- يوسف الحناشي	13
- يوسف القرضاوي	50،49،44،20
- يوليسس	30

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رابعا: فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع

اسم المكان	الصفحة
حرف الألف	
- أبها (مدينة)	68
- الأردن	162
- أفغانستان	92،43
- الأقصى	93،54
- الأندلس	94،56،22
- أوراس	136،93،56
- أوربا	60
حرف الباء	
- البصرة	22
- بغدان (بغداد)	94،55
- بور سعيد	56
- البوسنة	92،43
حرف التاء	
- تركيا	22،21
- تل الزعتر	100
- تونس	55
حرف الجيم	
- جرجان	110
- الجزائر	163،56
- الجزيرة العربية	66
- الجلجلة (جبل)	17

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الحـــاء	
- الحجاز	75
- حيفا	95
حـــرف الـــدال	
- دار السلام	55
- دجلـــــة	55
- دمشق	94،55
حـــرف الـــزاي	
- زمزم	67
حـــرف السين	
- السعودية	17
- السند	55
- السودان	55
حـــرف الشين	
- الشام	94
- شامة (جبل)	12
حـــرف الصـــاد	
- صفد (مدينة)	90،57
- الصين	157،94،55
حـــرف الطـــاء	
- طيبة (يثرب)	94،68
حـــرف الفـــاء	
- الفرات	55
- فرنسا	56
- فلبين	43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- فلسطين	49،42،26،161،130،92،56
حـــرف القـــاف	
- القدس	135،54
- القسطنطينية	129
حـــرف الكـــاف	
- كشمير	92،43
- الكعبة	67
حـــــرف اللام	
- لبنان	131،100،43
حـــــرف الميم	
- مجنة (سوق)	12
- مجيدو (مدينة)	33
- المدينة (المنورة)	68،12
- مصر	94،56
- المغرب	55
- مكة (المكرمة)	94،69،67،12
- ميسلون	94
حـــرف النـــون	
- نجـــــد	94
- النيـــــل	74،56
حـــرف الهـــاء	
- الهرسك	92،45
- الهند	94،55،33
حـــــرف اليـــاء	
- اليرموك	93

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خامسا: فهرس المذاهب والشعوب والملاحم والأيام

الاسم	الصفحة
حـــرف الألف	
- الأتراك	21
- أحد	69
- الأحزاب	69
- إسرائيل	164
- الاشتراكية	16
- الإغريق	153،33
- الإلياذة	28
- الأمويون	14
- الإنياذة (ملحمة)	37،33
- أهل البيت	08
- الأوديسا	28
حـــرف البـــاء	
- بـــدر	136،93،69،24
- البرناسية	116
- بنو أمية	08
- بنو قريضة	69
- البنيوية	16
- البيت العلوي	08
حـــرف التـــاء	
- الترك	13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الثـــاء	
- ثمـــود	13
حـــرف الجيم	
- جلجامش (ملحمة)	33
حـــرف الحـــاء	
- الحداثة	52،16
- الحداثيون	80،60
- الحديبية (صلح)	69
- حطين	136،24
حـــرف الخـــاء	
- الخلفاء	92
- خيبر	69
حـــرف الـــدال	
- الدمقراطية	16
حـــرف الـــراء	
- رامايانا (ملحمة)	33،37
- الرمزية	113
- رولان (ملحمة)	37،33
- الروم	13
- الرومان	33
- الرمانسيون	96،57
حـــرف الســـين	
- السريالية	133،113
- السوفسطائيون	154

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف الشـــين	
- الشاهية (ملحمة)	37،33
- الشهنامة (ملحمة)	37،33
- شهودي (ملحمة)	37،33
حـــرف الصـــاد	
- الصحابة ﷺ	92،12
- الصعاليك	12
- صلاة الفيداس (ملحمة)	33
- الصليبيون	54
- الصهيونية	42
حـــرف الطـــاء	
- الطالبيون	14
- طفيل (جبل)	12
حـــرف العـــين	
- العلمانية	60،16
- العلمانيون	43
- عين جالوت	24
حـــرف الغـــين	
- الغربيون	140
- غرناطة	21
حـــرف الفـــاء	
- الفراعنة	136
- الفردوس المفقود (ملحمة)	37،33
- الفرس	13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

حـــرف القـــاف	
- القادسية	136،24
- القرافصة (قبيلة)	12
حـــرف الكـــاف	
- الكلاسيكية	60،30
- الكماليون	22
- الكوميديا المقدسة (ملحمة)	37،33
حـــــرف الميم	
- مؤتة	69
- المحافظون	117
- المسلمون	أ، 16
- مهابهاراتا (ملحمة)	37،33
حـــرف الـــواو	
- الوثنية	60
حـــرف اليـــاء	
- اليرموك	93
- اليهود	136،131،120،75،26،13

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سادسا: فهرس الأشعار

الأبيات الشعرية	الصفحة
الهمـــــزة	
أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ ∴ تَشُذُّ وَتَنْأَى عَنْهُمُ الْقُرَبَاءُ	14
قَالُوا اعْتَزَلْتَ فَقُلْتُ صُنْتُ كَرَامَتِي ∴ وَلَزِمْتُ فِي رَهَجِ الزِّحَامِ إِبَائِي	24
وَنَخَرْتُ نَفْسِي لِلْعَظَائِمِ صَابِرًا ∴ وَطَوَيْتُ عَنْ ذُلِّ الصِّغَارِ رِدَائِي	
فَأَنَا الْغَرِيبُ غَدَاةَ أَنْأَى عَنْ رُبَى ∴ جَنَّاتِهِ الوَضَّاحَةِ الغَنَّاءِ	
البـــــاء	
أَلَسْتَ تَرَى يَا ضَبُّ بِاللهِ أَنَّنِي ∴ مُرَافِقَةٌ نَحْوَ الْمَدِينَةِ أَرْكَبَا	13
أَمَا كَانَ فِي أَوْلَادِ عَوْفِ بْنِ عَامِرٍ ∴ لَكَ الْوَيْلُ مَا يُغْنِي الْحِبَاءَ الْمُطْنَبَا	
أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ أَكُونَ غَرِيبَةً ∴ بِيَثْرِبَ لاَ أُمًّا لَدَيَّ وَلاَ أَبَا	
يَصُولُ عَلَيَّ الْجَاهِلُونَ وَاعْتَلِي ∴ وَيَعْجِمُ فِي الْقَائِلُونَ وَأَعْرِبُ	14
يَرَوْنَ احْتِمَالِي غُصَّةً وَيَزِيدُهُمْ ∴ لَوَاعِجُ ضَغْنٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ	
وَلاَ أَعْرِفُ الفَحْشَاءَ إِلاَّ بِوَصْفِهَا ∴ وَلاَ أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُغْضَبُ	
وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا ∴ وَلَكِنَّ أَوْقَاتِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ	
أُحَارِبُ فِي دِينِي وَفِكْرِي وَمَذْهَبِي ∴ وَأُرْمَى بِزُورِ القَوْلِ فِي كُلِّ مَشْعَبِ	20
وَمَا أَنَا إِلاَّ غُصَّةٌ فِي حُلُوقِهِمْ ∴ وَحَشْرَجَةُ الأَقْدَارِ فِي صَدْرِ مُذْنِبِ	
وَمَا أَنَا إِلاَّ النَّارُ تَشْوِي قُلُوبَهُمْ ∴ وَإِلاَّ الضُّحَى يَرْمِي بِأَشْلاَءِ غَيْهَبِ	
يُعَانِقُنِي عَزْمُ الأُولَى صَنَعُوا العُلاَ ∴ فَأَهْتِفُ بِالإِسْلاَمِ أَقْوَمَ مَذْهَبِ	
يَمُوتُونَ غَيْظًا.. ثُمَّ يَحْيَونَ نَزْوَةً ∴ سَفَاهًا وَجَهْلاً.. كُلُّ ذَاكَ التَعَصُّبِ	
فَأَنِّي الْتَفَتُّ، فَحَقٌّ سَلِيبٌ ∴ وَأَنِّي أَصَخْتُ، فَرَجْعُ النَّحِيبُ	23
وَأَنِّي سَرَيْتُ، فَدَرْبٌ مَرِيبٌ ∴ وَفَجٌّ عَجِيبٌ وَلَغْمٌ رَهِيبُ	
أَسِيرُ رَهِينَ صُرُوفِ الزَمَانِ ∴ وَأَشْعُرُ أَنِّي وَحِيدٌ غَرِيبُ	
أَهِيبُ بِقَوْمِي إِلَى الْمُكْرَمَاتِ ∴ وَمَا مِنْ مُلَبٍّ، وَلاَ مِنْ مُجِيبُ	

128	يَا ابْنَ الوَلِيد أَلاَ سَيْفٌ تُؤَجِرُهُ ∴ فَكُلُ أَسْيَافنَا قَدْ أَصْبَحَتْ خَشَبَا	
129	كَأَنَ مَثَارَ النَقْعِ فَوْقَ رُؤُوسنَا ∴ وَأَسْيَافنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُـــهْ	
	الحـــــاء	
	ضَحَّتْ عَلَيْكِ مَآذِنٌ وَمَنَابِـرُ ∴ وَبَكَتْ عَلَيْكِ مَمَالِكٌ وَنَـــوَاحِ	
	الْهِنْدُ وَالِهَةٌ وَمِصْرُ حَزِينَـــةٌ ∴ تَبْكِي عَلَيْكِ بِمَدْمَـعٍ سَحَّـــاحِ	
22	وَالشَامُ تَسْأَلُ وَالعِرَاقُ وَفَارِسٌ ∴ أَمَحَا مِنَ الأَرْضِ الْخِلاَفَةَ مَـاحِ؟!	
	فَلَتَسْمَعُنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ دَاعِيًـا ∴ يَدْعُو إِلَى (الكَذَّاب) أَوْ (لِسَجَاحِ)	
	وَلَتَشْهَدُنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فِتْنَـــةً ∴ فِيهَا يُبَاعُ الدِينُ بَيْـعَ سَمَـــاحِ	
	الـــــدال	
12	وَمَازَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ وَلَذَّتِـي ∴ وَبَيْعِي وَإِنْفَاقِي طَرِيْفِـــي وَمُتْلَـدِي	
	إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِي العَشِيرَةُ كُلُّهَـا ∴ وَأُفْـــرِدْتُ إِفْـرَادَ البَعِـيرِ الْمُعَبَّـدِ	
13	مَا مَقَامِي بِـأَرْضِ نَخْلَـــةَ إِلاَّ ∴ كَمَقَـــامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُـــودِ	
13	أَنَا فِي أُمَّـــةٍ تَدَارَكَهَـا اللَّـ ∴ ـــهُ غَرِيبٌ كَصَـالِحٍ فِـي ثَمُـــودِ	
14	وَقَالُوا لِقَاءُ النَاسِ أُنْسٌ وَرَاحَـةٌ ∴ وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى النَاسَ مَا كُنْتُ مُفْرَدَا	
	قَائِدِي فَـارِسُ الْبُرَاقِ وَإِخْـوَا ∴ نِـي الْمُثَنَّـى وَطَـارِقُ بْـنُ زِيَـادِ	
	قَدْ أَضَاءَ القُرْآنُ قَلْبِـي فَحَلَّقْـ ∴ ـــتُ وَرَاءَ الأَزْمَـــانِ وَالأَبْعَـــادِ	
24	مَكَّتِي أُخْتُ طِيْبَتِي أُخْتُ قُدْسِي ∴ كُـلُّ مَـنْ مَسَّهُـنَّ مَسَّ اعْتِقَـادِي	
	بَرِقَتْ بَدْرُنَـا الْجَدِيـدَةُ هَـذَا ∴ الشَرْقُ يَصْحُو عَلَى صَهِيـلِ الْجِيَـادِ	
	فَوْقَ كُلِّ الرَايَـاتِ رَايَـةُ رَبِّـي ∴ وَيَـدُ اللهِ فَـوْقَ كُـلِّ الأَيَـادِي	
	أُمِّي الطَبِيعَةُ مَـا أَجَـلَّ مَعَانِيَـا ∴ يَرْنُو إِلَـى أَصْدَائِهِـنَّ الوَاجِـدُ	
25	أُمِّي الطَبِيْعَةُ كُلَّمَا زِدْنَـا نُـؤًى ∴ عَنْهَـــا فَكُـلُّ مُزَيَّفٍ يَتَزَايَـدُ	
	أُمِّي الطَبِيْعَةُ كَمْ أَحِنُّ إِذَا سَعَتْ ∴ قَدَمَايَ فِي ضَاحِي حِمَاكِ أُشَاهِدُ	
	فِي صُنْعِهَا الفَنَانُ كُلُّ سَذَاجَـةٍ ∴ هِيَ فِي ذُرَا التَنْسِيقِ قَصْدٌ وَاحِـدُ	
90	عِيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُـدْتَ يَا عِيْـدُ ∴ بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْـرٍ فِيْكَ تَجْدِيـدُ	

126	أَذُمُّ إِلَى هَذَا الزَّمَانِ أُهَيْلَـــهُ ∴ فَأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وَأَحْزَمُهُمْ وَغْـدُ وَأَكْرَمُهُمْ كَلْبٌ وَأَبْصَرُهُمْ عَمٍ ∴ وَأَسْهَدُهُمْ فَهْدٌ وَأَشْجَعُهُمْ قِرْدُ	
129	وَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ ∴ وَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى العُنَّابِ بِالبَرَدِ	
	الـــــراء	
127	إِذَا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرَادَ الْحَيَاةَ ∴ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَسْتَجِيبَ الْقَدَرْ وَلاَبُدَّ لِلَّيْـــلِ أَنْ يَنْجَلِـي ∴ وَلاَبُدَّ لِلْقَيْدِ أَنْ يَنْكَســـرْ	
	الســـين	
103	صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدَنِّسُ نَفْسِي ∴ وَتَرَفَّعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جِبْسِ	
166	لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَـرْبُ حَبْسٍ ∴ وَنَـزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أَمْـسِ وَقَرُّ بَرْدٍ وَقَـوْدُ فَـرْدٍ ∴ وَدَبْـغُ جِلْـدٍ بِغَيْرِ شَمْسِ وَأَكْلُ ضَبٍّ وَصَيْـدُ دُبٍّ ∴ وَصَرْفُ حُبٍّ بِأَرْضِ خَرْسِ وَنَفْخُ نَارٍ وَحَمْـلُ عَـارٍ ∴ وَبَيْـعُ دَارٍ بِرُبْـعِ فَلْـسِ وَبَيْـعُ خُفٍّ وَعَـدْمُ إِلْفٍ ∴ وَضَرْبُ أَلْفٍ بِحَبْـلِ قَلْسِ أَهْوَنُ مِـنْ وَقْفَـةِ الْحُـرِّ ∴ يَرْجُو نَوَالاً بِبَـابِ نَحْسِ	
	القـــــاف	
91	لاَ تَحْسِبَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ∴ مَالَمْ يُتَوِّجْ رَبُّهُ بِخَـلاَقِ	
	الـــــلام	
12	أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ∴ بِفَخٍّ وَحَوْلِي إِذْخِـرٌ وَجَلِيْلُ وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّـةٍ ∴ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيْلُ	
14	إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَ بِالْبُخْلِ مَـادِرُ ∴ وَعَيَّرَ قُسًّـا بِالْفَهَاهَـةِ بَاقِـلُ وَقَالَ السُّهَى لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ ∴ وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكِ حَائِـلُ وَطَاوَلَتِ الأَرْضُ السَّمَاءَ سَفَاهَةً ∴ وَفَاخَرَتِ الشُّهْبَ الْحَصَى وَالْجَنَادِلُ فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيْمَـةٌ ∴ وَيَا نَفْسُ جُدِّي إِنَّ دَهْرَكِ هَـازِلُ	

وَلُقِّبَ بَاقِلٌ (رَبَّ الْبَيَانِ) ∴ وَقُسَّ عُكَاظَ (الدَّعِيَّ الْجَهُولاَ)	
وَخُنْثَى الْكَلاَمِ قَصِيْدَ النَّثِيرِ ∴ تُهِينُ الْبَيَانَ وَتُزْرِي الْخَلِيْلاَ	
عَلَى رِسْلِكُمْ يَا أُفَاعِي الْبَيَانِ ∴ فَهَيْهَاتَ يَعْلُو الْفَحِيْحُ الْصَهِيْلاَ	19
فَقَالُوا أَرَدْنَا حَيَاةَ الْبَيَانِ ∴ نَقِيًّا صَفِيًّا كَرِيْمًا ذَلُولاَ	
فَوَاعَجَبًا كَيْفَ يَحْيَا الْبَيَانُ ∴ وَقَدْ ذَبَحُوهُ فَأَهْوَى قَتِيْلاَ؟!	
فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيْشَةٍ ∴ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيْلٌ مِنَ الْمَالِ	88
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ ∴ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ أَمْثَالِي	
أَعْدَدْتُ لِلشُّعَرَاءِ سُمًّا نَاقِعًا ∴ حَتَّى سَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الأَوَّلِ	90
لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى "الْفَرَزْدَقِ" مِيْسَمِي ∴ وَجَدَا "الْبَعِيْثُ" جَدَعْتُ أَنْفَ "الأَخْطَلِ"	

الميـــم

فَحَيَّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ∴ مَنَازِلُكَ الأُولَى وَفِيْهَا الْمُخَيَّمُ	
وَلَكِنَّنَا سَبْيُ الْعَدُوِّ فَهَلْ تُرَى ∴ نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلَّمُ	10
وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا التِي ∴ لَهَا أَضْحَتِ الأَعْدَاءُ فِيْنَا تَحَكَّمُ	
وَالْيَوْمَ أَيْنَ صَلاَحُ الدِّينِ شَامِخَةً ∴ خُيُولُهُ وَالصَّلِيْبِيُّونَ قَدْ هُزِمُوا	
بَلْ أَيْنَ مُعْتَصِمٌ يُزْجِي قَوَافِلَهُ ∴ فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ وَالْفُرْسَانُ تَحْتَدِمُ	
وَانْظُرْ خُيُولَ بَنِي حَمْدَانَ كَابِيَةً ∴ وَالصَّارِمُ الْعَضْبُ قَدْ أَوْهَى بِهِ الثَّلَمُ	25
وَالْمُسْلِمُونَ وَقَدْ بَاءَتْ مَطَامِحُهُمْ ∴ كَأَنَّهُمْ فِي دُجَى أَكْفَانِهِمْ رِمَمُ	
قَدْ صَدَّهُمْ عَنْ عُرَا الأَمْجَادِ مُصْطَرَعٌ ∴ مِنَ الْعَقَائِدِ حَتَّى عَزَّ مُلْتَحَمُ	
قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ∴ وَيُنْكِرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمِ	90
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيْقَةٍ ∴ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ	125
أَنَا الذِي نَظَرَ الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي ∴ وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ	140
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا ∴ وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ	

النـــــــون

يَا شِعْرُ فِيمَ الْهَجْرُ لَسْتُ بِجَانِـي	∴	حَتَّى تُجَرِّعَنِي أَسَى الْهُجْـرَانِ
يَا شِعْرُ فِيمَ الْهَجْرُ عُودِيَ شَابَـهُ	∴	صَدَأٌ فَأَيْـنَ رَوَائِـعُ الأَلْحَـانِ
أَيْنَ الْخَلِيلُ وَأَيْنَ أَبْحُـرُهُ الَّتِـي	∴	تَكْتَظُّ بِالأَصْـدَافِ وَالْمُرْجَـانِ
أَنَسِيتَ أَحْمَدَ كَيْفَ دَبَّجَ شِعْـرَهُ	∴	فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِي
يَا شِعْرُ هَلْ تَدْرِي بِـأَنَّ حُثَالَـةً	∴	مِـنْ بَيْنِنَـا تَرْمِيكَ بِالْبُهْتَـانِ
زَعَمَتْ بِأَنَّـكَ عَاجِـزٌ وَبِأَنَّهَـا	∴	رَجْعِيَّةٌ وَالشِّعْـرُ شَـيْءٌ ثَانِـي
جَعَلُوا الأَحَاجِيَ مَنْهَجًا فَالشِّعْرُ فِي	∴	مِنْهَاجِهِمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَذَيَـانِ
إِنَّ الْقَصِيدَةَ لاَ تَكُـونُ قَصِيـدَةً	∴	إِلاَّ بِشَكْـلٍ رَائِـعٍ وَمَعَـانِ

19

ظَلَمُونِي حَقًّا لَقَدْ ظَلَمُونِي	∴	حَرَمُونِي الْحَيَاةَ فِي ظِلِّ دِينِي
هَؤُلاَءِ الْطُغَاةُ قَدْ حَكَمُونِي	∴	وَاسْتَبَدُّوا عَلَى خُطَا مُوسِلِينِي
ظَلَمُونِي فَأَيْنَ مَنْ يُنْقِذُنِي	∴	أَيْنَ مَنْ يَغْرَقُونَ كَيْ يُنْقِذُونِ

20

تَفَـرَّقَ بِالقَـوْمِ حُكَّامُهَـا	∴	وَزَاغَتْ قُلُوبٌ غَذَتْهَا الإِحَنْ
وَفِي وِحْدَةِ القَوْمِ خَيْرٌ وَفِيرٌ	∴	وَمَجْدٌ جَدِيرٌ بِأَغْلَى ثَمَـنْ
لَقَـدْ أَعْلَنُوهَـا وَلَكِنَنِـي	∴	أَكَادُ أَرَى غَيْرَ مَا قَدْ عُلِـنْ
أُرِيـدُ بُنَـاةً حُمَـاةً لَهَـا	∴	إِذَا قَلَبَ الدَّهْرُ ظَهْرَ الْمِجَنْ
فَمَنْ لِي بِإِنْشَاءِ جِيلٍ أَبِـيٍّ	∴	تَقِيٍّ قَوِيٍّ يَصُدُّ الْمِحَـنْ

21

يَا أُمَّةً قَـدْ أُصِيبَتْ فِـي كَرَامَتِهَـا	∴	وَطَأْطَأَتْ رَأْسَهَا ضُعْفًا وَإِذْعَانَـا
مَاذَا أَصَابَكِ إِنِّـي لاَ أُصَـدِّقُ مَـا	∴	تَرَاهُ عَيْنِي مِنَ الذُّلِّ الَّـذِي رَانَـا

22

أَلَمْ تَكُونِي لِهَذَا الكَوْنِ شَمْسَ هُدًى	∴	أَلَمْ تَكُونِي لِهَذَا الكَـوْنِ رُبَّانَـا
أَلَمْ يَكُنْ أَهْلُكِ الأَحْرَارُ إِنْ سَمِعُـوا	∴	حَسِيسَ دُلٍّ أَثَارُوا الأَرْضَ بُرْكَانَا
وَإِنْ دَعَا بِاسْمِهِمْ مَنْ يَسْتَغِيثُ بِهِـمْ	∴	طَارُوا إِلَيْهِ زَرَافَـاتٍ وَوِحْدَانَـا

23

خَلَقْتَ الْجَمَالَ لَنَا فِتْنَـةً	∴	وَقُلْتَ لَنَا يَا عِبَادِي إِتَّقُونْ
فَأَنْتَ جَمِيلٌ تُحِبُّ الْجَمَالَ	∴	فَكَيْفَ عِبَادُكَ لاَ يَعْشَقُونْ

89

125	أَلاَ لاَ يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ∴ فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِيْنَا	
127	يَا نَاعِمًا رَقَدَتْ جُفُونُهْ ∴ مُضْنَاكَ لاَ تَهْدَأُ شُجُونُهْ	
	حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّهُ ∴ إِنْ لَمْ تُعِنْهُ فَمَنْ يُعِيْنُهُ؟	
	الهـــــاء	
	هَذِي الْحَضَارَةُ فِي أَدْنَى مَعَانِيهَا ∴ تُعْطِي الْجُسُومَ وَتَنْسَى جَوْهَرًا فِيْهَا	
	تُقِيْمُ لِلْجِسْمِ سُلْطَانًا وَهَيْمَنَةً ∴ وَتَنْبَرِي لِعَذَابِ الرُّوحِ تُشْقِيْهَا	
	يَا حَسْرَتَاهُ عَلَى الإِنْسَانِ قَدْ عَمِيَتْ ∴ مِنْهُ الْبَصِيْرَةُ وَامْتَدَّتْ غَوَاشِيْهَا	
23	سَمَّى الْفَوَاحِشَ فَنًّا مِنْ سَفَاهَتِهِ ∴ وَرَاحَ يَسْفِكُ طُهْرَ الْغِيْدِ حَامِيْهَا	
	وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ أَخْلاَقِ مُؤْمِنِنَا ∴ يَرْوِي طَهَارَتَهَا التَارِيْخُ تَنْوِيْهَا	
	خُنَّا الأَمَانَةَ وَالأَخْلاَقَ وَا أَسَفًا ∴ فَاجْتَاحَ دَوْلَتَنَا الإِعْصَارُ مُنْهِيْهَا	
	لَوْ غَيَّرَ الْقَوْمُ مَا فِي النَفْسِ لانْكَشَفَتْ ∴ هَذِي الْمَفَاسِدُ وَانْجَابَتْ طَوَاغِيْهَا	
131	وَغَدَاةَ رِيْحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ ∴ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِمَالِ زِمَامُهَا	
	اليـــــاء	
131	وَقَدْ يَجْمَعُ اللهُ الشَتِيْتَيْنِ بَعْدَمَا ∴ يَظُنَّانِ كُلَّ الظَنِّ أَلاَّ تَلاَقِيَا	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سابعا: فهرس المصادر والمراجع

* **القرآن الكريم:** برواية ورش عن الإمام نافع، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1994.

أ- المصـــــادر

1- **أبو الطيب المتنبي:** الديوان، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

2- **أبو العلاء المعري:** لزوم ما لا يلزم،ج1، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1982.

3- **أبو القاسم الشابي:** الأعمال الكاملة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1984.

4- **أحمد شوقي:** ديوان الشوقيات، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، 1984.

5- **امرؤ القيس:** الديوان، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989.

6- **البحتري:** ديوان البحتري، ج1، بيروت للطباعة والنشر، 1983.

7- **البوصيري:** ديوان البوصيري، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1955.

8- **جـــريـــر:** ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1978.

9- **حافظ إبراهيم:** الديوان، دار العودة، بيروت، ط1، د.ت.

10- **زهير بن أبي سلمى:** الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

11- **الشريف الرضي:** الديوان، مج1، دار بيروت للطباعة والنشر، 1981.

12- **طرفة بن العبد:** الديوان، المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.

13- **عبد الرحمن بارود:** من الشعر الإسلامي الحديث، ط1، دار البشير، عمان، 1989.

14- **عدنان النحوي:** ديوان الأرض المباركة، دار النحوي، الرياض، ط6، 1994.

15- **عدنان النحوي:** ديوان جراح على الدرب، دار النحوي، الرياض، ط2، 1987.

16- **عدنان النحوي:** ديوان عبر وعبرات، دار النحوي، الرياض، ط1، 2000.

17- **عدنان النحوي:** ديوان مهرجان القصيد، دار النحوي، الرياض، ط1، 1993.

18- **عدنان النحوي:** ديوان موكب النور، مطابع الفرزدق، الرياض، ط2، 1985.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

19- **عدنان النحوي:** ملحمة أرض الرسالات، دار النحوي، الرياض، ط1، 2000.

20- **عدنان النحوي:** ملحمة الإسلام في الهند، دار النحوي، الرياض، ط2، 1994.

21- **عدنان النحوي:** ملحمة الأقصى، دار النحوي، الرياض، ط2، 1993.

22- **عدنان النحوي:** ملحمة الجهاد الأفغاني، دار النحوي، الرياض، ط1، 1988.

23- **عدنان النحوي:** ملحمة الغرباء، دار النحوي، الرياض، ط3، 1994.

24- **عمر بهاء الدين الأميري:** ديوان مع الله، دار الفتح، بيروت، 1971.

25- **لبيـــد:** جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1980.

26- **محمد بن إدريس الشافعي:** ديوان الشافعي، تعليق:محمد عفيف الزعبي، مكتبة المعرفة، حمص، سورية، ط3، 1974.

27- **محمد الغزالي:** ديوان الشيخ محمد الغزالي، دار الهدى، عين مليلة، د.ت.

28- **مصطفى محمد الغماري:** ديوان أسرار الغربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982.

29- **نـــزار قبـــاني:** الأعمال السياسية الكاملة، ج3، منشورات نزار قباني، بيروت، ط5، 1993.

30- **نـــزار قبـــاني:** ديوان قصائد متوحشة، منشورات نزار قباني، ط1، بيروت، 1970.

ب- المـــراجـــــع

1- **إبراهيم أنيس:** موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1965.

2- **إبراهيم رماني:** الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

3- **ابن رجب الحنبلي:** كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، القاهرة، د.ت.

4- **ابن رشيق (أبو علي الحسن القيرواني):** العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق مفيد قميحة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

5- **ابن قيم الجوزية:** مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد حامد الفقي، ج3، دار الكتاب، بيروت، ط3، 1973.

6- **ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل)**: لسان العرب، مج5، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

7- **أبو حامد الغزالي**: إحياء علوم الدين، ج6، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

8- **أبو حيان التوحيدي**: الإشارات الإلهية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1950.

9- **أبو هلال العسكري**: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد بجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، د.ت.

10- **أحمد بسام الساعي**: حركة الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، دار المأمون للثرات، دمشق، ط1، 1978.

11- **أحمد بسام الساعي**: الصورة بين البلاغة والنقد، المنارة، ط1، 1984.

12- **أحمد بسام الساعي**: الواقعية الإسلامية في النقد الأدبي، ط1، المنارة، جدة، السعودية، د.ت.

13- **أحمد أبو حاقة**: فن الشعر الملحمي ومظاهره عند العرب، دار الشروق، بيروت، ط1، 1960.

14- **أحمد حسن الزيات**: تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، ط5، 1999.

15- **أحمد شلبي**: كيف تكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط21، 1992.

16- **أحمد بن فارس**: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج4، دار الفكر، بيروت، 1979.

17- **أحمد الشايب**: أصول النقد الأدبي، النهضة المصرية، القاهرة، ط8، 1973.

18- **أمين علي السيد**: في علمي العروض والقافية، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

19- **إليا الحاوي**: بدر شاكر السياب، ج5، دار الكتاب، بيروت، ط2، 1980.

20- **بدوي طبانة**: علم البيان، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

21- **بكري شيخ أمين**: البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984.

22- **جابر عصفور**: الصورة الفنية في التراث النقدية والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.

23- **جابر قميحة**: الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992.

24- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)**: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1948.

25- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)**: الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1982.

26- **الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)**: الحيوان، ج3، تحقيق عبد السلام هارون، المجتمع العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1969.

27- **جورج غريب**: سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1997.

28- **الجوهري**: الصحاح، ج3 دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1980.

29- **حازم القرطاجني**: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1996.

30- **ربيعي محمد علي عبد الخالق**: أثر التراث العربي القديم في الشعر العربي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

31- **رجاء عيد**: التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

32- **ريتا عوض**: بنية القصيدة الجاهلية الصورة الشعرية لدى امرؤ القيس، دار الأدب، بيروت، ط1، 1992.

33- **زكي نجيب محمود**: مع الشعراء، دار الشروق، ط3، 1982.

34- **ساسين سيمون عساف**: الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1982.

35- **السعيد الورقي**: في الأدب والنقد الأدبي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1989.

36- **سيد قطب**: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، د.ت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

37- **سيسيل دي لويس:** الصورة الشعرية، ترجمة أحمد نصيف الجنابي، مالك ميري، سليمان حسن إبراهيم، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1982.

38- **شوقي ضيف:** دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط7، د.ت.

39- **شوقي ضيف:** فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت.

40- **شوقي ضيف:** في النقد الأدبي، ط6، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

41- **صابر عبد الدايم:** موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1993.

42- **الطاهر مكي:** الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983.

43- **عباس محمود العقاد:** ابن الرومي حياته من شعره، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1984.

44- **عباس محمود العقاد:** اللغة الشاعرة، مكتبة غريب، القاهرة، د.ت.

45- **عبد الباسط بدر:** مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، العربية السعودية، ط1، 1985.

46- **عبد الرحمن بن خلدون:** المقدمة، مكتبة لبنان، ط4، 1990.

47- **عبد الرحيم الطهطاوي:** هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري، ج2، مطبعة الرغائب، مصر، ط2، 1340 هـ.

48- **عبد الفتاح صالح نافع:** عضوية الموسيقى في النص الشعري، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1985.

49- **عبد القادر القط:** الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 2، 1982.

50- **عبد القاهر الجرجاني:** أسرار البلاغة، تحقيق محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1998.

51- **عبد القاهر الجرجاني:** دلائل الإعجاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1991.

52- **عبد الله الركيبي:** الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

53- **عبد النور جبور:** المعجم الأدبي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

54- **عدنان النحوي:** الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، دار النحوي للنشر والإشهار، الرياض، العربية السعودية، ط4، 2001.

55- **عدنان النحوي:** تقويم نظرية الحداثة وموقف الأدب الإسلامي منها، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط2، 1994.

56- **عز الدين إسماعيل:** التفسير النفسي للأدب، دار العودة، بيروت، ط4، 1981.

57- **عز الدين إسماعيل:** الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط3، دار العودة، بيروت، 1981.

58- **عزيز السيد جاسم:** الاغتراب في حياة وشعر الشريف الرضي، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1986.

59- **علي إبراهيم أبو زيد:** الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1983.

60- **علي بوملحم:** في الأدب وفنونه، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، لبنان، 1970.

61- **علي صبح:** البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط2، 1996.

62- **علي صبح:** الصورة الأدبية تاريخ ونقد، دار إحياء الكتب العربية،القاهرة، د.ت.

63- **علي عباس علوان:** تطور الشعر العربي الحديث في العراق، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د.ت.

64- **علي عشري زايد:** عن بناء القصيدة.العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط2، 1979.

65- **عماد الدين خليل:** الطبيعة في الفن الغربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981.

66- **عماد الدين خليل**: مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988.

67- **عمر الأسعد**: علم العروض التطبيقي، دار النفائس، بيروت، ط1، 1987.

68- **عمر بوقرورة**: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 - 1962)، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د.ت.

69- **قدامة بن جعفر**: نقد الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

70- **قدامة بن جعفر**: نقد النثر، المكتبة العلمية، بيروت، 1980.

71- **القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن)**: الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

72- **مالك بن نبي**: بين الرشاد والتيه، ط1، دار الفكر، دمشق، 1978.

73- **مالك بن نبي**: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، د.ت.

74- **ماهر حسن فهمي**: الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971.

75- **محمد إقبال عروي**: جمالية الأدب الإسلامي، المكتبة السلفية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 1986.

76- **محمد حسن عبد الله**: اللغة الفنية، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

77- **محمد زكي العشماوي**: دراسات في النقد الأدبي المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

78- **محمد عبد المنعم خفاجي**: مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1995.

79- **محمد عبد المنعم خفاجي**: النقد العربي الحديث ومذاهبه، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.

80- **محمد فتوح أحمد**: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1984.

81- **محمد فريد وجدي**: دائرة معارف القرن العشرين، مج7، دار المعرفة، بيروت، 1971.

82- **محمد قطب**: منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط5، 1981.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

83- **محمد مصطفى بدوي:** كولردج، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

84- **محمد مندور:** خليل مطران، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة، د.ت.

85- **محمد ناصر:** الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.

86- **نازك الملائكة:** قضايا الشعر العربي المعاصر، مكتبة النهضة، بيروت، ط3، 1967.

87- **نجيب الكيلاني:** مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة، قطر، ط1، 1407 هـ.

88- **يوسف الخناشي:** الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

89- **يوسف القرضاوي:** الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، ط2، دار البعث، قسنطينة، 1983.

90- **يوسف القرضاوي:** الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، مكتبة رحاب، الجزائر، ط2، 1989.

ج- الدوريات

1- **أحمد أبو زيد:** الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي، مجلة عالم الفكر، ع3، مج16، 1985.

2- **أحمد أبو زيد:** الملاحم كتاريخ وثقافة، عالم الفكر، ع1، مج 16، 1985.

3- **جابر قميحة:** شمس من المغرب، مجلة الأدب الإسلامي، ع19، مؤسسة الرسالة، 1419هـ.

4- **حسيني علي رضوان :** من معالم الأدب الإسلامي، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع5، رمضان 1414هـ.

5- **خالد البيطار:** صرخة ألم، مجلة الأدب الإسلامي، ع1، دار البشير، عمان- الأردن، 1414هـ.

6- **سعد الدين الجيزاوي :** الملاحم والمطورات الإسلامية في الشعر العربي، مجلة الأزهر، ج4، س35، جمادي الآخرة، 1383هـ.

7- **صالح آدم بيلو :** الفن قيد، الأمة، ع49، س5 ، محرم 1405 هـ .

8- **صالح محمد جرار:** في ظل الحضارة الزائفة، الأدب الإسلامي، ع19، مؤسسة الرسالة، 1419 هـ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

9- **عبـــده بـــدوي:** الغربة المكانية في الشعر العربي، عالم الفكر، ع1، مج15، 1984.

10- **عـــدنـــان النحـــوي:** مأمون أتعب نفسه وأتعب غيره بعدم التروي، جريدة المسلمون، ع 696، س14، 12صفر 1419هـــ .

11- **عدنان النحوي:** الملحمة العربية غير واضحة المعالم، مجلة الدعوة، ع1250، س26، محرم 1411هـــ .

12- **عمر بوقرورة:** التجربة اللغوية في شعر محمد علي الرباوي، مجلة الأدب الإسلامي، ع13، 1417هـــ .

13- **فتح الله خليف:** الاغتراب في الإسلام، عالم الفكر، ع1، مج10، 1979.

14- **محمد شوقي أمين:** الملاحم بين اللغة والأدب، عالم الفكر، مج10، ع1، 1979.

د- الرسائل الجامعية

1- **عمر بوقرورة:** الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر(1960-1990)، مخطوط رسالة دكتوراه الدولة، جامعة قسنطينة، 1994.

2- **يحي الشيخ صالح:** شعر الثورة عند مفدي زكريا (دراسة تحليلية فنية)، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1987.

هـــ- المراسلات

1- رسالة من الشاعر عدنان النحوي، بتاريخ 1423/11/19 هـــ، الرياض-السعودية.

2- رسالة من الشاعر عدنان النحوي، بتاريخ 1424/01/22 هـــ، الرياض-السعودية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثامنا: فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ
المدخل	
مفهوم الغربة والملحمية	
أولا: مفهوم الغربة	07
1- المعنى اللغوي	07
2- الغربة في الفكر الإسلامي	08
3- الغربة في مفهوم الشاعر الإسلامي المعاصر	11
ثانيا: عوامل اغتراب الشاعر الإسلامي المعاصر	16
أ- العامل الثقافي	17
ب- العامل السياسي	20
ج- العامل الاجتماعي والأخلاقي	22
د- العامل الروحي والنفسي	24
ثالثا: الملحمة	27
1- المفهوم اللغوي	27
2- المفهوم الاصطلاحي	27
3- خصائص الملحمة	29
4- بين الملاحم والمطولات الشعرية	32
5- ما حظ الأدب العربي من فن الملاحم؟	34
6- أشهر الملاحم والمطولات الشعرية	37

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البـــــاب الأول

المضـــــامـــــين

الفصل الأول

ظاهرة الاغتراب في شعر عدنان النحوي

1- بواعث الاغتراب في شعر عدنان النحوي 42

2- مظاهر الاغتراب في شعر عندنان النحوي 53

الفصل الثاني

ظاهرة الملحمية في شعر عدنان النحوي

أولا: تصور عدنان النحوي لملحمة إسلامية **60**

1- عناصر الملحمة الإسلامية عند النحوي **61**

2- شروط الملحمة الإسلامية عند النحوي **63**

3- خصائص الملحمة الإسلامية لدى النحوي **63**

4- أهداف الملحمة الإسلامية لدى النحوي **64**

ثانيا: دراسة نموذجية (ملحمة أرض الرسالات) **66**

1- الموضـــــوع **66**

2- العنصر الديني **67**

3- البطولـــــة **69**

4- الخـــــوارق **71**

5- العنصر القصصي **72**

6- الموضوعيـــــة **74**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البـــــاب الثـــــاني

الأداة الفنيـــــــــة

الفصل الأول

البناء اللغوي في معجم شعر عدنان النحوي

أولا: مصادر المعجم الشعري لعدنان النحوي 81

1- المصدر القرآني 82

2- المصدر التراثي الشعري 87

3- المصدر التاريخي 92

4- المصدر الطبيعي 95

ثانيا: ظواهر أسلوبية 99

1- التكـــــرار 99

2- الاستفهـــام 101

3- المقابلـــــة 103

4- القصة والحوار 104

الفصل الثاني

الصورة الشعرية لدى عدنان النحوي

أولا: مفهوم الصورة الشعرية 108

1- المعـــنى اللغـــــوي 108

2- الصورة في النقد القديم 108

3- الصورة في النقد الحديث 110

4- عناصر الصورة الشعرية ووظائفها 112

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ- الخيـــــال 112
ب- الموسيقـــى 113
ج- العاطفـــة 113
د- الوحدة العضوية 114
هـ- موهبة الشاعر 114
و- اللغـــــة 115
ثانيا: مصادر الصورة الشعرية لدى النحوي 117
1- المصدر القرآني والحديثي 117
2- المصدر الشعري 124
3- الصور البلاغية 128
4- التصوير بالرمز 133

الفصل الثالث

الموسيقى الشعرية

1- أهمية الموسيقى الشعرية 138
2- الموسيقى الخارجية 139
أ- الـــــوزن 139
ب- القافيـــــة 151
3- الموسيقى الداخلية 160
أ- التكـــــرار 161
ب- المحسنات البديعية 163
الخاتمـــــة 167

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس العامـــة

أولا: فهرس آيات القرآن الحكيم 172

ثانيا: فهرس الأحاديث الشريفة والآثار 174

ثالثا: فهرس الأعلام 175

رابعا: فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع 186

خامسا: فهرس المذاهب والشعوب والملاحم والأيام 189

سادسا: فهرس الأشعار 193

سابعا: فهرس المصادر والمراجع 199

ثامنا: فهرس الموضوعات 208

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية